جامعة اليرموك
كلية الآداب

الرؤية السياسية والاجتماعية في شعر الشريف الرضي

رسالة

إعداد :

إنعام موسى ابراهيم رواقه

إشراف :

الدكتور عبد القادر رباعي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جامعـــــة اليرمـــــوك
كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية

الرؤية السياسية والاجتماعيـــــــة في شعر الشريـــــف الرضـــــي

اعـــــــــداد

الطالبة انعام موسى ابراهيم رواقـــــه

بكالوريوس في الاداب : جامعة اليرمـــوك
دائرة اللغة العربية وآدابهـــا ١٩٨٤م
ودبلوم في أساليب تدريس اللغة العربية ـ جامعة اليرموك
دائرة التربيـــــة ١٩٨٤م .

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستيـــر
من جامعة اليرموك ـ تخصص لغة عربيـــــة
أدب ونقـــــد

لجنة المناقشـــــة :

الدكتور عبد القادر الرباعـــي	مشرفـــا
الدكتور قاسم المومنـــــي	عضـــوا
الدكتور حسين خريـــــوش	عضـــوا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاهـــــــــــداء

الى والدى العزيـــز :

سراج الحق في زمن الظـلام ،والايقـاع الرصين
في حيرة السؤال .

الى والدتي الحبيبة :

رحيق الحيـــــــاة ...
وقيثارة الفرح في زمن الألـــــم

والى شقيقـاتي الغـاليات :

رمز الطهر والعفة والبـــــراءة .

والى أشقائـــي الأحبـــة :

لحن الاصالة ، وعبير التميـــــز .

أهدى اليهم جميعا بـاكورة انتاجي ، وثمرة عنائهم وصبرهـــــم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكـــــــر وتقديـــــــــــر

..... وقد أوشك البحث على الانتهاء ، ولا بـــد من اسداء الفضـــــل الـــــى اهلـــه ، الى استـــــــاذى المتألق فوق ذرى الخُلُق ... الى صاحـــب البسمـــة المعبقة بأرج الرزانة والتميّز .. الى أستاذ الصبر ... ولحن الحضور فـــــي زمن الغياب ... الى أستاذي الدكتور عبد القادر الرباعي تحية شكـر وتقدير .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

راقني العصر البويهي منذ أن بدأت دراستي الجامعية الاولى ، وذلك لأسباب عدة منها ، قلة الدراسات المتعمقه لهذا العصر الذى تميز بالتعددية في كل مكوناته ، فثمة مذاهب دينية متعددة ، ومعتقدات سياسية مختلفه ، اضافة الى انقسام المجتمع المسلم الى فئتين اجتماعيتين عرقيا وهما فئه العرب ،وفئه العجم " البويهيين " . هذا ناهيك عن أن الامة العربية كانت تمر في حالة من القهر السياسي والحضاري اللذين تجسدا في تسلط البويهيين وسيطرتهم على الوضع السياسي وتغلغلهم في المجتمع العربي . فغابت شمس الخلافة العربية وبدت باهتة الظلال . تشرب كأس الذل ، وتنام على حلم الحرية ، ومجد الماضي وانتقلت العدوى الى المستوى الاجتماعي فتمثل في صراع عنيف بين العرب والعجم سرعان ما انتقل الى مستوى أخطر وهو مستوى المذهب الديني باذكاء الصراع مرة أخرى بين السنة والشيعة .

من هنا زاد اهتمامي في ذاك العصر وفنونه الادب المنبثق عنه ،اذ يفترض في اعماله الابداعيه توافر كل صفات الثورية والرفض للقهر السياسي الخارجي ،المتمثل بالبويهيين، كما ويجب أن تنطلق الثورة من الادب ليكون فاعلا في التغيير . وانبرى الشعراء للدفاع عن العروبة والاصالة الحرة ، أعلنها المتنبي رصاصة ثائرة قال فيها : -

وانما النّاس بالملوك وما ... تَصْلُحُ عُرْبٌ مُلوكها عَجَمُ
لا أدبٌ عندهم ولا حسبٌ ... ولا عهودٌ لهم ولا ذممُ
بكل أرضٍ وطئتها أمَمٌ ... ترعى بعَبْدٍ كأنها غنَمُ (1)

دق المتنبي ناقوس الخطر في وجود البويهيين ، وصبّ في شعره تراتيل عشق العروبة للشعراء من بعده ، فحمسهم للدفاع عن العروبة ، ودعاهم لتنشق أرج المجد والكرامة ،وبذل أرواحهم رخيصة من أجل النصر والحرية

فكان من تلامذته الشريف الرضي ، الا نموذج الذى جسد التعددية في كل شيء ، فهو عربي المحتد ، هاشمي النسب شيعي المذهب ، فالشريف في تنافر مع السلطتين السائدتين : -

---

(1) ديوان المتنبي : ٣٩٧/٣ . شرح عبد الرحمن البرقوقي . مطبعة الاستقامة القاهرة - ط٢ - ١٩٣٨ . وانظر ايضا ٢٣٠/٤ - ٢٣١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١ - سلطة العباسيين العرب ابناء عمومته السنه
٢ - سلطة البويهيين العجم أبناء ملته الشيعه .

وهنا وجدت نفسي أمام أسئلة كثيرة منها : -

١ - كيف واجه الشريف الرضي هاتين السلطتين المتضادتين ؟!
٢ - كيف واجه الشريف الرضي هذين النظامين الاجتماعيين المتضادين؟

من عمق ذينك السؤالين تمخضت رسالتي بعنوانها التالي : -

" الرؤية السياسية والاجتماعية في شعر الشريف الرضي "

وجعلتها في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

الفصل الاول : كان بعنوان : (الشريف الرضي ، عصره وحياته " وجعلته في قسمين : القسم الاول : عصر الشريف : تناولت فيه الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي حينئذ بصورة مبتسرة . أما القسم الثاني : حياته منذ ولادته حتى موته ومرورا بطفولته وشبابه ونضجه ، ووضحت سماتها وبعض المؤثرات النفسية والبيئية التي ميزت شخصيته . ثم عرضت فيها ثقافته وبعض شيوخه وتلامذته ومؤلفاته ، وألقابه ومناصبه ،ودورها في تمحور فكره السياسي والاجتماعي .

أما الفصل الثاني فجعلته بعنوان : (الرؤية السياسية في شعر الشريف الرضي أبرز الوضع السياسي السائد ثلاثة محاور رئيسة شكلت رؤيته السياسيه وهي : -

آ- الشعور القومي : عرضت فيه علاقة الشعر بالقومية ، وما سمات الشعور القومي ، كيف بدأ حسّ الشعور بالقومية عند الشريف ،ومدى تشوفه للوحدة العربية وتصوره للبطل المنقذ وتعلقه بالبطولة العربية .

ب - الامامة :
عرضت فيها معنى الامامة في الفكر الشيعي ، ومعنى الامامة في فكر الشريف الرضي ،وما نظرته الى الامام القائم والامام المنتظر ،ومامدى التزامه بفكر الامامه ، وكيف عبر عن نظرية الامامة ، وما موقعه منها .

ج - ثورته على النظام السياسي .
عرضت فيها دور كل من الشعور القومي والامامة في اذكاء ثورته و محفزاتها؟ وما شكلها ؟ وهل كانت ثورة عملية ام تصورية ؟

أما الفصل الثالث فكان بعنوان (الرؤية الاجتماعيه في شعر الشريف الرضي) وجعلته في قسمين اثنين : -

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ ـ علاقاته الاجتماعية المتعدده : درست فيها علاقاته الاجتماعية المتعددة اذ كانت على غير شكل ، منها علاقات عامة مع السلطة العباسية والبويهية والوزراء وامراء القبائل . ومنها علاقات أسرية سواء كانت خاصة كالابوه والامومة والاخوه والنبوه والزوجيه ،أو علاقات اسريه عامه كالعمومه والخؤولة . وبينت فيها حدود كل علاقة ،وسماتها وموقعها في الرؤية الاجتماعية .

ب ـ ثورته على الواقع الاجتماعي : الوضع الاجتماعي السائد في عصره أبرز قيما اجتماعية رديئة وأمات قيما اجتماعية عربية . مما كان له الاثر الاكبر في رؤية الشريف الاجتماعيه ، عرضت موقفه من هذا النظام وسمات ثورته الاجتماعيه و علاقتها بالرؤية السياسية .

أما الفصل الرابع فخصصته (للبناء الفني) واكتفيت بعرض قضيتين فنيتين هما :

أ ـ بنية القصيدة : درست فيها هيكل القصيدة ذات الرؤية السياسية والاجتماعية من خلال نصوص تطبيقيه بأشكال مختلفه ذات الشريحة الواحده ، وذات الشريحتين ، وذات الثلاث شرائح . وما دور القصيدة المتعددة الهياكل في محورة الرؤيتين الاجتماعية والسياسية .

ب ـ البناء الفني واللغة والاسلوب : وضحت فيه مصادر لغته ، ومميزاتها وعلاقتها ببنية القصيدة من جهة ـ ، والرؤيتين السياسية والاجتماعية من جهة اخرى .

ثانيا :

اما المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث فكانت قليلة ، ولم تهيء للباحث مادة كافيه للوقوف على حياة الشريف الرضي وأدبه ومواقفه السياسية والاجتماعية . وما ورد في تضاعيف الكتب التاريخيه القديمه تكاد تكون نسخه واحدة متشابهه ينقل المحدث فيها عن القديم .

وكذلك المصادر الادبية لم تعالج أدب الشريف معالجة فنية دقيقة ولم تحاول استكشاف ما فيها من قضايا أدبية وفنية وعقديه واجتماعيه وغيرها ، ولكنها كانت في الغالب أحكاما نقدية مطلقة هدفها الاطراء والمدح على نقيب الشيعة ومن أهمها : ـ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١ - يتيمة الدهر لابي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) يعد أهم كتاب أدبي كتب عن الشريف الرضي ، وأقدمها ، وكان جل اهتمامه بالناحية الفنية فأطلق الاحكام النقدية الجزئية على مجموعه من الابيات وقال انه أشعر قريش بل اجودهم ... الخ من الاحكام ثم اختار مجموعة شعريه من قصائده وعلق عليها .

٢ - دمية القصر وعصرة أهل العصر : الباخرزى (ت ٤٦٧ ، أفاض فيها الكاتب في عبارات المدح ،ولم يزد على ما قاله سابقه الثعالبي وان اختلفت الالفاظ .

٣ - تاريخ بغداد : الخطيب البغدادى : ت (٤٦٣) قدم المؤلف ترجمة غير وافيه للشريف ولم يشر الى كثير من الاحداث المهمة في حياة الشريف والى ثورته السياسية أيضا . الا ان اهميته تعود الى كونه أقدم وثيقة تاريخيه عن الشريف .

٤ - شرح نهج البلاغة . ابن ابي الحديد (ت ٦٥٥هـ) كتب المؤلف كلمة لا بأس فيها جعلها مقدمة لشرح نهج البلاغة ، تناول فيها جوانب حياة الشريف ،وأسرته وأدبه وقد نقل عنها المتأخرون معلوماتهم لمقدمها .

اما وفيات الاعيان لابن خلكان ، وميزان الاعتدال للذهبي ، والوافي بالوفيات للصفدى والمنتظم : " لابن الجوزى ، والبدايه والنهايه لابن كثير ، والكامل لابن الاثير ، وعمدة الطالب لجمال الدين أحمد بن علي ، والنجوم الزاهره للبردى وشذرات الذهب للحنبلي وغيرهم ، جميع أصحابها أعادوا المعلومات عمن سبقهم ولم تقدم لنا الكتب أدنى فائدة في الحصول على معلومات جديده عن الشريف الرضي ، وعن دوره في الاحداث السياسية المهمة .

كما وكان كتاب (روضات الجنات) الخوانسارى ت ١٣١٣هـ . قدم لنا معلومات زاخرة وجمع لنا أخباراً كثيرة ، وأفاض في الحديث عن جوانب حياته وأخلاقه وعقيدته ، ولكن كان ينقصه التوثيق والاسانيد والدقة والامانه . وبدا الخوانسارى متحمسا للرضي كونه شيعيا الى درجة التعصب .

ومن أهم المصادر التي اعتمدتها أيضا كتاب الغدير : (الاميني) قدم فيه المؤلف كلمة ضافية عن الشريف وطفولته وحياته وعلمه وثقافته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ومناصبه وشاعريته . ثم أورد غدير ياته وهي الاشعار التي قالها في يوم الغدير وعاشوراء . ولكن المؤلف لم يذكر لنا شيئا عن آراء الشريف السياسيه ومواقفه الاجتماعية .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اعتمدت كل تلك المصادر وان ندرت أخبارها في الفصل الاول .

أما مراجعي الحديثة فهي لم تكن أحسن حالا من مصادرى القديمه ، في مجال البحث ولكن يظل كتاب الدكتور احسان عباس (الشريف الرضي) أبرز كتاب في الحديث عنه ، ويفضل كل المراجع بالعلمية والمنهجية والاحكام النقديه التحليلية ولكن غلب عليه الطابع النقدى اكثر من الدراسة الادبية ،فابرز لنا ظاهرتين مهمتين فنيا وهما : -

١ - تأثره بالمتنبي .
٢ - ميله الى الرجز والاوزان القصيرة .

وعلى الرغم من أنه قد وضع بعض معالم شخصية الرضي ، وخاصة في باب تأثره بالمتنبي الا انه كانَ ينقصه الحديث عن مواقفه السياسيه والاجتماعية

عبقرية الشريف الرضي : للدكتور زكي مبارك : يتلو كتاب د. احسان عباس في الاهمية . وفيه اشارات بارعة الى رؤية الشريف السياسية والاجتماعية ولكنها كانت في الغالب احكاما عامة يطلقها دون ان يدعم مزاعمة بشعر أو توثيق تاريخي

٣ - الحماسة في شعر الشريف الرضي : الدكتور محمد جميل شلش . يُعَد من اهم الكتب التي درست الشريف الرضي ، وافاضت في الحديث عن الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي الذى نشأ فيه الشريف ، ثم حياته من حيث مولده وطفولته ونفجه وثقافته ومناصبه وشخصيته . ولما اتى الى رؤيته السياسيه لم يزد على أن يعزوها الى كونها طموحا ثوريا باء بالفشل ،وعلى هذا الاساس فسر علاقته مع كل فئات المجتمع . وكان جل اهتمامه بقضية الحماسه من ناحية فنية ، وفي هذا كان بعيدا في كتابه عن موضوعنا ، ولكن هذا لا يعنى أننا لم نفد منه في بحثنا .

٤ - كتاب الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي : عزيز جاسم " يأخذك اسلوبه الساحر المليء بالحدب على الشريف والتعاطف معه . وركز كثيرا على ظاهرة الاغتراب في حياته وشعره منطلقا من الجذور العميقة لمأساة الشيعة التي انطوت عليها أفكارهم . ومن المجد الاسرى الذى تبجحوا به .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٥ - دراسة الشيخ عبد الحسين الحلي بعنوان : حياه الشريف الرضي " كانت عرضا موسعا لحياه الشاعر ،وطفولته ،وشبابه ، وثقافته ،ومناصبه ،ومذهبه ، وعلاقته بخلفاء وملوك عصره ،ولم يك في هذا الكتاب اكثر من جامع لحياه الشريف عن سابقيه ، ولم يقدم لنا اضافة الا في باب علاقاته الاجتماعيه ومؤهبه الديني ومثلها دراسة محمد عبد الغني حسن (الشريف الرضي) .

وهناك دراسة مستفيضه قام بها الدكتور عبد الفتاح الحلو بعنوان الشريف الرضي حياته ودراسة شعره في جزئين . ولكنها لم تقدم لنا أدنى فائده في ما يخص البحث . اذ قسم المؤلف شعر الشاعر الى أغراض فنيه ، ثم درس كل موضوع على حده ، و بين خصائصه . وكان المؤلف اكثر فائده في الدراسة التي كتبها عن الشريف وجعلها مقدمة على تحقيقه للجزء الاول من الديوان .

أما كتاب الشريف الرضي ،(حياته وشعره) للدكتور محمد المطرودى فهو بعيد كل البعد عن موضوع بحثنا ، اذا اكتفى المؤلف بعرض أشعار مختاره من الديوان أوردها تحت عنوانات مختلفة دون تعليق ، فهو أشبه ما يكون بكتاب مترجمة للشريف وتعريف بشعره .

وما أوشك البحث على الانتهاء حتى وقعت بين يدي دراسة صادرة عن دار آفاق عربية بعنوان (الشريف الرضي دراسات في ذكراه الالفيه) لعشره دارسين وكان الكتاب غاية في الشمول والدقه والجمال ، ولكن معظم الدراسات لم تكن في مجال بحثي الا ما كان من بحث الدكتور محمود عبد الله الجادر بعنوان (الرؤى الاجتماعية والاخلاقية في شعر الشريف الرضي) . فأفدت منه كثيرا . وقد خلط المؤلف بين النماذج الاجتماعية والسياسية والقوميه وغيرها اضافه الى انه كان ينقصه العمق ولمؤلفه عذر في ذلك اذ كان بحثا مصغرا وليس موسعا مما جعل لي مجالا للاضافه . وبحث الدكتور كوركيس عواد الذى كان بعنوان (الشريف الرضي في آثار الدارسين) وهو عباره عن ببيلوغرافيا عن كل ما كتب عن الشريف الرضي سواء كانت كتابات تاريخيه أو دينيه أو أدبيه أو دراسة متخصصه أو موسوعات أو مجلات أو صحف وأسماء مؤلفاته اضافة الى أنه أحالنا الى اسماء المراجع التي نقل عنها مبينا تاريخ الطبعه ودار النشر وسنة النشر . واحيانا الصفحة ،مما سهل على الحصول على جمع المعلومات عن الشريف الرضي .

لذا كان اتكائي كثيرا على الديوان للوقوف على الرؤية السياسية والاجتماعية في شعر الشريف الرضي ،وارجو الا اكون قد شططت في البحث وشطحت بعيدا عن الموضوعية والعمق .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واخيرا ، فانا مدينة بالفضل لكل الذين كتبوا عن الشريف الرضي وتناسوا الرؤية السياسية والاجتماعية في شعره ففسحوا لي المجال في الكتابه في هذا البحث ، وأرجو الله ان أكون قد وفقت .

انتهى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصـــــــــــل الاول

الشريـــــــف الرضـــــــــي :
"عصـــــــــرة وحياتـــــــــه"

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اولا : عصر الشريف الرضي

حدد بعض المؤرخين العصر البويهي زمنيا بالفترة الواقعة ما بين عام ٣٣٤هـ — ٤٤٧ هـ[١] وهو العصر الذى عاش فيه الشريف الرضي ، اذ كانت ولادته في عام ٣٥٩ هـ . ووفاته في عام ٤٠٦هـ .[٢]

وامتاز هذا العصر بتعدد الدول والممالك الاسلامية ،فثمة الدولة الفاطمية التي ظهرت في مصر ،وبسطت نفوذها هناك . وسعت الى مد هذا النفوذ ليشمل المشرق العربي ،كذلك وهناك الدولة الاموية التي تربعت عرش الاندلس ولم يعدّ يعنيها من أمر المشرق شيئا . وثمة اخيرا الدولة الام — الدولة العباسية — التي عاش شاعرنا في ربوعها ،فقد اصابها التفكك والضعف وسيطر الديلم والبويهيون القادمون من خراسان على مقاليد الامور فيها .

سعى الفاطميون ومثلهم البويهيون إلى استمالة الجماهير اليهم وبدا أن ثمة صراعا كان يدور بين هاتين القوتين العظميين في المشرق العربي ،هدفه استمالة الجماهير الى هذا الطرف او ذاك ،بغية الحصول على تبعية تلك الجماهير وولائها ،ولجأت كل واحدة الى قاعدتين مهمتين :—

١ — قاعدة البدو
٢ — قاعدة الشيعة

وهذا يضمن لها سيادتها على عاملين مهمين جدا ،وهما عامل الجنس العربي الذى كان يرفض الاذعان لغير العرب ،وعامل ديني حساس وهو التشيع مما اعطى حكمها قيمة اجتماعية ودينية وعندها انضم كل المظلومين دينيا واجتماعيا لهذه الدولة التي حملت هذا الشعار ،وهو الدفاع عن المظلومين ،مما أكسبها جمهورا شعبيا عريضا ،ورأيا عاما قويا ،وبالتالي كسبت نصرا سياسيا .

استغلت السياسة في هذا العصر هاتين الفئتين أيما استغلال ،وذكر ابن الأثير : أن الخليفة القادر بالله (٣٨١هـ — ٤٢١هـ) . عندما تولى الحكم وهو هارب من الخليفة الطائع لله بعد خلع الاخير على ايدى البويهيين ،زعم قائلا: (رأيت البارحة في منامي كأن نهركم هذا نهر الصليق قد اتسع فصار مثل دجلة دفعات فسرت على حافته متعجبا منه ،ورأيت قنطره عظيمة ،فقلت : مَنْ قد حدث نفسه بعمل

---

(١) تاريخ الاسلام السياسي : حسن ابراهيم حسن ٣٠/٣٧٠ النهضة المصرية — مصر ١٩٦٠ الطبعة السابعة .

(٢) وفيات الاعيان : ابن خلكان : ٤/٤١٤ — ٤٢٠ تحقيق احسان عباس دار صادر

هذه القنطرة على هذا البحر العظيم ،ثم صعدتها - وهي محكمة - فبينما أنا عليها أتعجب منها ، اذ رأيت شخصا قد تأملني من ذلك الجانب ،فقال : أتريد ان تعبر ؟ قلت : نعم فمد يده حتى وصلت الي ،فأخذني وعبرَ في فهالني وتعاظمني فعلُه ،قلت: من أنت ؟ قال : علي بن ابي طالب ،وهذا الامر صائر اليك ،ويطول عمرك فيه ، فأحسن الى ولدي وشيعتي وما ان يتمّ سَرْدَ منامهِ على صحبه حتى تأتيهُ رسلُ بهاء الدولة من وراء نهر الصليق تنادى بخلع الطائع ،وتولية القادر بالله مكانه "(١)

هذه قصة محكمة النسج ،هادفة الغرض ،اعتمدت الحلم والمنامات ،- والتي يؤمن بها الشيعة إيمانا عميقا - للوصول الى الهدف ،فهو لا يحلم ،ولا يتنبأ ولم لا يحلم بصحابي اخر؟! هذا ولا ننسى أن القادرَ بالله سنيٌ حسن الاعتقاد.(٢) فالقصة الغريبة النسج ، و شخصية القادر جعلتانا نؤمن بأنه مدع في ذلك ،وهو ينتظر خبر وصول البويهيين اليه ،ولكأني به يستميل الشيعة ليوالوه ويرضوا به خليفة جديدا .

وشبيه بهذا موقف معز الدولة البويهي لما خلع الخليفة المستكفي ،وعين المطيع لله، و اراد استبداله بخليفة علوي ،ولكنه عدك عن ذلك ،باشارة من بعض خاصته اذ قال له : " ... لان هذا خليفة ترى انت وأصحابك أنه غير صحيح الإمارة ، حتى لو امرت بقتله قتله اصحابك ،ولو وليت رجلا من العلويين اعتقدت انت وأصحابك ولايته،ولو أمرت بقتله لم تطع بذلك ،ولو أمر بقتلك لقتلك اصحابك ،فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الاول ،وترك ما كان عزم عليه للدنيا لالله عز وجل "(٣)وخلاصة الامر أن السلطة التنفيذية أصبحت بايدى البويهيين ،وضعف أمر الخلافة حتى لم يبق للخليفة امر ولا نهي ولا وزير ايضا ،وفضح الخليفة المطيع لله ذلك الامر لما كثرت غارات الروم على العراق ،وطلب السلطان من الخليفة ان يدفع لوازم الحرب فاجابه المطيع بقوله : ((الغزو يلزمني اذ كانت الدنيا في يدى ،والي تدبير الاموال والرجال ،واما آلان وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفافي ،وهي في أيديكم وأيدى أصحاب الاطراف،فلا يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه ،وانما لكم مني هذا الاسم الذى يخطب به على منابركم ،تسكنون به رعاياكم فان احببتم ان اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار ايضا وتركتكم والامر لله ،وترددت المخاطبات في ذلك والمراسلات حتى خرجت الى طرف من اطراف الوعيد ،واضطر الى التزام اربعمائة الف درهم ، باع بها ثيابه وبعض أنشاض داره ،وشاع الخبر بين الخاص والعام ،وعند من ورد من حاج خراسان وغيرهم من الواردين عن الاقطاع ان الخليفة صودر وكثرت الشناعات"(٤)

---

(١) الكامل : ابن الاثير : ١٤٨/٧ - ١٤٩ .. دار الكتاب العربي - بيروت ط٣ ١٩٨٠م .

(٢) البداية والنهاية : ابن كثير : ٣٠٩/١١ . دار المعارف بيروت ط٠ - ١٩٦٦م

(٣) المصدر نفسه : ١٣/١١

(٤) تجارب الامم مسكويه :٣٠٧/٢.مكتبة المثنى بغداد . شركة التمدن الصناعية ١٣٣٢هـ -١٩١٤ وينظر الكامل : ٧ /٤٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الدولة الفاطمية فادعت عند ظهورها انها من نسب الامام علي وفاطمة الزهراء ،وكانت تصر على الوصول الى بغداد والقضاء على الدولة العباسية ،وتبسط نفوذها على العالم الاسلامي ،واضطرت الدولة العباسية للدفاع عن نفسها ،ومواجهة خطر الفاطميين ،فطلبت من علماء المشرق ان يكتبوا في المحضر المتضمن تنديد بنسب الفاطميين ،وكان الشريف من اولئك الذين طلب اليهم فعل ذلك ففعل هو واخوه المرتضى وابن البلخاوي العلوي وابن الازرق ..."(١)

وأوردت بعض الكتب خبر كتابه الشريف في المحضر ،والبعض الاخر نفى كتابته ومن أولئك ابن الاثير وعلل فعلته بقوله :"ففي امتناع الرضي من الاعتذار ،ومن ان يكتب طعنا في نسبهم مع الخوف دليل قوي على صحة نسبهم ،وزعم القائلون بصحة نسبه ان العلماء ممن كتب في المحضر انما كتبوا خوفا وتقية ومن لا علم عنده بالانساب فلا احتجاج بقوله "(٢)

وهذا يدلنا إلى أي حدّ بلغ الصراع بين الدول المتحكمة بأمور الرعية والى أي حد بلغ اعتمادها على الشيعة ،واستغلالها كمطية لهم يذللونها ليصلوا الى بغيتهم .

واستطاعت القوى المتصارعة ان تدخل قلب القبائل العربية لتحصل منها على الولاء والتبعية . لذا أذكت الصراع بين القبائل التي انقسمت على نفسها فبنو الجراح قد والوا الدولة الفاطمية وتربصوا على الطرق الموصلة والمؤدية الى بيت الله الحرام ،وسيطروا عليها . والحمدانيون والوا بني كلاب او التغلبيين ،وسيطروا على شمال سوريا والعراق ،والعقيليون والوا الدولة البويهية والعباسية احيانا .

هكذا كان الامر ،كل دولة تعتمد على الشيعة من جهة ،وعلى بدو العرب من جهة اخرى لتوطدّ أركانَها ،وتدعمَ أساسها ،وكثيرا ما كانت الدولة الكاسبة تلجأ الى تعميق الخلافات بين افراد القبيلة الواحدة الموالية للدولة الاخرى كيلا يعظم شانها ،وتنقلب الدولة عربية خالصة ،كما حصل من اثارة النزاع بين الحمدانيين والعقيليين .(٣)

---

(١) الكامل : ٢٦٣/٧ . البداية والنهاية ٣/١٢ - ٤ . انظر ايضا : المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ابن الجوزي . ٢٢٥/٧ . دار المعارف العثمانية ١٣٥٨هـ - ط ١ .

(٢) الكامل : ٦ /١٢٥ .

(٣) تاريخ ابن خلدون : ٥٢٠/٧ - ٢٢٢ دار الكتاب اللبناني - بيروت - ١٩٨١م والامتاع والمؤانسة : أبو حيان التوحيدي ٣ /١٥١ - ١٦١ تحقيق احمد امين واحمد الزين - منشورات مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اما بنو المسيب العقيليون فكان ولاؤهم يتوزع بين العباسيين والبويهيين مرة ،والفاطميين مرة اخرى . وحينما تولى قرواش بن المقلد أمر قبيلته قطع الخطبة للقادر بالله ،وخطب للحاكم بامر الله الفاطمي ،ولما علم القادر بالله أرسل اليه القاضي ابا بكر الباقلاني يعاتبه على ذلك ،فقطع الخطبة معتذرا وخطب للعباسيين مرة اخرى .(١)

وهكذا استغل السياسيون قوة البدو مرة أخرى إلى جانب قوة الشيعة للوصول الى غاياتهم ،وأقصى امانيهم . وكان الجمهور سريع الثقة بشعارات السياسيين وفي الوقت نفسه كان يحلم بالقائد العربي الذي يخلصهم من التسلط البويهي وظلمهم وثوارت الاكراد والديلم والترك ،وخاصة في شمال العراق ،ومما يؤكد وجهة النظر هذه تشوق عرب الشمال لوصول الحمدانيين الى الموصل بعد ان علموا بان الاميرين الحمدانيين استأذنا بهاء الدولة في الإصعاد الى الموصل ،ذكر ابن الاثير انه : " لما نزلا بظاهرها ثار أهل الموصل بالديلم والاتراك الذين عندهم ،وخرجوا الى بني حمدان ،وزحف الديلم لقتالهم فانهزموا ،وقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثيرٌ وامتنع باقيهم بدار الامارة ،وأراد اهلُ الموصل استلحاقهم ،فمنعهم بنو حمدان "(٢)

ولا تتضح تلك السياسية التي ابرزنا بعضَ معالمها إلا في موسم الحج ،ولمن سيكون الدعاء للفاطميين ام للعباسيين ام للبويهيين ام للقرامطة؟!

ويفترض بامير الحج ان يكون داعية للدولة التي انتدبته ليخطب لها في موسم الحج ،وتولى الشريف هذا المنصب غير مرة ،وتعرض لغارات القبائل العربية على ركب الحجيج الذى كان يسوقه كما حدث في عام ٣٨٠هـ : " كتب الخليفة القادر إلى أبي الفتوح داعيةِ الحاكم العلوي في الإذن لحاج العراق ، فأجابه على ان الخطبة للحاكم صاحب مصر ،وبعث الحاكم الى ابن جراح امير طيء باعتراضهم وكان على الحاج الشريف الرضي واخوه المرتضى ،فلاطفهم ابن جراح ،وخلى سبيلهم على ان لا يعودوا "(٣)

في ظل هذا التوجه الذى اعتمد ذينك العاملين المهمين : العروبة والتشيع ،نشأ الشريف الرضي الذى حاز شرف الاصل وعمق الفكر الشيعي ،فهو عربي نسبا ،شيعي مذهبا ،وينتمي الى الفئتين السياسيتين اللتين ميزتا العقل السياسي لذلك العصر .

---

(١) الكامل : ٧ /٢٥٣

(٢) ابن خلدون ٧ / ٥٤١ ؛ الكامل : ٧ /١٤٠ .

(٣) المنتظم : ٢٣٤/٧ ،وتاريخ ابن خلدون ٧ /٢١٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهكذا رأى الشريف نفسه من اسرة عربية هاشمية ،يكن لها العرب عامة والشيعة خاصة المودة والاحترام ،لا سيما وأنه قد ورث السمعة الطيبة إضافة إلى المناصب التي كان يتولاها والده قبله .

وعى الشريف تماما ذلك كله ،وحاول ان يكون مثل اولئك الزعماء الذين اعتمدوا العروبة والتشيع أساسية في السيادة ،فالظروف السياسية السائدة أوحت للشريف بأن يتألق في عالم السياسة ،وتنبه لهذه الظاهرة - ظاهرة المركب العقدي (العروبه والتشيع) ،فاهتم بهما اهتماما شديدا حتى أصبحتا ركني نظريته السياسية

- ٢ -

اثرت الحياة السياسية التي سادتها الفوضى والتنافر والتطرف على الحياة الاجتماعية بجميع قطاعاتها ،فتململت الفئات الاجتماعية الراقده في ظل الوضع السياسي المتردى الذى شهد في الوقت نفسه صعود جماعات متدنيه اجتماعيا الى قمة الهرم الاجتماعي .

وما ان تسلم البويهيون مقاليد السلطه وأطلقت ايديهم في امور الامة حتى تغلغلوا في وعي المجتمع لينشروا عاداتهم الاجتماعية ،وافكارهم الغريبة عن المجتمع العربي ،وأصبح احتفالُ العرب بعيد المهرجان والنيروز والسذق وغيرها من الاعياد الغريبة عن فكر العرب المسلمين وعاداتهم امرا مقبولا. وتأثر الشريف الرضي بهذه العادات الدخيلة فهنأ الطائع بالمهرجان ووصف يوم الشعانين وهنأ البويهيين بعاداتهم .(١)

اما أثر الحياة السياسية على الواقع الاجتماعي فقد تمثل في هدم المرافق الاقتصادية وقلة الاموال وارتفاع الاسعار ،وتبعا لذلك فقد انقسم المجتمع الى فئتين : .

١ - فئة الاغنياء الأرستقراطيين

٢ - فئة الفقراء المحرومين

وقد أدى هذا التفاوت إلى تعميق الهوة بين ابناء المجتمع الواحد وانخراط العامة في فئة الصيارين واللصوص والشطار الذين اخذوا يغيرون على الاغنياء والشرفاء ليسرقوا اموالهم ،مما دب الذعر في قلوب الناس ،هذا وقد عومل هؤلاء الفقراء بوصفهم أشرارا واثمين دون تبصر في معاينة مواقفهم وأفكارهم الاجتماعية ،وعلى ما انطوت عليه مشاعرهم واحاسيسهم من الحرمان ومطالبتهم بالعدالة الاجتماعية .(٢)

---

(١) الديوان : ١/٥١ ، ٥٧ ، ١٠٢ ، ٢/١٢٥ ، ١٤٥ ، ٥٠٩ . انظر يتيمة الدهر - الثعالبي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر - بيروت ٣ /٢٣ . قول ابن سكره الهاشمي في اعياد الفرس والشيعة .

(٢) عصر الدول والامارات إ شوقي ضيف . ٣٦٠ . دار المعارف - مصر .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسجل أبو حيان التوحيدى في إمتاعه تلك الظاهرة الاجتماعيه الخطيرة والتي بموجبها سيطرت العامة على الخاصة اجتماعيا ،وانتشرت الفوضائية الجاهلة وتزعم العيارون أمورَ الناس ،واوردَ منهم أبو حيان : أسودَ الزبد وأبي الذباب وابن كبرويه ،حتى تلقبوا بالقادة ،وتعصب الناس لهم " (١)

و نظر أبو حيان الى هؤلاء العيارين نظرة دونية ،وكرههم وذمهم ،ودعا الى محاربتهم على الرغم من المبادىء الخيرة ،مبادىء الفتوة التي حملوها حتى قال فيهم : " إن التصدى للعامة خلوقه ،وطلب الرفعة بينهم ضعه ،والتشبه بهم نقيصة " .(٢) واشتد أمرهم كثيرا ،وأحرقوا الأسواق والدروب ،وعظمت المحنة بهم جدا واستفحل امرهم ،وتدخل ابو احمد الموسوى وابد الشريف الرضي لإنهاء شغبهم " .(٣) وافاضت كتب التاريخ في الحديث عن المجاعات وغلاء الاسعار ،حتى انه بيع رطل الخبز باربعين درهما ،والجوزه بدرهم ،واكلت الناس بعضها بعضا وعجز الحفارون عن حفر القبور "(٤)

ولم تقتصر الفتنة على العامة والخاصة والتي تجسدت بقضيه العيارين وما تبعها من تطورات ،ولكن تجاوزتها إلى ابتداع الفتنة بين فرقتي الشيعة والسنة فأُحْرِقَ الكَرْخُ غير مرة ،وبلغت الفتنةُ أوْجَها ما بين عامي ٣٦١ - ٣٦٣هـ) وتدخل أبو احمد والدُ الشريف نقيبُ الطالبيين لإخماد الفتنة ،ويبدو انه كان ميالا الى الشيعة كونه شيعيا ،فصرف عن النقابة ،وكثيرا ما كانت تلغى احتفالات الروافض وبدعهممن النوح في بغداد خوفا من الفتنة .(٥)

وكانت هذه الفتن المذهبية تدبر بعلم السلطة وتخطيطها ،وذلك ان هذه السلطة هي المستفيدة في نهاية الامر . ولجأت الدولة البويهية الى اثارة الفتنة بين عامة السنة والشيعة لتنشغل بها العامة . ولجأت ايضا إلى إثارة حفيظة السنة وشعورهم الديني باللعنة على اصحاب رسول الله وكتابتها على المساجد والأسوار ،وفي اليوم التالي محتها السنة ،واستبدلت اللعنة من يومها بإشارة من الوزير المهلبي "(٦)

---

(١) الامتاع والمؤانسة : ١٥١/٢ - ١٦٢ . انظر البداية والنهاية : ٢٣٩/١١ .

(٢) الامتاع والمؤانسة : ١ /٢٢٥ .

(٣) البداية والنهاية : ٢٧٩/١١ . انظر شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي ٣ /١٠٢ . مكتبة المقدسي ١٣٥٠هـ .

(٤) انظر الكامل: احداث ٣٥٨هـ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ - ٣٦٣ . البداية والنهاية ٢٦/١١ ٢٧٣/١١ . ٢٧٥/١١ .

(٥) ذيل تجارب الامم : ابوشجاع الروذراوري : ٤٥٨ . عناية امدروز: شركة التمدن الصناعية - مصر ١٣٣٤هـ- ١٩١٦م .

(٦) الكامل : ٧ /٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكان ابو احمد الموسوي حمامةَ السلام بين الفئات الاجتماعية والدينية لما كان يتمتع به من دهاء سياسي ،ومن مكانة في قلوب العامة والخاصة مما عرَّضَهُ لكثير من مضايقات الدولة ،فصودرت أملاكُه بوشاية من حساده ،وسجن على اثرها.(١)

كل هذا والشريف في بداية شبابه وانفتاحه على المجتمع ،فأثرت به شخصية والده الفذه ،وماكان يتمتع به من سمعة اجتماعية ومحبة كثيرة في قلوب الناس ، بغض النظر عن مذاهبهم واهوائهم ،وعاش فترة من الحرمان المادي والمعنوي بمصادرة املاك والده ،وضيق العيش ،وفقدان النموذج ،مما جعله يقبل نحلة استاذه الطبري ، ابو اسحق ابراهيم بن أحمد الطبري ،وهذا دليل على انه يمر في ضائقة مادية.(٢)

اما فئة الارستقراطيين والاغنياء فكانت تعيش حالة من الثراء الفاحش والتمرغ في النعيم الطائل على حساب العامة والرشاء وكثرة جلب الضرائب بجميع انواعها . ولنظرة في حياة الصاحب بن عباد . او ابي الحسن المهلبي وكثرة عطاياهم ، وتنوع مجالسهم الأدبية ،واصناف موائدهم في رمضانَ وغيره ،وجهازَ عروس الطائع تنبيء عن مدى الثراء الفاحش الذى تعيشه وعن مدى سرقة الاموال من اصحابه .

واُخبر الثعالبي في يتيمة الدهر أن الوزير المهلبي كان يعقد جلستين في كل اسبوع للمثقفين والعلماء والسياسيين من أبناء عصره ،ومن جملتهم ابن فريعة وابن معروف والقاضي التنوخي ،فكانوا يجلسون مجالس الانس ويستمعون الى الحسان الجواري وأغانيها ،ويرقصون سكارى ،ويبللون لحاهم بالشراب القطربلي ،واذ ما أطلَّ الصباحُ وجدتهم يلبسون ملابسَ الوقار والحشمة وينزلون ،ويحكمون للناس.(٣)

وتبعا لهذا التميز الطبقي ،وانقسام المجتمع الى غني وفقير ،فقد نشأت عادات اجتماعية جديدة ناجمة عن هذا التميز ،فساد النفاق الاجتماعي والانتهازية وتبدلت اخلاق الناس بتبدل احوالهم .

وانتشر المجون وأثَّر بدوره على الحياة الفكرية فنتجت عنه ظواهر اجتماعية غريبه عن المجتمع العربي مثل ظاهرة التغزل بالجواري والغلمان ، اللذين هما مظهران من مظاهر ترف الطبقة الارستقراطية ،وسجل الشعراءُ علامةً لهم على الفسق والفجور والمجون ،فبرز منهم ابنُ سكرة الهاشمي ، وابنُ حجاج ،وابو الحسن السَّلامي وغيرهم (٤)

---

(١) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ٤٨/١ تحقيق حسن تميم - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٣ وانظر الكامل ٧ /١٠٣ .

(٢) روضات الجنات : الخوانساري : ١٩٥/٦ . تحقيق اسد الله اسماعيليان - دار المعرفة - بيروت . معجم الادباء :١٠٩/١. شرح فهج البلاغة :١١/١/تاريخ بغداد/٦

(٣) يتيمة الدهر : ٣٣٦/٢ .

(٤) يتيمة الدهر : ٤١٤/٢ . ٢١/٣ - ٢٥ . ٥٧/٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واتصل الشريف بالاخرين ، وخاصة ابن الحجاج ، واختار المنتخب من ديوانه (١)

ولم يسلم الشريف من هذه العادة الغريبة ،فوصف غلاما أعجميا ،ومغنية سوداء ،ولكن وصفه لم يتجاوز إرضاء الجمهور كما أخبر جامع الديوان (٢)فالشاعر ابن عصره ،ولكن هذه العادات لم تسد في شعره ،بل على العكس اتجه الى البادية وتغزل بالبدويات .

وأورد الحصرى في زهر الاداب قصة مجالس الأنس التى كانت تعقد في بيت الشريف فقال : " شرب كوران المغني عند الشريف الرضي ،فافتقد رداءه وزعم انه سرق ،فقال له الشريف : ويحك إ من تتهم منا ؟ أما علمت ان النبيذ بساط يطوى بما عليه . قال : انشروا هذا البساط حتى آخذ ردائي واطووه إلى يوم القيامة "(٤)

مهما كانت صحة هذه الرواية إلا أنها تدلنا على مقدار الفسق المنتشر بين اغلب فئات المجتمع

واستعادت الشعوبية عافيتها مرة اخرى ،وقويت شوكتها بانتصار البويهيين فطالعتنا كتب التاريخ بالصراع الاجتماعي الدائر بين الفرس والترك في شمال العراق من جهة ،وبين القبائل العربية والبويهيه والكرد من جهة اخرى ،مما حدا البويهيين الى اذكاء النزاعات بين القبائل العربية كيلا تجتمع ،وخاصة في ظل الليدونة العباسية وحصنتها التي حاولت جاهدة الموصول الى البويهيين ،ولكنها كانت تصطدم ببعض القبائل العربية الموالية للبويهيين .(٥)وهذا الحذر من البويهيين

---

(١) ذيل التجارب : ٤٠٤ .
وانظر الوافي بالوفيات : الصفدى ٢ /٣٧٥ . باعتناء (س . دريد ينغ ،فرانز شتاير فيستبادن ١٣٩٤ ،١٩٧٤م

(٢) ديوان الشريف الرضي : طبعة دار صادر : ١٩٨/١ . ٥١٤/١ . ٦٦٤/٢ . ٣١٢/٢ . ٤٧١/٢ .

(٣) زهر الاداب : الحصرى : ٤٩٦/٢ . شرح زكي مبارك - دار الجيل - بيروت .

(٤) الوافي بالوفيات : الصفدى : ٢ /٣٧٥ انظر الكامل ١٠٩/٧ ، ٧٢/٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ضروري لتوطيد حكمهم، لان الفاطميين ينتهون في أصولهم الى آل البيت، والعرب جميعا تكن المودة لآل البيت . وقد تكون هذه الحالة أدعى لتوجه الشعراء للبداوه وانتهاء بالشريف الرضي ،والتبجح بالنسب العربي ،بدءا من المتنبي ومرورا بالشريف الرضي ،وانتهاء بمهيار الديلمي .

اما خوف العباسيين من الفاطميين فكان اتقاء لسيادة الشيعة ،وخوفا من وصولهم الى سدة الحكم .

- ٣ -

أحدث التفتت السياسي الذي اتخذ التشيع والعروبة مطيه له ، ضجة فكرية في فكر كل من الشيعة والسنة من جهة ،والقوميين العرب والفرس من جهة اخرى . فنشط الحزب الشيعي للمدافعة عن حقه المسلوب ،وقد رفد الشعر هذه الحركة النشطة ،وذلك النصر الشيعي في كل مكان سواء كان نصرا للفاطميين ام للبويهيين ،ام للحمدانيين ام للقرامطة ... الخ.وكثر العلماء ،ونشط عملهم علماء مفكرون ،وادباء مبدعون ،ملتزمون بمبادىء الحزب . ومن ابرز علماء ذلك العصر . الشريف المرتضى شقيق الشريف الرضي وخلف لنا الامالي الكبير في تفسير القرآن ،وترك لنا ديوان شعر ضخم ،وكذلك الشيخ المفيد ابن المعلم وابن الجراح ،والتلعكبري، كما وبرز لنا في علم النحو أبو علي الفارسي والسيرافي ،وابن جنى ،وكل منهم كان ذا نزعة شيعية وميلا إلى الاعتزال .

ومقابل هذه الحركة الفكرية النشطة في الحزب الشيعي - ان جاز التعبير برز لنا ائمة السنة وفقهاؤها يدافعون عن الفكر السني والسنة النبوية ،وينعون على الشيعة بعض افكارهم ،وسياساتهم ،ومن هؤلاء ابو بكر محمد بن موسى الخوارزمي والطبرى ،فكانا من اساتذة الشريف - وسنأتي على ترجمة لهما - ووضح الخوارزمي في كتاباته ذات النقد اللاذع والطريق الفكهة سياسة البويهيين ومحاولاتهم لاستغلال الشيعة بغية تحقيق أهدافهم السياسية .

ونشطت اللغة العربية في العصر البويهي خلافا لتوقعات الساسة الذين ظنوا أن آل بويه سيضطهدون الثقافة الفارسية ،لكنهم - اي البويهيين - شجعوا اللغة العربية ،وعملوا على رفعتها ،واهتموا بعلم النحو العربي .و دليل ذلك تأليف ابي علي الفارسي كتاب الايضاح وإهداؤه لعضد الدولة ثم اتبعه بالتكملة والذيل والصلة .(١)

وفتحوا ايضا ابوابهم على مصاريعها للشعراء والعلماء والادباء ،واغدقوا الصلات عليهم ،وخير دليل على اهتمامهم بالعلم هو اهتمامهم باستوزار أبرع الكتاب وابرزهم واعتمدوا عليهم في تدبير شئون الحرب وأمور السياسة والادارة

---

(١) معجم الادباء : ٢٣٤/٧. ذيل تجارب الامم : ٦٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومنهم ابن العميد والصاحب بن عباد ،وابو نصر سابور ،وعبد العزيز بن يوسف وابن المهلب وابو اسحق الصابي وغيرهم .(١)

وانتشرت دور العلم والمكتبات العامة والخاصة ،وأمّها العلماءُ والادباءُ من كل حَدْب وصَوْب لينهلوا منها المعرفة ، و من اشهرها مكتبة ابي نصر سابور بن ازدشير ،وقد ضمت عشرة الاف كتاب (٢)ومكتبة الصاحب بن عباد التي بلغت عدتها حمل سبعمائة بعير.(٣)وكان بيته محجة العلماء ،وقبلة الشعراء ،ومورد رزق الاغنياء والفقراء حتى فاق منزله منزل عضد الدولة البويهي ،وكان شيعي المذهب ،ميالا الى الاعتزال ،اتصل به الشريف الرضي ومدحه ايضا بعد ان وصل الشريف خبر اعجاب الصاحب بن عباد بشعره فنسخ له نسخة وبعثه اليه .(٤)

وكذلك مكتبه ابن العميد ومجالسه ،وشهرة بلاغته حتى قيل فيه :" بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ".(٥)ولاننسى دار العلم التى اسسها الشريف الرضي وسنتحدث عنها في الجزء الثاني من هذا الفصل .

افرزت الحالة الاجتماعية نوعين من الادب ،الادب الارستقراطي (ادب الرفاهية) وادب الكدية :" ادب المحرومين والعامة " . كما افرز لنا الادب الارستقراطي اغراضا جديده ،فساد شعر الاخوانيات ،والشكوى من الزمان والعتاب والزهد والمداعبات ،والفاكهات ، والسلطانيات ،والزهريات .(٦)

واسهب الادباء الارستقراطيون في الحديث عن الترف والشراب والقصور والجمال والغزل بالغلمان ، والذين تجسد في ادب الفئة الاولى ، وأدب المحرومين . ومن أشهر شعراء هذا اللون الوزير المهلبي ،والصاحب بن عباد ،والقاضي التنوخي .

---

(١) الادب في ظل بني بويه : محمود غناوى الزهيرى : ١٢٦ - ١٢٧ مطبعة الامانه مصر ١٣٦٨هـ /١٩٤٩م .
(٢) المنتظم : ٣٢٤/٧ .
(٣) روضات الجنات : ٢٠١/٦
(٤) يتيمة الدهر : ٣ / ١٨٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٣ /١٥٤ .
(٦) الشريف الرضي : محمد عبد الغنى حسن : ١٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اما أدب الكدية فعبر به أصحابه عن هموم الطبقات الفقيرة ،وما عانته من حرمان وظلافه العيش ،وشيوع المجون ،ومن اشهر شعرائه ابن سكره الهاشمي(١) وابو الحسن السلامي(٢) وابن حجاج (٣) والأحنف العكبري(٤) وأبو حيان التوحيدي(٥).

وعبر ابن حجاج عن آلام الطبقات الفقيرة وهمومها موازنة بما تتمرغ به الطبقة الحاكمة المترفة ،فقال وقد رأى كلاب عز الدوله بختيار تطعم لحوم الجزاء :-

رأيتُ كِلابَ مَوْلانا وقوفا ... ولا بضة على ظَهْرِ الطّريقِ
تغدى بالجزاء فوددت اني ... وحق الله خوكوش سلوقي
فيامولاى رافقني بكلب ... لآكل كل يوم مع رفيقي(٦)

وبلغ من ضنك العيش والحرمان الى بيع ثيابه فقال :-

يا سادتي - قول ميتْ ... في مثل صورة حي
لم يبق في الخرج شي ... أتأذنون بشي(٧)

وعبر عن الحرمان المادى ، والغربة التي كان يعانيها بين أهله وقومه فرفض المجتمع معاضدته لحل أزماته ،وفلضيكته فتكالبت عليه الديو ن ،واُضطرته الى الهرب فقال :-

هربتُ من موطني الى بلد ... قد صَفَرَ الجوعُ فيه منقاري
يقول قومٌ فر الخسيسُ ولو ... كان مني كان غَيّرَ فرّار(٨)
لا عيبَ لا عيبَ في الفرار فقد ... فرّ نبيٌّ الهدى الى الغارِ

ووصف ابنُ الحجاج منزله الخاوى ،وقلة اصدقائه بعد ان كانوا كثيرين ولا يحصون ، ووصف نفسه وقد هزل هزالا شديدا حتى تغيرت حاله (٩)

---

(١) يتيمة الدهر : ٣/٢٠ - ٢٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٢ /٤١٤ - ٤١٥ .
(٣) المصدر نفسه : ٣/٥٠- ٥٩
(٤) المصدر نفسه ١١٨/٣ خريدة القصر وجريدة العصر : العماد الاصفهاني :٣٠٦/٢ تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروس المطوى الجيلاني : الدار التونسية ١٩٦٦م .
(٥) الامتاع والمؤانسة : ٣ /١٥١ - ١٦٢ .
(٦) المصدر نفسه : ٣ /١٦١ .
(٧) يتيمة الدهر : ٣ /٥٧ .
(٨) المصدر السابق : ٢ /٤٩ .
(٩) المصدر السابق : ٣/٥٤ - ٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وداعبت الأمانيّ الاحنفَ العكبريَ ،داعبةَ الترف ،وتطليق حياة الفقر فقال : -

رأيت في النوم دنيانا مزخرفةً مثلَ العروس تراءت في المقاصير
فقلت : جودي فقالت لي على عجل اذا تخلصت من الخنازير(١)

هذا يدلنا على مدى الحرمان الذى عاناه الشعراء حتى اقتناوا الحرام ومن جهة اخرى عبر الشعراء عن انتشار العادات الغريبة بين المترفين مثل عادة انتشار الجوارى والغلمان ،فشكاها الخالديان قائلين :

بغداد قد صار خيرها شرا صيّرها اللّهُ مثلَ سامرا
اطلب وفتش واحرص فلست ترى في اهلها حرةً ولا حرّا(٢)

لقد تغيرت معالم الجمال والحرية في بغداد ،واصبح المجتمع مجتمع جوار كمجتمع سامرا في زمن المعتصم ،والمتوكل ،وقد عانى ابن سكره الفقر ،وكان يرى ان الفقر لم يتسلط الا على الهاشميين ،فهم محرومون ولا ذنب لهم الا انهم هاشميون فقال : -

جنى نسبي علي ،وصد رزقي واثكلني من الدنيا نصيبي(٣)

وفي موضع اخر ،وقد تأخرت به الدنيا لا لشيء الا لانه سني فقال :

اسعى لادرك حظا لو حظيت به ما كنت اول محظوظ من الهمج
ذنبي الى الدهر اني ابطحيّ أب ولست أعزى الى قُمّ ولا كَرَج(٤)

لقد عبر ادب الكديه عن المجتمع بهمومه و أخلاقه ،وعاداته والامه وامانه خير تعبير ،وصور المجتمع دون خجل اوواجل بصورة فكيه وخاصة مقامات الخوارزمي

واخيرا نستطيع ان نقول : ان العصر البويهي مثل العصر الذهبي للادب والفكر معا ،فالتفتت السياسي والانحلال الاجتماعي قدما خدمة جلى للأدب والفكر العربي ،اذ جعله يتسم بالثورية ،ويتشح بالرفض مما كان له الاثر الاكبر في ثقافة الشريف ،وتكوين فكره الثوري .

---

(١) المصدر السابق ٣ /١١٨ .
(٢) يتيمة الدهر ٢ /٢٠٧ .
(٣) المصدر السابق ٣ /٢٢ .
(٤) المصدر السابق ٣ /٢٠ - انظر ٣ /٢٣ - ٢٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيـــا : حياة الشريـــف الرضـــي

الشريف الرضي هو ابو الحسن محمد بن الطاهر ابي احمد الحسين بن موسى ابن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ... ابن علي بن ابي طالب [١] ولقـــب بالموسوى نسبة الى موسى الكاظم أحد اجداده ،ولقبه بهاء الدولة بالرضـــي ذي الحسبين ولقب اخاه عليا بالمرتضى ذى المجدين [٢] وأجمعت اغلب المصادر التاريخية على ان مولده كان سنة ٣٥٩هـ ،ببغداد في خلافة المطيع لله العباسي والسلطـــان البويهي بختيار عز الدولة بن معز الدوله [٣].

درج الشريف الرضي في بيت والده النقيب ابي احمد الموسوى ، وكـــان والده " جليلَ القَدْرِ ،عظيمَ المَنزِلَةِ في دولة بني العباس ،ولُقِّبَ بالطّاهـــرِ ذي المناقب ،وكان مبارك الغُرّة ،ميمونَ النقيبةِ ،مهيبا نبيلا ، ما شرعَ في اصـــلاح امر فاسد الا وصَلُحَ على يديه ،وانتظمَ بحُسْنِ سِفارتِهِ ،وبركة همتهِ ،وحسن تدبيره ووساطته "[٤]

وشغل والده عدة مناصب في الدولة ،منها نقيب الطالبيين في بغداد ،ثـــم في جميع البلاد ،وولاية المظالم ،وامارة الحج ،وتقلب في هذه المناصب ما بيـــن ولاية وعزل منذ عام (٣٦٢هـ - ٣٨٠هـ) [٥]

---

(١) وردت تراجمه فيما يلي : - يتيمة الدهر : ٣/ ١٣٦ - ١٥٦م شرح نهج البلاغـــة ٤٧/١ - ٥٤ ،روضات الجنات ١٩٠/٦ - ٢٠٩ .
النجوم الزاهرة : ابن تغرى بردى الاتابكي : ٢٤٠/٤ ،طبعة دار الكتب ،وزارة الثقافة والارشاد القومي .
دمية القصر وعصرة اهل العصر : الباخرزى : ٢٠٣ . مطبعة المعارف - بغداد تحقيـــق سامي العاني ١٩٧٠م - ١٣٩٠هـ .
الغدير: الاميني : ٤ /١٨٠ - ١٩٢ - دار الكتاب العربي بيروت - ١٩٧٧. ط ٤ .
ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي ٣ /٥٢٣ تحقيق علي البجاوى دار احيـــاء الكتب العربية وعيسى الحلبي
مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي المكي ١٧/٣ - ٢٠ مؤسسة الاعلمي للمطبوعـات لبنان - ط٢ ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م ،

(٢) وفيات الاعيان : ج٤/٤١٤ - ٤٢٠ .
(٣) البداية والنهايه ج١٢/٣ - ٤ .
(٤) شرح نهج البلاغة ٤٨/١ .
(٥) الكامل : ٢١٦/٧ ، ٢١٦/٨ . البداية والنهايه : ٢٢٧/١١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واشترك أبو أحمد الموسوى بإخماد الفتنة التي دارت بين عامة السنه والشيعة عام ٣٦٠ وقال التوحيدى : (لما أُحْرِقَ الكَرْخَ تدخل ابو احمد واخمد الفتنة وقضى على فتنه الشطار والعيارين ،وعلى اثرها عزل عن الولاية)[١] وكان حمامةَ السلام بين المتنازعين على جميع المستويات ،فتدخل في الصلح بين الاخوين المتغلبيين ،ابي ثعلب الحمداني واخيه ،وكذلك في الصلح بين الاخوين عز الدولة بختيار وعضد الدولة ولسوء حظه ،انه كان الى جانب بختيار ،وما ان امسى عضد الدوله سلطان البلاد ،وقد دخل بغداد عام ٣٦٩ هـ حتى كان قد خبر السياسيين الذين خاصموه من قبل مثل ابي احمد وابن عمر العلوى ،والقاضي ابن معروف فصادر ممتلكاتهم وسجنهم في القلعه بفارس [٢]

وظلَّ أبو احمدَ في سجنه حتى تسلم الحكمَ شرفُ الدولة بن العضد بعد وفاته فاطلق سراحَه وصحبَهُ ،وقدم بصحبته بغداد ٣٧٦هـ [٣]واستقبل الشريفُ الرضيُّ ذلكَ الحدثَ التاريخيَّ بالابتهاج والتهليل كما سنرى .

شهد الشريفُ علوّ مَجْدِ والدِه وسموَّه وعرف مكانته في قلوب الساسه والعامة ولكنه في ظل هذه الفرحه الغامره بالاب النموذج ،الاب القدوة ،والسياسي الناجح المحبوب ،فوجئ بسجن والده ،وقد قيد بالاغلال بعد ان كان مجللا بالمهابه والاحترام ،وصودرت املاكه . وبذلك فقد الابن الاب الراعي والممول ،وعاش فترة من الحرمان المادي إلى جانب الحرمان المعنوي من حنان الاب ،فوقعت الضائقة بعد رغد العيش ،ودفعه هذا الى ان بعث رسالة الى ابيه السجين ،يشكو حاله قال فيها :

اُكْدَتْ عليَّ الارْضُ مِنْ أطرافِهـا ، وتَذَرَّعَتْ بمدارعِ الإظْلام
اشكو واُكتمُ بعضَ ما أنا واجدٌ ، فاُعافُ أنْ أشكو مِنَ الإعدام[٤]

ودهش استاذه الطبرى لما علم منه انه يسكن في دار المحول بدار ابيه و لايملك دارا ،فوهبه داره التي تسمى بباب البركه وأبت نفسه قبول تلك النحلة ،وتعلل لاستاذه ،بانه قد رفض بر أبيه وأحتج استاذه عليه بان بر الاستاذ اوجب من بر الاب . لانه قد درس عليه القران فقبلها بالحجة "[٥]

---

(١) الامتاع والمؤانسة : ٣ /١٥١ – ١٦١ انظر تاريخ ابن خلدون ٧/ ٥٤٠ – ٥٢٢
(٢) الكامل : ١٠٣/٧ .
(٣) شرح نهج البلاغة : ٤٨/١ .
(٤) الديوان : ٣٦٧/٢ .
(٥) روضات الجنات : ١٩٥/٦ . شرح نهج البلاغة ١١/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقامت الأم بدور الأب الراعي المرشد ،فحفظت بيتها وأولادها ،وتعهدتهم بالرعاية والتعليم ، حتى يعود الزوج الراعي ، وجاءت بالشريفين الرضي والمرتضى الى حلقه الشيخ المفيد ليتلقيا العلم على يديه .(١)

واكتهلت نفسه وهو شاب ،وامتلأت غيظا وحقدا على الملوك عامة والبويهيين خاصة ، وحمل على عاتقه عبء الثأر لوالده ولنفسه التي شهدت ذلك الحادث ،ولم يستطع الدفاع عنه لصغر سنه ،وقلة حيلته ، ولا ننسى ايضا انه ورث منذ ولادته فجيعة الهاشميين، ورأى الامة ظالمة ،فالأمة التي ظلمت آباءه من قبل هي الأمة التي ظلمت اباه اليوم .

ونبغت شاعريته وهو ابن عشر سنين على حد قول الثعالبي ، ومن اولى قصائده القصيدة التي هاجم فيها الوزير ابن المطهر ،الذى كان الساعد الايمن لعضد الدولة في سجن والد الشريف ،مطلعها : -

نصافي المعالي والزمانَ معانـد وتنهض بالآمالِ والجَدّ قاعِـدُ (٢)

وبعدها نفح الأدب العربي بمدائحه لوالده ،وقصائد فخره التي ارسلها اليه في سجنه ،يعده فيها بالثوره والخلاص ،ولكن الغَصّةَ تبقى في حلقه ما دام عضد الدولة حيا ،وفي الوقت نفسه لا يملك القدرة على هجائه ،وسنحت له اول فرصه بهجائه بمساعدة الزمن اذ قبضت روح العضد ،فأظهر شماتته وأرسل رسالة الى والده بالخبر السعيد قال فيها : -

أبلغا عني الحسينَ ألوكـا أن ذا الطّود بعد عهدك ساخـا (٣)

ولما اطلق سراح والده وعمه ،ودخلا بصحبة شرف الدوله بغداد ، تهلل وجهه وانطلقت أساريره ،اذ روض نفسه على مدح السلطه ،فشكر السلطان البويهي الجديد ،ومدح الخليفه الطائع .(٤)

ومثل عام ٣٧٦هـ مرحلة جديده ،ومهمة في حياة الشريف ،وهي مرحله النضج العقلي ،والسياسي ،والاجتماعي ،وبدأ باتصالاته مع السياسيين ورجالات المجتمع كا الخليفة العباسي فكال له المدائح والتهاني . واستغل كل فرصة تلوح له بمدح الخليفة والتقرب منه .

---

(١) النذير : ٤ /١٨٤ .
(٢) الديوان : ١/٣٠٥ .
(٣) الديوان : ١/١٦٧ ألوكا ،رساله . الطود : الجبل واراد عضد الدولة .
(٤) الديوان : ٢/١٢٨ - ١٣١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي عام ٣٨٠هـ دخل الشريف مرحلة جديدة في حياته ،وهي مرحلة توليه المناصب الدينيه والسياسية التي كان يتولاها ابوه من قبله " وتقلب في المناصب المختلفه حتى سنة وفاته .(١)

وشهدت هذه المرحلة فتورا في ثورته ،واصبح شعره رثاء للأموات ،وزهدا في الدنيا ،ورفضا لها ،وزاد اهتمامه بالعلم والتأليف ،وحفظ القران ،وقال ابن ابي الحديد : إِنَّهُ أقبل على قراءةِ القرآن بعد سن الثلاثين .(٢)

وفي سادس المحرم بكرة يوم الخميس ،وقبل صفر سنة ٤٠٦هـ ،توفي الشريف الرضي ببغداد ،ودفن في داره بخط مسجد الانباريين بالكرخ ،وخربت داره ، ودثر القبر ، ثم نقلت جثته إلى كربلاء ودفن إلى جانب والده .(٣)

- ٢ -

من الضروري ان نتبين شخصية الشريف الرضي ومكوناتها ،ويمكن قسمتها الى قسمين : -

١ - مكونات خَلْقيّة

٢ - مكونات خُلُقيّة

لم اعثر في المصادر القديمه على وصف لشخصية الشريف الجسمية " الخَلْقيه " ولكن زكي مبارك زعم انه كان يتمتع بقدر واف من الجمال وصباحة الوجه وزعم انه قد نقله عن شيخه المفيد انه : " حرم النظر اليه حتى نبت عارضاه واخضر شاربه "(٤)

ولكن مبارك لم يحلنا الى ذاك المرجع الذى نقل عنه حتى نتأكد من صحة قوله ،ويبدو لي أنه توصل إلى هذا الرأي ،كون صباحه الوجه من شروط صحة الإمام عند الشيعة .(٥)

---

(١) الكامل : ١٠٥/٩ البدايه والنهايه ٣٣٣/١١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٤٨/١ .

(٣) شذرات الذهب ١٨٤/٣ . الغدير ٢١٠/٤

(٤) عبقريه الشريف الرضي : زكي مبارك : ١١٧/٢ . مطبعة حجازى ط٢ - ١٩٥٢م .

(٥) الملل والنحل الشهر ستاني : ٧ .مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت ١٩٨١م ،ج١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويرى المطرودى رأى كرنكو في دائرة المعارف الاسلاميه [١] أن الشريف كان ضعيف البنيه ،ممراضا ،وأنه كان يشكو علة يكتمها الناس ،ظهرت مرارا في شعره ،وأنها سبب وفاته مبكرا . وعلل المطرودى رأى مبارك وكرنكو في ضعف بنيته بأن مبارك قصد ذلك دبجازا أو تعبيرا عن علو همته وطموحه التي انتهت بالفشل وظهر فشله بشكل شكوى الزمن والشيب [٢] وهذا التعليل مريح من المطرودى ،واضيف الى رأيه : ان زكي مبارك ربما استقى هذا من الخوانساري ،من مقولة للشريف المرتضى قالها استدلالا على ذكاء الرضي الذى أكمل اجازة البيت الذى قالته المرتضى ولم يستطع المرتضى تكملته . فبعث بنصف البيت الى اخيه فأكمله ،فقال المرتضى : " يعز على اخي يقتله الفهم بعد أسبوع "[٣]

ويبدو ايضا أنه كان يملك لحية طويلة كما نفهم من قصة شم لحيته في مجلس القادر بالله حتى استطاع ان يوصل طرفها الى انفه [٤]

افرغ الشريف في ديوانه الضخم كل صفاته الخلقية ،من طموح وعلو همه وعفة ... الخ وجمعها ابن عنبة بقوله : " ذو الفضائل الشائعه ،والمكارم الذائعه ،كانت له هيبة وجلاله ،وفيه ورع . وعفة و تقشف . ومراعاة للأهل والعشيره "[٥]

لقد طمحت نفسه الى المجد والعلا . ورفض الخنوع والذلة لغير ذاته فرفض التسلط بكل انواعه ،وقرر أن يملك المجد من قرنيه اذ قال : -

دعني أخاطِرُ بالحياةِ ،وإنّما ... طَلَبُ الرِّجالِ العِزَّ ضَرْبُ قِداحِ
إمّا لِقاءُ المَلْكِ قَسْراً ،أوْ كَما ... لَقِيَ ابنُ حُجْرٍ من يَدِ الطَّمّاحِ[٦]

تواترت القصص في وصف إباءه ، وعفته ،منها ما أورده ابن الحديد عن الاسفرا يني الفقيه المعتزلي ،من اعظام فخر الملك للرضي ،وذكر عفته ،حيث قال الوزير للفقيه :" إنه قد وُلِدَ له (الشريف) وَلَدٌ فأنفذت الف دينار. وقلت له : هذه للقابلة ،فقد جرت العادة ان يحملَ الأصدقاء الى أخلائهم ، وذوي مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحاله ، فردها ، وكتب الي هذا الكتاب ،فاقراه . قال فقرأته وهو اعتذار عن الرد ، وفي جملته أننا اهل بيت لا يطلع على احوالنا قابلة غريبه ،وانما عجائزنا يتولين هذا الامر من نسائنا ،ولسن ممن يأخذن ولا يقبلن صلة ..."[٧]

---

(١) دائرة المعارف الاسلاميه : كرنكو ٢٨٥/١٣ - تجران - بوذ - جمبرى .
(٢) الشريف الرضي : محمد المطرودى ص١١١ النادى الادبي الرياض ٤٠٤ هـ ١٩٨٤م انظر عبقرية الشريف الرضي : زكي مبارك ١٦٣/١ . المطبعة العصريه صيدا بيروت .
(٣) روضات الجنات : الخوانساري : ٢٠٠/٦.
(٤) الوافي بالوفيات : الصفدى ٣٧٦/٢ .
(٥) روضات الجنات : ١٩٤/٦ .
(٦) الديوان : ٢٥٣/١ .
(٧) شرح نهج البلاغة : ٥٢/١ - ٥٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رفض أعطية الوزير في حين كان يقبلها كل الشرفاء ،ولا حرج في ذلك ،ليس ذلك فقط ،بل كان يربي ابناءه وتلامذته على هذا الخلق الرفيع (١)، ورفض ايضا التكسبَ بشعره والتمرغ على عتبات السلطان ، فقال مخاطبا الطائع : -

مَدَحْتُ اَميرَ المؤمنين وإنّـهُ ... لأشْرَفُ مأمولٍ وأعلى مؤمّـلِ

فأوسعني قَبْلَ العَطاءِ كرامـةً ... ولا مَرْحَبـاً بالمالِ إنْ لم أُكَـرَّمِ (٢)

فقـدم الكرامة على المال ،ورفضه ان كان على حساب كرامته ،وتبعا لذلك زهد في الدنيا ،ورفض بهرجها الزائف اذ قال : -

خطبتني الدنيا فقلت لها: ارجعـي ... اني اراكِ كثيرةَ الأزواجِ (٣)

واتسم الشريف ايضا بالوفاء ، فكان وفيا لاصحابه ،وقومه ، خاصةً للخليفة الطائع وأبي اسحق الصابي ،اما وفاؤه للخليفه فتجسد في وقفته الى جانبه لما خلعه بهاء الدوله ،وعيّن مكانه الخليفةَ القادر، فلم يخش سطوة بهاء الدولة ولا غضبَ القادر ، فهدد البويهيين بأخذ الثأر منهم له ، والمدافعه عنه (٤)ورثاه رثاء مرا عند وفاته دون أدنى خوف أو اعتبار للخليفه القائم والسلطان اما وفاؤه للصابي فظهر في شعره كثيرا ، اذ كان كلما مر على قبره تذكّرَهُ ،وقد رثاه في ثماني قصائد متفرقه زمنيا وأخذ الناس عليه موقفه فقال : (رثيته لفضائله "(٥)

كما عبر في رسالة لأحد اصدقائه عما آلت اليه حالته من فقدانه لأبي اسحق الصابي وأفاض فيها في ذكر محاسنة وفضائله (٦)كما واتسم بالشدة والغلظه ، كما تنبئنا قصته مع المرأة التي جاءت تشكوه زوجَها فأتى به ، وراح يضربه حتى اقترب من الموت ، فصاحت به واستنجدته أن يكف ، فصاح بها : انه ليس معلم كتاب.. (٧)

(١) المصدر نفسه : ٥٣/١ .
(٢) الديوان : ٤٠٥/٢ .
(٣) الديوان : ٢١٩/١ انظر : ٥٩٧/١ ، ٢٢٠/٢ .
(٤) الديوان : ١٩/٢ ، ١٩٤/٢ .
(٥) الصابي : ابراهيم بن هلال الصابي المكنى بأبي اسحق ،وهو من حران،ولد ونشأ وتعلم ببغداد سنة نيف وعشرين وثلاثمائه هجرية ،له باع طويله في الهندسة والرياضيات والتنجيم ،ويعد من أمراء الادب وأشهرهم ،ومن عمداء كتاب الرسائل ،قلد ديوان الرسائل للوزير المهلبي ثم معز الدولة ٣٥٢هـ فعز الدولة ،واشترك في النزاع الذى حصل بين بختيار وعضد الدولة ولما تسلم عضد الدولة الحكم حنق عليه وسجنه لموقفه الى جانب بختيار ،ثم عفى عنه بشفاعة الشرفاء ،ولكنه ظل مبعدا . كتب كتاب (التاجي في اخبار آل بويه " وهو في سجنه وعندما سئل عنه قال : انها أباطيك انمقها وأكاذيب الفقها" وخلف لنا ديوان شعر - وديوان رسائل منها رسائله التي دارت بينه وبين الرضي توفي عام ٣٨٤هـ بعد ان عمر وزمن ورثاه الشريف رثاء مرا. انظر ترجمته : معجم الادباء لياقوت الحموى . ٢٠/٢ - ٩٤ .
(٦) رسائل الصابي والشريف الرضي :١٠٣ - ١١٢ تحقيق محمد يوسف نجم * دائرة المطبوعات والمنشورات الكويت /١٩٦١م .
(٧) الوافي بالوفيات : ٣٧٩/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكان كريما جوادا في ساعة العسره مع اصدقائه وغيرهم ،حتى انه اضطر لبيع صحن بمبلغ تسعة وأربعين درهما لينفقها على نفسه وأهله ،فجاءه الشاعر الخالع مادحا ،فكافأه بالدراهم كلها ،فاستقلها الشاعر ، وجاء السوق فاذا البائع يصيح على بيع صحن قائلا ،إنه خرج اليوم من دار الشريف الرضي وباعه بتسعة واربعين درهما ،فعرف الشاعر ان الشريف يمر في ضائقه ماليه [١] كما ونزل ايضا عن جل ماله لتلاميذه الذين كانوا يقيمون في دار العلم التي اسسها الشريف .

٣ - ثقافتـــه :

كيف اثرت الحياة الفكريه بنشاطاتها المتنوعه في تشكيل فكر الشريف الرضي ؟؟

تلقى الشريف العلم على ايدى كبار علماء عصره في علوم الفقه والحديث والنحو واللغة ، ومن اساتذته وشيوخه .

١ - الشيخ المفيد (ت ٤١٣) .[٢]

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد . قرأ عليه الشريفان الرضي والمرتضى الفقه ، وكان فقيه الامامية في وقته " وأورد أبن أبي الحديد بداية تلمذة الشريف على الشيخ المفيد اذ نقل عنه : " كان المفيد قد رأى في منامه فاطمه الزهراء ، بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، دخلت اليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها ولداها الحسن والحسين صغيرين ،فسلمتهما اليه وقالت له : علمهما الفقه ،فانتبه متعجبا من ذلك ، فلما تعالى في صبيحة تلك الليله التي رأى فيها الرؤيا ،دخلت اليه المسجد فاطمة بنت الناصر ، وحولها جوار لها وبين يديها ابناها علي المرتضى ، ومحمد الرضي صغيرين ،فقام اليها وسلم عليها ، فقالت له : ايها الشيخ ، هذان ولداي قد احضرتهما اليك لتعلمهما الفقه ، فبكى الشيخ وقص عليها المنام وتولى تعليمهما"[٣]

- ابو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨)

ابو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي [٤] درس عليه الشريف

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ابن الجوزى : ٢٧٩/٧ طبعة دار المعارف العثمانيه - حيدر اباد الركن - ١٣٥٨هـ الطبعة الاولى انظر ترجمة اليتيمة ٨١٢١/٣

(٢) شذرات الذهب : ٣ /١٩٩ . الغدير : ٤ /١٨٤ .

(٣) شرح نهج البلاغه : ٥٤/١ .

(٤) البدايه والنهاية : ١٣٢/١١ . النجوم الزاهره : ٢٠٩/٤.

(٥) انباه الرواة على انباه النحاه للقفطي ٣ /١١٤ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والنحو والفرائض والعروض [١]

ابو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) [٢]

ابو علي الحسن بن احمد الفارسي ، صاحب الايضاح والتكمله والديل والصله) اخذ عنه الشريف النحو ودرس عليه الايضاح ، واخذ اجازه فيه ، ذكرها في كتابه المجازات النبوية [٣]

- ابو الحسن الربعي (ت ٤٣٠هـ)

ابو الحسن علي بن عيسى الربعي النحوى . درس عليه النحو [٤] قرأ عليه مختصر الجرمي ،وقطعه من كتاب الايضاح لابي علي الفارسي والعروض للزجاج والقوافي للأخفش [٥]

- ابن جني (ت ٣٩٢هـ)

ابو الفتح عثمان بن جني [٦] اكثر الشريف النقل عنه في المجازات النبويه [٧] وتلخيص البيان [٨] درس عليه النحو [٩] وكان الشريف معجبا به ، وكان الاستاذ حفيا بتلميذه ، وكان كثيرَ المدارسةِ لشعرهِ ،فسّر قصيدَته الرائيةَ التي رثى بها ابا طاهر الحمداني فشكره الشريف شعرا ،ورثاه عند موته رثاء مرا. [١٠]

- القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥).

ابو الحسن عبد الجبار بن احمد قاضي القضاة ،شافعي معتزلي [١١] قرأ عليه الشريف تقريب الاصول [١٢] ، وكتاب العمدة في اصول الفقه [١٣]

---

(١) النجوم الزاهره ١٣٣/٤ شذرات الذهب ١٨٢/٣ وفيات الأعيان ٣١٦/٤.

(٢) النجوم الزاهرة :١٥١/٤؛ شذرات الذهب ٨٨/٣ .

(٣) المجازات النبويه ؛ الشريف الرضي : ١٠٢ تعليق محمود مصطفى - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ١٣٥٦ - ١٩٣٧م .

(٤) المصدر نفسه : ٦٠ ،١٠٢ ، ٢٨٣ . نزهة الالباء - ٢٥٠.

(٥) الغدير: ٤ /١٨٤ . المنتظم : ٢٢٣/٧ .

(٦) وفيات الاعيان : ٤١٢/٢ . شذرات الذهب ١٠٢/٣ .

(٧) المجازات النبوية ٣٠ ، ٦٠ ، ١٠٢ ، ٢١٢ .

(٨) تلخيص البيان ؛ الشريف الرضي ١٦٠ ، ١٣٤ ، ١٨٦ مطبعة المعارف - بغداد ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

(٩) الغدير: ٤ /١٨٤ .

(١٠) ديوان الشريف الرضي : ١ /٤٩ . ٦٦/٢ .

(١١) شذرات الذهب : ٣ /٢٠٢ ، الغدير ١٩٣/٤ .

(١٢) تلخيص البيان : ١٢٧ ، ١٥٤ .

(١٣) المجازات النبوية : ٢٦٦ ، ٤٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابو بكـــــر الخوارزمـــــي (ت ٤٠٣هـ) .

(محمد بن موسى ابو بكر الخوارزمي شيخ الحنفية وفقيههم ،سمع الحديث عن أبي بكر الشافعي ،وانتهت اليه الرياسة في مذهب ابي حنيفة ،وكان معظمـــــا عند الملوك ،وكان من تلامذته الشريف الرضي ...) (١)

قرأ عليه مختصر الطحاوي (٢) ،كما واكثر النقل عنه في المجازات النبوية (٣)

- ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤هـ) .(٤)

الاديب والمؤرخ صاحب كتاب معجم الشعراء ،أخذ عنه الشريف الفقه والحديث وأشار اليه في المجازات النبوية (٥).

- ابو حفص الكنانـــــي (ت ٣٩٠هـ) .

عمر بن ابراهيم الكناني ،روى عنه الشريف الحديث ،وذكر في المجـــازات أنه قرأ عليه القرآن بروايات كثيرة (٦) كما ونقل عنه في التلخيص(٧).

- سهل بن أحمد الديباجي (ت ٣٨٥).

روى عنه الشريف في المجازات النبوية (٨) .

- ابو الفرج المعافى بن زكريا (د.ت) .

قـــــرأ عليه القـــــرآن كمـــــا اشار فـــــي تلخيـــــص البيـــــان(٩)

- ابو محمد هارون بن موسى التلعكبرى (ت ٣٨٥) .

لم يشر اليه الشريف في كتاباته ،وذكره الاميني في ثبت أساتـــــذة الشريف (١٠)

- ابو محمد عبد الله بن محمد الاسدى الاكفاني (ت ٤٠٥) .

ذكره الاميني في ثبت اساتذة الشريف(١١) ولم يذكره الشريف في مصادره .

---

(١) المنتظم : ٢٦٦/٧ . الغدير ٤ /١٨٤ .
(٢) تلخيص البيان : ٢٠٥ .
(٣) المجازات النبوية : ١١٥، ٧٣ .
(٤) البداية والنهاية : ٣١٤/١١ .
(٥) المجازات النبوية : ١٦٥ . الغدير ١٨٤/٤ .
(٦) المجازات النبوية : ٣٢ ،١٨٣ . المنتظم : ٢١١/٧ .
(٧) تلخيص البيان : ١٠٢ ،١١٠ .
(٨) المجازات النبوية : ١٨٢ .
(٩) تلخيص البيان : ١٠٢ .
(١٠) الغدير : ١٨٤/٤ .
(١١) المصدر نفسه : ١٨٥/٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابو القاسم عيسى ابن علي بن داوود بن الجراح .
ذكر الشريف في المجازات النبوية أنه قرأ عليه الحديث (١)

- الطبرى : ابو اسحق ابراهيم ابن احمد الفقيه المالكي وهو صاحب قصة الدار التي مر ذكرها مع الشريف وعليه قرأ القرآن (٢)

- ابو عبد الله ابن الامام المنصورى

لغوى من بني هاشم ،ذكره الاميني في الغدير(٣)، ورثاه الشريف ،بقصيدتين(٤)

تنبئنا قائمة شيوخ الشريف الرضي بتنوع أساتذته ، وتعدد مشاربهم ،فمنهم السني ،ومنهم المالكي ، ومنهم الشافعي ، ومنهم الحنبلي ، ومنهم الحنفي ، ومنهم المعتزلي ، ومنهم الشيعي الامامي ، ومنهم الزيدى .. الخ وهذا مما يدلنا على سعة ثقافته اولا ، وعلى مدى رحابه عقله وسعه فكره ثانيا فلم يك متعصبا لحزبه الشيعي ، ولم يمنعه تشيعه من ان يتلقى العلم على اى عالم مهما كان مذهبه .

اما تلامذته فهم كثر ، وأورد الأميني ثبتا في تلامذته (٥) ، ولكني سأكتفي بالاشارة الى تلميذه مهيار الديلمي ، اذ كان تلميذا له في الفكر والفن ، فكان مهيار مقلدا لاستاذه في حجازياته ، ولغته واتجاهه للبادية ، وتابع الطريق الذى بدأه الشريف في الاتجاه نحو البادية ، واختراعه فن الحجازيات ، وكان تلميذا له في الفكر ايضا اذ أسلم مهيار على يد الشريف عام ٣٩٤هـ (٥)واتبع المذهب الشيعي الامامي . ورثى التلميذ استاذه بقصيدتين طويلتين مثبتتين في ديوانه (٧).

مؤلفاته :

اتجهت مؤلفاته الى غير لون من ألوان الثقافة والمعرفه فمنها : -

أ - المجازات البلاغيه في القرآن والحديث .
ب - التراجم .
ج - المجاميع الشعريه والنثرية .
د - التفسير والتأويل لاى القرآن الكريم .

---

(١) المجازات النبوية : ١٨١ . (٢) النجوم الزاهرة ٢٠٩/٤ المنتظم ٢٢٣/٧.
(٣) الغدير : ١٨٤/٤ .
(٤) ديوان الشريف الرضي : ٤٥٩/٢ .
(٥) الغدير : ١٨٥/٤ .
(٦) وفيات الاعيان : ٤٤٤/٤ .تاريخ بغداد : ٣٧٦/١٣ .
(٧) ديوان مهيار الديلمي : ٢٤٩/١ - ٢٥٣ . ٣٦٦/٣ - ٣٧٤. دار الكتب المصرية الطبعة الاولى .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من أشهر آثاره

١ - تلخيص البيان في مجازات القرآن .

كتاب بلاغي يبحث في آي القرآن الكريم . وضح فيه مؤلفه المجازات والاستعارات والكنايات القرآنيه ، ووضحها لغةً ، وأعرب ما فيها من ابهام الصورة واغلاقها . ويبدو أنه كان مشغولا في وقت كتابته في غير كتاب إذ قال في معرض تعليقه على احدى الاستعارات :(... نستقصي ذكرها عند البلوغ اليها من الكتاب الكبير ..." .(١)

وأشار فيه أيضا الى انه كتبه بعد الانتهاء من جمع كتاب نهج البلاغة (٢) وهو كتاب مطبوع . حققه غير واحد من المهتمين منهم محمد عبد الغني حسن وعلي مقلد .

٢ - المجازات النبوية .

كتاب بلاغي يبحث في الحديث النبوى الشريف درس فيه الشريف الاستعارات والتشبيهات والمجاز ألفه بعد ان استحسن الناس كتابه تلخيص البيان وطلبوا منه كتابا على غراره في الاحاديث الشريفة (٣)وهو كتاب مطبوع حققه غير واحد من المهتمين منهم محمد عبد الغني حسن ، ومحمود مصطفى وطه الزيني .

٣ - خصائص الأئمة .

كتاب يبحث في صفات الائمة الاثني بشرة واخلاقهم، وأشار اليه الشريف الرضي في خطبه نهج البلاغه .(٤) ألفه الشريف وهو في عنفوان شبابه وزعم الأميني انه يملك نسخة منه بعنوان:(كتاب الخصائص للشريف) (٥)

٤ - سيرة الوالد الطاهر .

يبحث فيه سيرة والده الطاهر أبي احمد الموسوى . اشار الشريف اليه في شعره اذ كان معجبا بشخصية والده كما سنرى ، وربما أتت فكرته من كتابه السابق خصائص الأئمة . وقال الأميني :" أنه ألفه عام ٣٧٩هـ قبل وفاة والده "(٦) وهو مفقود لا يعرف له سبيل .

---

(١) تلخيص البيان : ١٩٢ .
(٢) المصدر نفسه : ١٧٨ .
(٣) خطبة كتاب المجازات النبوية : ١٩ .
(٤) شرح نهج البلاغة : ٥٧/١ .
(٥) الغدير : ١٩٨/٤ .
(٦) الغدير : ١٩٩/٤ . روضات الجنات / ١٩٤/٦ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٥ - أخبار قضاة بغداد .[١]

ذكره الأميني في ثبت مؤلفاته ، وهو كتاب مفقود لا يعرف له سبيل .

٦ - نهج البلاغة [٢]

مقالات وخطب ورسائل للامام علي بن ابي طالب جمعها الشريف ، وانهم باعمال يده في هذا الكتاب لاشتماله على أساليب وعلوم لم تكن موجودة في عصر الامام علي . وهو كتاب مطبوع ومشروح عدة شروح ، ومن أشهر شراحه ابن أبي الحديد وأورد الأميني أن عدد شراحه بلغوا واحدا وثمانين شارحا في حين بلغ عدد المجازين عشرين مجازا [٣] كما وحققه غير محقق منهم حسن تميم ، ومحمد عبده .

٧ - الحسن من شعر الحسين .

اختيارات للشريف من ديوان الشاعر الماجن الحسين بن الحجاج وقد مدحه ابن الحجاج ، وشكره على صنيعه ، كما رثاه الشريف لما مات .[٤]

٨ - مختصر أمثال الشريف الرضي .

اختيارات له من كتاب مجد الدين بن احمد المعروف بابن الظهير الاربلي وزعم كوركيس عواد أن : " هناك نسخة خطية منه في دار الكتب المصرية ".[٥]

٩ - انشراح الصدر في مختارات من الشعر .[٦]

١٠ - مختارات شعر أبي اسحق الصابي .[٧]

---

(١) الغدير : ٤/١٩٩ .
(٢) شرح نهج البلاغه ابن ابي الحديد ، تحقيق حسن تميم ، مكتبة الحياه - ١٩٦٣
(٣) الغدير : ٤/١٨٦ - ١٩٤ .
(٤) تاريخ بغداد : ٨/١٤ . البداية والنهايه ١١/٣٣٠ . ذيل التجارب : ٤٠٤.
(٥) الشريف الرضي في آثار الدارسين (ضمن كتاب الشريف الرضي في ذكراه الألفيه) كوركيس عواد ٣٣٧ - دار الرشيد ١٩٨٦ - ١٤٠٦ هـ .
(٦) المصدر السابق ٣٣٣ .
(٧) المصدر السابق ٣٣٣ وروضات الجنات : ٦/٢٠٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١١— حقائق التأويل في متشابه التنزيل .

هو كتاب ضخم في تأويل القرآن الكريم ، اشار اليه صاحبه في غضون كتابه تلخيص البيان باسم الكتاب الكبير.[١] ضاع معظمه ولم يصلنا منه الا الجزء الخامس نشر بعناية ،العلامة محمد رضا آل كاشف الغطاء وقدم له الحلي مقدمة طويلة . ترجم فيها حياة الشريف الرضي ، ثم نشرت في كتاب مستقل .

١٢— رسائل الصابي والشريف الرضي .

مجموعة من الرسائل الشعرية والنثرية التي دارت بينهما[٢] ، نشرت عام ١٩٦٩ بتحقيق محمد يوسف نجم ربما يكون هذا الكتاب جزءا من ديوان رسائله الكبير[٣].

١٣— ديوان شعر .

وهو الديوان الذى بين ايدينا ، ويقع في جزئين كبيرين ، تجاوزت أبياته ستة عشر ألف بيت ، نشرته دار صادر[٤] كما ونشر عدة مرات منها طبعة بومبي (الأخبار)وطبعة بغداد ١٣٠٦هـ وطبعة بيروت سنة ١٣٠٧— ١٩١٠م . بشرح احمد عباس الأزهرى . دمحمد اللبابيدى ، ونشرته دار الصياد — بيروت ١٩٦١ ، وأخيرا نشرت وزارة الثقافة والأعلام العراقية الجزء الاول منه بتحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو .

لقد تنوعت مؤلفاته ، واختلفت الى غير لون ، ووجدنا الشريف مؤلفا وأستاذا أسس دار العلم وأنفق عليها ما يدر عليه من رزق ، وكانت مكتبته من اشهر ثلاث مكتبات في عصره ، واوقف عليها أوقافا خاصة ، وأنفق على طلاب العلم الذين أموها ، واتخذ الطلاب لهم فيها سكنا ، واعد الشريف لكل واحد منهم مفتاحا ليفيد منها في حالة عدم وجود الخازن.[٥]

---

(١) تلخيص البيان : ١٩٢ ، المجازات النبوية : ١٩ .
(٢) رسائل الصابي والشريف الرضي : تحقيق محمد يوسف نجم — دار الكويت — ١٩٦١.
(٣) الشريف الرضي في آثار الدارسين : ٣٣٥ — ٣٣٧ .
(٤) ديوان الشريف الرضي : دار صادر .
(٥) روضات الجنات : ١٩٦/٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وللشريف مراسلات شعرية ونثرية وعلاقات أدبية مع كثير من كبار أدباء عصره . اذ بلغت شهرته الافاق حتى التمس الصاحب بن عباد نسخة له من شعره ، فأهداه الشريف باقة من مدائحه [1] كما والتمست أيضا تغلبية مصر بنت سيف الدوله الحمدانـــي نسخة فاهداها نسخة وكافأها بمرثية طويلة .[2]

ومن أشهر مراسلاتهِ الأدبيةِ تلك التي كانت مع أبي اسحق الصابي اذ كـان يطلعه على كل ما انتجته قريحته لينظر فيها قبل نشرها وله أيضا صلات مع شعـراء عصره ، وكان يقدم المكافآت المادية لمادحيه - كما مر معنا - في قصته مـع الخالع ، وكذلك قصته مع ابن المطرّز [3] وكذلك صحبته لأبي الحسن السّلامي الشاعر ومدحه اياه في قصيدته التي شكره فيها على صنيع الشريف معه لما اعطاه الشريف ثوبا ليتقي به المطر عند خروجه من بيته [4] كما ورثى الكثير من ادباء وعلمـاء عصره واساتذته ايضا .[5]

ألقـــابـــه

حاز الشريف الكثير من الألقاب التشريفية من قبل السلطان فلقبه بهـاء الدولة سنة ٣٨٨هـ بالشريف الجليل ، وفي سنة ٣٩٦هـ أضيفَ إليه لقبُ ذى المنقبتين، وفي سنه ٣٩٨ لقب الرضي ذى الحسبين، وفي سنة ٤٠١هـ . أمرَ بهاءُ الدولة ان تكون مخاطباتَه ومكاتباتُه بعنوانِ الشريف الأجل، وهو أولَ من خوطِبَ بذلك من الحضـرة الملوكية ..[6]

مناصبـــة

حاز الشريف الكثير من المناصب ، ففي سنة ٣٨٠هـ قلد الشريف أبو أحمـد الحسين بن موسى الموسوى نقابة الأشراف الطالبيين والنظر في المظالم وإمـرة الحاج ، وكتب عهد بذلك واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم ، والرضي ابـو الحسين على النقابة وخلع عليهما [7] ثم تولاها الرضي دون والده في رمضان٣٨٠هـ.[8]

---

(١) الديوان : ٢٨٠/١ .

(٢) الديوان : ٢١٢/٢- ٢١٣ .

(٣) الكشكول : العاملي : ٣٧٥/١ . تحقيقه الزاوى - دار احياء الكتب العربية ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .

(٤) يتيمة الدهر : الثعالبي : ٤١٤/٢ - ٤١٥ .

(٥) الديوان : ١٥١/١ ، ٢٨٦/١٠ ، ٥٨٨/١٠ ، ٦١٣/٢٠ ، ٦٣٠/١٠/٠٦٤٠ ، ٦٣/٢٠ ، ٢٠١/٢٠ ، ٤٩١/٢٠

(٦) الغدير : ٢٠٤/٤ .

(٧) البداية والنهاية : ٣٠٨/١١ .

(٨) الشريف الرضي حياته وشعره محمد المطرودى : ٧٩ ،ورسائل الصابي والرضي:٧٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما نقابة الطالبين فكانت من أهم المناصب التي تولاها ، اذ تعد من أهم المناصب وأخطرها في جهاز الدولة بعد الخلافة وقتئذ، والنقيب مسئول بحكم منصبه عن الطالبيين في بغداد ، وتكون النقابه أهم وأشمل عندما يكون نقيب نقباء الشيعة في جميع البلاد .(١)

وتتلخص مسئوليات النقيب فيما يلي : -

١ - الحكم بين الطالبيين فيما تنازعوا فيه
٢ - اقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه .
٣ - الولاية على أيتامهم فيما ملكوه .
٤ - تزويج الايامى اللاتي لا يتعين اولياؤهن ، أو تعينوا فعضلوهن .
٥ - ايقاع الحجر على من عنه وسفه او فكه اذا افاق او رشد .
٦ - معرفة أنسابهم ، ما ولد لهم ، او مات منهم .
٧ - الحفاظ على النسب الهاشمي وتميزه عن الأنساب الأخرى .(٢)

فهي حكومة داخل حكومة أو استقلال ذاتي . فعملية اختيار النقيب لا تخلو من صعوبة ولا بد من دراسة الرأى العام قبل تعيينه ، ويفترض في النقيب ان يكون محبوبا ومقبولا من الراى العام ، فقال الفراء فيه : " اذا اراد البويهي ان يولي على الطالبيين نقيبا ، وعلى العباسيين نقيبا ، تخير منهم أجلهم بيتا ، واكثرهم فضلا ، وأجزلهم رأيا ، وولاه عليهم ليجمع شروط الرئاسه والسياسة فيسرعوا الى طاعته برياسته ، وتستقيم أمورهم بسياسته "(٣)

لقد توفرت لدى الشريف شروط الرئاسة والسياسه كونه من ولد علي وفاطمة اضافة الى ما اتسم به من العدل والفقه والعلم بأنساب الشيعة وأحوالهم الى جانب كونه قد ورث محبة المجتمع واحترامه له من والده ، من هنا استحق هذا المنصب بجداره .

اما التعيين فصدوره صحيح سواء كان من جهة الخليفة أم من جهة السلطان ، ووليها الشريف من الاثنين ، تولى الرضي منصب النقابه ، ولم يتجاوز العشرين من عمره ، وهذا يوحي لنا بأهميه الشخصية الفذه ، وبمقدار ما تمتعت به من مقدره على تصريف امور الناس ، وما تكنه له العامة من مودة واحترام حيث ارتضته زعيما في مثل هذه السن المبكره .

---

(١) البدايه والنهاية : ٢٤٢/١١ . والديوان ٢٧٣/١ .
(٢) الاحكام السلطانية : ابي يعلي الفراء : ص ٩٠ تعليق محمد حامد الفقي مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ .
(٣) المصدر نفسه : ٩٠ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وأحسَّ الشَّريفُ بإرهاصاتِ الحَسد من الحاسدين فصبَّ جامَ غضبه عليهم عبر عن ذلك بأسلوب الفخر والاعتداد بالذات قائلا : —

قلْ للعدَى موتوا بغَيْظِكمُ ، فإنَّ الغَيْظَ مُرْدِي
ودَعُوا عَلَيَّ آحرْتُهـا يا وَادِعِينَ بطُولِ جَهْدِ
وَلِيَ النِّقَابَةَ خالٌ أُمِّي قَبْلُ ، ثمَّ أبي وجَدِّي
ولَّيتُها طِفلاً ، فهَلْ مَجَّدْ بُعَدَّدْ مثلَ مَجْدِي (١)

يشعرنا النص بأنه عانى من همسات الحسّاد وكيدهم ، فرد على ذلك بإبراز حقه الوراثي في المنصب ، اذ حاز المجد بأخواله وآبائه ، هذا الى جانب كفاءته السياسية والعلمية ، فلا عجب ان تولى امر الأمة وهو فتى . ولما تولى امر النقابة وقف امام جمهوره يتلو النص السياسي ، وقد وضح لهم ماقد تامله قومه ليؤمنوا بانهم اختاروا من استحق هذا المنصب . واستقص في نصه صفاته السياسية وعرض فيه نظريته في الوراثة . فهو من قريش . ليس ذلك فحسب ، بل هو من سجاياهم اضافة الى الكفاءة السياسية التي كان يتمتع بها ، من قوة حجته ،ودماعة لسانه في قدرته على الدفاع عن قومه ، فقال يغرس فيهم روح الثورة : —

انا الرَّجلُ الأَلْوى الَّذي تَعرِفُونَهُ إذا نُوَبُ الأيامِ أُلْقِيَ جِرانُهـا
إذا كانَ غَيْرِي مِنْ قُرَيشٍ هجينُها ، فإنِّي على رَغْمِ العَدُوِّ هِجانُهـا
وإنْ يَكُ فَخْرٌ أو نضالٌ فإننـي لها يَدُها طَوْرا ، وطَوْرا لِسانُها (٢)

وأقسم اليمين لجمهوره بانه سيكون وفيا لهم مقابل اختيارهم له اذ قال:

ضمانٌ على قلبي الوفاءُ لأهلِها ، وثَمَّ ظِباءٌ لا يَصِحُّ ضَمانُهـا (٣)

وما ان حل عام ٣٨٤هـ حتى عُزِلَ الشريفُ الموسوي وولداه عن النقابة (٤) فقال الشريف في ذلك :

فلئنْ صُرِفْتَ فَلَسْتُ عَنْ شَرَفِ العُلي ومقاعِدِ العُظماءِ بالمَصْروفِ
ولئنْ بقيتُ لكمْ ، فإني واحِدٌ أبدا أقوم منكم بالـوفِ (٥)

---

(١) الديوان : ٣٥٨/١ .
(٢) الديوان : ٥٣٧/٢ .
(٣) الديوان : ٥٣٦/٢ .
(٤) البداية والنهاية ٣١٣/١١ .
(٥) الديوان : ١٤/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فكان عزله عزلا سياسيا لا كما قال جامع الديوان : من أنه قد واصل الاستعفاء فعزل ، ولكن كما قال ابن الجوزى ، من أنه عزل اثر القصيدة التي قالها و تمنى فيها اللحاق بالفاطميين وامتناعه أخيرا عن الكتابة في المحضر المتضمن القدح بنسب الفاطميين لذا رأيناه قد استعلى فوق العزل ، واتجه الى الأمة يكشف لها مدى خطورة عزله ان رضوا بذلك .

وفي عام ٣٩٦هـ عادت اليه النقابه وأضيف اليه لقب ذى الحسبين.(١) ،ولكن ضاق ذرعا بهذا القيد ، وضجر منه بعد أن تمدحه طويلا فاستصرخ بهاء الدولة قائلا : —

عَوْنُكَ مِنْها يا غِيَاثَ الوَرَى، قَدْ ثَقُلَ العِبءُ عَلَى المَهْرَمِ
صونوا بهاءَ الرِّضى ووجهي معاً صَوْنَهما في الزَّمَنِ الأقْدَمِ
لا تحسَبوا أني على جَرْأتي، أخْجَمْتُ حتّى ضاقَ لي مَقْدَمي
عظيمةٌ نادَيْتُ مِنْ ثِقْلِها بالبازِلِ النّاهِضِ بالمُعْظَمِ(٢)

أحس بعبء كبير يحمله على عاتقه جراء هذا المنصب ، لذا صمم على التنازل عنه اذ قال : —

كفاني أنّني حَرْبٌ لِقَوْمي، وذلِكَ لي مِنَ الضَّرّاءِ كافِ
حطَمْتُ صِعادَهُمْ حتّى استقاموا، مُجاوَزَةً بِهِمْ حَدَّ الثِّقافِ
فصِرْتُ لذمّهِمْ غرضاً رجيماً، يراموني بمثلِ حصى القِذافِ(٣)

عانى الغربة مع قومه اذ حاول اصلاحهم ، ولكن محاولاته باءت بالفشل لأنهم قوم سكنوا الخذلان ، فانصرف عن المنصب راغبا اذ قال : —

يراهُ المُسْتَغِرُّ عَلَيّ طَرْحاً فيغبطُني بهِ وأراهُ غُلاّ
ونفسي ما عَلِمْتَ ؛ ولي جِنانٌ أبى لَي أنْ أُهانَ وأنْ أُذَلا(٤)

---

(١) الكامل ٧/٢٢٩.
(٢) الديوان ٣٠٥، ٣٠٦
(٣) الديوان ٢/١٥.
(٤) الديوان ٢/ ٣٠٥ .
(٥) الديوان ٢/ ٢٤٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحولت النقابة في وعيه السياسي من منظر وبهرج خارجي زائف ، ومن كونها مطمحا فرديا لتكون هدفا سياسيا واجتماعيا يخص الحزب الشيعي ، وبابا للوصول الى ما بعدها اذ قال : -

لو كُنْتُ أَنْفَعُ بالنِّقَابَةِ وَحْدَهَا ... لَفَضَضْتُ حينَ بلغتُها آمالي
لكنَّ لي نَفْساً تَتُوقُ إلى التي ... ما بَعْدَ أعلاها مقامٌ عالِ(١)

رأى الشريف ان من الواجب أن يتنازل عن هذا المنصب الذى بقي في حدود ما حددته السلطة الحاكمة ، كونه شكلا لاكتساب ود الشيعة لا أكثر، ولم يستطع كسر هذه القيود والحدود على هذا المنصب وحده دون تعاون قومه ، فعزل عنه عام ٤٠٠هـ تلبية لطلبه ، ثم اعيد اليه عام ٤٠٣هـ ، وخلع عليه الخليفة السواد وهو اول طالبي خلع عليه السواد(٢) ولكنه استقبل هذا المنصب بكل فتور وخوف فبدت على القصيدة علامات الشيب والكهولة واليأس خاصه في مقدمتها (٣)ولم نر الفرح العارم والثورة الكبرى تملأ قوافي القصيدة .

٢ - امارة الحج :

كانت من المناصب التي تولاها الى جانب النقابه " ففي سنة ٣٨٠هـ قلد الشريف امارة الحج "(٤)وفي سنة ٣٨٩هـ " تعرض الشريف الرضي والمرتضى في حجهما لخطر ابي الجراح الطائي ، فدفعا فدية من أموالهما الخاصة تسعة الاف دينار لقاء الافراج عن الحجيج " .(٥)

كما وعلق الخبرى على احدى قصائد الشريف انه حج وصاحبه ابن حمد عام ٣٩٤هـ وكان دليلهما كعبا العامرى (أبا العوام ابن ليلى)(٦) واظن ان تاريخ القصيدة موضع شك لان ابا العوام قتل عام ٣٩٣هـ .

هكذا تقلب صاحبنا في منصب امير الحج ، فكلما اسندت اليه النقابة اسند اليه ايضا منصب امير الحج . وهذا المنصب يفترض توفر شروطه فيمن أسند اليه كما ويجب على السلطة ان تحسن اختيار الزعيم القوى ذى الشخصية المحنكة لمواجهة سطو القبائل واللصوص كما رأينا ، ومهمة امير الحج وشروطها حددها الماوردى بانه :" بقود المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاهد بالهيبة ، فكان من شروط الناظر فيها ، ان يكونَ جليلَ القدر ، نافيدَ الأمر ، عظيمَ الهيبة ، طاهرَ العفة ، قليلَ الطمع ، كثيرَ الورع "(٦)

---

(١) الديوان : ١٨٢/٢ وردت في الديوان نفس ، والصحيح نفسا .
(٢) الكامل : ٤٢/٩ . البداية والنهاية ٣٤٧/١١ . دلالة على انتمائه للدولة العباسية
(٣) الديوان : ٢٧٣/١ .
(٤) البداية والنهاية : ٣٨/١١ .
(٥) المصدر السابق : ٣٢٦/١١ . الكامل ٢٠٥/٩ .
(٦) الديوان : ٧٢/١ - ٧٣ .
(٧) الاحكام السلطانية : الماوردى : ٦٤ . دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد توفرت لديه كل هذه الشروط فحاز المنصب بجدارة . وتأتي أهميته بالنسبة لرؤية الشريف السياسية والاجتماعية من حيث علاقته بالمجتمع المسلم بحزبية السني والشيعي ، اذ تنتفي الطائفية بين الحجيج ، وهذا يعني ان الامير مقبول من الطرفين ، ومن اسباب قبوله كونه عربيا هاشميا وبذلك ارضى العرب سنة وشيعة ، وكونه شيعيا من جهة اخرى ، وبذلك ارضى البويهيين ولبى رغباتهم كونهم شيعة .

وأُنتت أهميةُ المنصب كونه كان سببا من اسباب تشكل رؤيته السياسية والاجتماعية ، اذ لم يكتف في هذا المنصب بان يكون امير حج فقط بل طمح لان يكون رجلَ سياسة وثورة لينفذ افكاره التي اوحاها اليه منصب النقابة .

٤ - حين كان يقلد الشريف نقابة الطالبيين وإمرةَ الحَجّ كانت ولايةُ المظالمِ تؤول اليه ضرورة وفي عهد كتبه ابو اسحق الصابي في شأن المناصب التي اسندت اليه قال فيه : " ... فأفردناك بمكان أبيك من النقابة على أهلك وذويك في كل البلاد شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، ونطنابك النظر في مصالح المساجد بمدينة السلام لتسدّ خللَها وتلمّ شعثَها ، وجعلنا إليك مَعَ ذلك خلافةَ والدِكَ على المظالم والتسيير بالحجيج في ايام المواسم "(١)

٥ - نائب السلطان

تسلم الشريف منصب نائب السلطان البويهي عام ٣٨٨هـ وذلك إبّان سفر السلطانِ بهاءِ الدولة لواسط لأمرٍ سياسي ما فقال الخبري معلّقا على القصيدة التي اشار فيها الى تسلمه لهذا المنصب : " قال وكان الملك بهاء الدولة قد قلده خلافته بمدينة السلام ، وخلع عليه بواسطَ خِلعاً جليلةَ القَدْر ، فلما حمل بمدينة السلام ما طرأ فيها رفع ، قوم من اعوانه الى حضرة الملكِ شيئا وعتبَ من اجله فكتبَ إليه من بغدادَ ينفي ما قيل عنه ويتنصل مما نسب اليه ، وذلك في رمضان سنة ٣٨٨هـ "(٢)

هذا النص وحده يقدم لنا ما يلي :

١ - تسلم الشريف منصب نائب السلطان فترة زمنية طويلة مما جعله لا ينتظر عودة السلطان من سفره ليعرض له الموقف ، ولكنه نفى ما نسب اليه مكاتبه

---

(١) رسائل الصابي والشريف الرضي : ٧٣ .

(٢) الديوان : ٤٥٤/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢ - أهمية المنصب ،ورأي الشريف في الدولة البويهية ، فطمع الحساد بهذا المنصب وعرفوا ما صرح به الشريف عن موقفه من البويهيين و رايه بسياستهم فاستغلوا فرصة المنصب ، وغياب السلطان ،ووشوا به الى بهاء الدولة وهو على سفر .

٣ - إسناد هذا المنصب الخطير لا يُعطى لرجل عادي ، ولكنه يُعطى لرجل قادر على إدارته من جهة ، وحائز على ثقة السلطان منجهة اخرى .

٤ - اسناد هذا المنصب للشريف قد يعني شيئا اخر يفهم من خلال علاقته بالدولة البويهية ورأيه فيها ، وعندها قد يكون في اسناده اليه نوع من امتصاص الثورة قبل ان تتهيج وتشتعل وتحرك الرأى العام .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

الرؤية السياسية

١ ـ الشعور القومي

٢ ـ الامامة .

٣ ـ الثورة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سأبـــدأ الفصل بطرح سؤال جوهـــري حول الأدب والسياسة : -

هل للأدب دور جوهري في عمليتي التغير والتغيير السياسي ؟
أو هو مجرد مرآة عاكسة للصراعات السياسية ؟
وبعبارة أخـــرى هل الفـــن تابع تاريخي أم مؤسس ثوري ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عنه في رؤية الشريف السياسية وذلك من خلال المحـــــاور التالية : -

أ - الشعور القومـــــي .
ب - الامامـــــــــة .
حـ - الثـــــــــورة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اولا : الشعـــور القومـــــــي :

رأينا في الفصل السابق الحالة السياسية المتدهورة التي كانت تعيشها الخلافة العربية زمن الشريف الرضي ، فقد تعاقبت على السلطة الأسر الاعجميـــة من ترك وكرد وديلم ، أضف إلى ذلك الثورات القبلية التي نشبت بين الشيبانيين والعقيليين والحمدانيين ، مما أدى الى تدهور الخلافة العباسية ، وجه العروبة وعندها رأى العربي نفسه يتدهور بتدهور الأنموذج السياسي أمامه .

والإحساس بالانتماء إلى الامة يبقى شعورا داخليا خافتا في نفس الفـــرد لا يظهر إلا في ازمة يمر بها الشعب ، ويحس بها المبدع كونه هو الذى يتحسس بمشاعره وجدان الأمة ، وحينئذ يكون شعره تعبيرا عن التزامه بقضايا أمتـــــه وانتمائه إلى قومه . وبمعنى اخر يصبح الفن الصادر عنه رسالة وقضية ومبـــدأ وواجبا .

ورسالة الشاعر المنتمي لا تقف عند حدود انتظار حدوث المصائب فقـــط ، ولكنها تتجاوز هذه المرحلة ليكون الادب عندها هو المحرك الثورى للجمهـــور وعند ذلك يسمى المبدعُ او الأديب أديبَ الثورة ، وقد وصف الشرفي هؤلاء الأدبـــاء بقوله : " هم المحركون للشعوب والمفجرون لاحقادها في وجه الظلام ، انهم (دينمو) الثورات في كل مكان "(١)

وهنا يكون الفنان هو مؤسس الثورة وباعثها أو أستاذ الرفض والتغيير، وعند ذلك يكتسب الفن ثوريته وانتماءه القومي ، ويصبح سمة من سمات الشعـور القومي ، ويتجاوز فنهُ الاحساسَ بثقل السياسة الظالمة ليكون احساسا وشكـــوى ورفضا وتغييرا .

أحس الشريفُ سمات الظلم في النظام السياسي القائم ،وتأمل الواقـــع السياسي الذى صعدت به جماعات بشرية متدنية إلى مرتبة أصحاب الشأن في البـــلاد،

مما أوحى له بتركيب عناصر شتى في رؤيته السياسيه ، ووصف النظـــام القائم والقائمين عليه معبرا : -

أرى ملوكا كالبهام غفلـــةً ... في مثلِ طيشِ النعمِ الجوافـــلِ
أولى من الذودِ اذ جربتهم ... برعي ذى الرياضِ والخمائـــلِ (٢)

---

(١) الادب والثورة : محمد الشرفي ص١٨ : مقاله ضمن كتاب الادب والثورة (المجموعة من الادباء)مطبعة المعاني - بغداد - ١٩٦٥ .

(٢) ديوان الشريف الرضي : ١٧٣/٢ . انظر ١١٠/٢ ، ٢٧٧/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وصف الذين آل اليهمُ الحكمُ آنذاك بالبهام ، بل هم أشدُ جهلا من البهائم وشكا التخبط السياسي السائد اذ كان يظهر في كل يوم ملكٌ جديدٌ ينادى الامة لمبايعته ، كما كانت الثوراتُ تشتعل في كل مكان ، وقد أدى هذا الى انقسام الأمةِ على نفسها ، وأصبح الطمعُ في ولاية أمور الامة هو ديدنَ السياسة والسياسيين ، لقد عبر عن ذلك فقال : -

كم المقامُ على جيلٍ سواسيةٍ ... نرجو الندى من إناءٍ قل مارشحا
في كل يوم يناديني لبيعته ... مشمرٌ في عنانِ الغي قدْ جمحا
إلام اصفيكم ودي على مضضٍ ... وكم أنيرُ وأسدي فيكمُ المِدَحَا (١)

لا يملكُ الزعيم الجديد شروطَ الرئاسة والسياسة ، ولا يعرف منها الا الضلالَ والظلمَ والتجرد من كل القيم الاخلاقية وسمات السيادة ، ولا يجيد الا التنكيل بكل الشرفاء . لقد عبر عن هذه الحالة المؤلمة في رسالة لصديق له في نكبة سياسية قد عرضت له فواساه فيها قائلا : -

خطوبٌ لايقاومُها البقاءُ ... وأحوالٌ يدبّ لها الضبنّراءُ
ودهرٌ لا يصح بهِ سقيمٌ ... وكيف يصحّ والأيامُ داءُ
وأملاكٌ يرونَ القتلَ غنماً ... وفي الأموالِ لوقنعوا فشلنداءُ
هم استولوا على النحيطِ منا ... كما استولى على العودِ اللحاءُ (٢)

لقد تغير الزمان وأغار على كل شيء ، واختلت موازينه ، ومثل الزمان الظلم والمعاناة للإنسان الشريف ، واستبعد شفاء الانسان من هذا الداء العضال وأصبح الزمان الظالم معادلا للملوك المتسلطين الذين قهروا الروح العربية وسجنوا أبناءها وعذبوهم وصادروا املاكهم . واشتد غضبه من هذا الزمان واتجه الى الله داعيا ان يغير الحالة السائدة : -

يا برقٌ ان صبتَ الحمى ... فلا تُصِبْ الا بدَمْ
على ديارِ معشرٍ ... خانوا العهودَ والذّمَمْ
تجهموا ضيفَ العلى ... وامتهنوا زوْرَ النّعَمْ
من كلّ راعي أمّةٍ ... أجهلُ من راعي غنم
وما بينهم في المكرما ... نِ ، نسَبٌ ولا رَحِمْ (٣)

---

(١) المصدر نفسه : ٢٤٤/١ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٦/١ .
(٣) الديوان : ٢٧٧/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فاض الكيل وطفح الشر فدعا الله ان يسقي هذه البلاد التي يقوم عليها ساسة تجردوا من كل مقومات السيادة مطرا من نوع خاص ، من الدماء لإحداث الدمار، لا للخصب والبقاء . ولكأنه يطلب عملية تطهير للأرض الخربة المتحجرة .وبلغ من ضجره بالزمان ان تعجب من بقائه على حالة الظلم التي اتسم بها فقال صارخا : -

أما تحرّكَ للأقدار نابضةٌ ... أما يفبّرُ سلطانٌ ولا ملكُ
قد هارنَ الدّهر حتى لافراعَ لهُ ... وأطرقَ الخَطْبُ حتّى ما بهِ حَسَكُ
كلّ يفوتُ الرّزايا أنْ يقعْنَ به ... اما لا يرى المنايا فيهمُ دَرَكُ؟
أخلّتِ السّبعةُ العُليا طرايقَها ... أمْ اخطأتْ نهجَها أم سمّرَ الفلَكُ؟ (١)

تمنى ان تدورَ عجلةُ الزمان وتنشبَ المنيةُ اظفارَها بهؤلاء السلاطين المتسلطين، وأحس بالحيرة تجاه الزمن الذي غير وأغارَ على كل شيءٍ جميل ،واصبح الزمان انسانا يخطىء طريقه ودورة حياته .

وبدلا من مواجهة هذه الطغمة من الساسة - الذين وصفهم قبل قليل بالبهم بدأ الشريف ظاهريا يتقرب منهم ، ولكن هل تودده هذا الذي انتج قرابة اثنتين وثلاثين قصيدة شكل تناقضا في فكره الثوري وانتمائه القومي ؟

وضح الشريف نوع العلاقة القائمة بينه وبين سلاطين عصره فقال .

وما مدَحْتُهمُ أنّي رجَوْتُهمُ ... لكنّهُ وُدٌّ من شرِّهم ورقى
كفى بقومٍ هجاءً أنّ مادِحَهمْ ... يُهْدي الثناءَ إلى أعراضِهمْ فَرَقا
مَنْ لَمْ يُبالِ بأعقابِ الحديثِ ... فما يُبالي أمانَ القولُ أمْ صدَقا (٢)

بين أن مدحه لهم كان بدافع الخوف والتقية لا بدافع المحبة والصدق، ولجأ إلى الهجاء الخفي للحكام وعد سكوته عن مدحهم نوعا من الهجاء المبطن بل هو أشد من الهجاء الصريح ، لأنهم يمثلون النموذجَ الرديءَ للحاكم في نظره فقال:

ذمّ رجالاً بتَرْكِ المديحِ ... وبعضُ السّكوتِ عن المَدْحِ ذمّ (٣)

وتعجب من تغير الأحوال ، وتقلب الزمان مما جعله يمدح أناسا لا يستحقون المديح ، وهو الرجل الذي اختاره قومه نقيبا لهم وهو فتى فقال : -

---

(١) الديوان : ٢/١١٠ .
(٢) الديوان : ٢/٨٤ - ٨٥ الرقى : التعويذه . فرقا : الخوف ، امان : كذب
(٣) الديوان : ٢/٣٧٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَوَلَيْتُ في السِّنِّ القريبةِ أُسرَتي، فَوَكَلْتُ فاسِدَهُمْ إلى إصلاحي
فالآنَ أمدَحُ غيرَ مولَى نعمةٍ، لو كُنْتُ أنصَفُ كانَ مِنْ مُدّاحي(١)

فالتسويغ الذي قدمه لقومه من اضطراره لمدحهم تقيةً لا يقدّمُ له أدنى عذر له في قبوله لهذا الموقف ، وكان الأولى به السكوتَ عن مدحهم ، وبلغ من الانفعال درجة عظيمة حتى أنه جرد ممدوحيه من كل الفضائل فقال : -

أُهذّبُ في مَدْحِ اللئامِ خَواطِري فأصْدُقُ في حُسْنِ المَعاني وأكذِبُ(٢)

أي أن مدحه لهم كان خاليا من العاطفة الصادقه أو الانتماء الصادق وما مدحه لهم الا اباطيل كان يزوقها على راى استاذه الصابي في البويهيين(٣) ولم يرفض الحكام فقط ، ولكنه رفض المكان ، المكان الذى رضي بحكم البويهيين المكان الذى احس الشريف بالذلة فيه ، لذا فرر الرحيل الى البادية فقال : -

أشِمُّ بِبابِلَ بوَّ الصَّغارِ، ولَوْ أنا بالرَّمْلِ لم أُفْعَلِ
ولَوْ كنتُ ذا همّةٍ حُرَّةٍ، لَرَحّلَني الضَّيْمُ مِنْ مَنزِلي (٤)

ارتبط المكانُ عنده بالتجربة القاسية ،بالمعاناه والهوان والذل الذي كان يعيشه قومه في بابلَ (العراقِ) وأصبح العراق معادلا موضوعيا للسلطة البويهية ، فرفْضُ المكانِ يعني رفضَ السلطة والجنس معا ، والبحثُ عن البادية كان يعني البحثَ عن مكامنِ العروبةِ والاصالةِ والكرامةِ ، والبحثِ عن الوجود القومي الذى تشوهت معالمه في العراق .

لذا بدأ باحثا عن بلد أصيل يحتوى ثورته ، بلدٍ كريم لم يرتكب خطيئةً بحق أمته ، من أجلِ هذا دعا إلى تطهيرِ الارضِ التي استحلّتْ بها المحارمُ وبَطُلَتْ بها الصلاةُ فقال : -

عذيري مِنْ بلادٍ ليسَ تخلو، سوائي، مِنْ مليكٍ أو اميرِ
تضنّ وقدْ ضَنَنْتُ فما أراها بعَيْنِ المُستعيرِ،ولا المُعيرِ
أرى تَرْكَ الصَّلاةِ بها حلالا، فما أمتاحُها ماءَ الطُّهورِ
وكيف تتمّ في بلدٍ صلاةٌ وجُلُّ بقاعِهِ قبلَ الفجورِ(٥)

---

(١) الديوان : ٢٥٣/١ .
(٢) الديوان : ١١٢/١ .
(٣) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ٢٢/٢ - دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان - الطبعة الاخيرة .
(٤) الديوان : ٢ /٢٦٠ .
(٥) الديوان : ٤٤٣/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الرحلة لا بد منها لان هذه البلاد اصبحت مركزا للفجور والفسق والفش ولا تحل الصلاةُ بها ، لذا سيرحل الى اماكن الطهر كما قال في إحدى حجازياته :

عدِمْتُ دوائي بالعراقِ فربَّمـــا وجدتُمْ بنجدٍ لي طبيباً مداويـا (١)

لقـــد اصبح العراقُ في فكره رمزا للذل والهوان والسقام ، ولا يستطيـــع ان يقدم له أسبابَ الشفاء ، من هنا راى ان اسباب الشفاء هي الرحيل الى نجـد والطبيب الذى ابتغاه ليس امرأة جميلة كما يشعر النص، ولكنه الرمز الكامن فيها من عروبة أصيلةٍ ، ومروءة خالصةٍ ، وشرف رفيع ، وسيادة حرة وايمان عميق.

فالبادية والحجازُ كانتا تمثلان النموذج الوجداني للاصالة العربيـــة الذى ترسخ في اذهان العرب ، نموذجٌ معبق بأرج المجد والتفوق والحضـــور. ووظف الشريف هذا الاحساس الجمعي في افتتاحيات قصائده ، فقال في افتتاحيـــة مِدْحَةٍ في الطائع لله : -

إلى كَم الطَّرْفُ بالبَيْداءِ معقودُ ، وكم تَشَكَّى سُرايَ الدَّهْمَرُ القَـودُ
لَعِلَّةٌ ليَ بَعْدَ القُرْبِ تَوْلِيـــةٌ عَنِ المُقامِ ، أوَ بَعْدَ النَّوْمِ تسْهيدُ
يا دارَ ذلٍّ ، لمَنْ فارقتِ قَعْدَتَهُ ، والعزُّ أولى بمَنْ عَلَّقْتَ يابيـــدُ (٢)

ومر بحالة من الصراع النفسي المغذى بتجاربه وانفعالاته الشعورية ،بين رفض بغداد والحنين اليها ، بين كرهها ومحبتها ، وتجلى هذا الصراع فـــي حجازية اذ قال فيها :-

أقولُ وقَدْ جارَ الرِّفاقُ بذي النَّقا ، ودون المطايا مربخ وزرودُ
انَطْلُبُ يا قلبي العراقَ من الحِمى، ليهْنَكَ من مرمىً عليلٌ بعيـــدُ
وإنَّ حديثَ النَّفسِ بالشيءِ دونَـهُ ، رمالٌ النقا من عالجٍ الشديـــدُ
ترى اليومَ في بغدادَ أندية الهوى لها مُبْدِئٌ مِنْ بعد بعادنا ومعيد
وإنَّ التفاتَ القَلْبِ من بعدِ طَرْفِـــه طوالَ اللّيالي نَحْوَكُمْ ليَزيـــدُ
ولما تَدانى البَيْنُ قالَ ليَ الهوى: رويدا ! وقال القلبُ :أينَ تريـــدُ؟
أتطمعُ أن تسلو على البُعدِ والنَّوى وأنتَ على قربِ المزارِ عميـــدُ
ولو قالَ ليَ الغادونَ:ما أنت مشتهٍ غداة جزعنا الرَّملَ ،قلت :أعـــودُ (٣)

---

(١) الديوان ٢/٥٧٠ .
(٢) الديوان ١/٢٦٩ . الضمر : الخيول .
(٣) الديوان ١/٣٩٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجد في نجد الطهر والبراءة من كل دنس ، وقد تعالى في حجازياته على مطالب الجسد ، فعلى الرغم من احساسه العميق بالسعادة الروحية التامة في نجد إلا انه كان يشعر بالحزن والغربة بعيدا عن بغداد ، فالحجاز أو البادية رغم شوقه الشديد إليها ايضا الا انها لم تسلب احساسه بالانتماء الى العراق ابدا ، ولكنها عمقت عنده الشعور بالغربة والمأساة ، والشعور بالحنين والانتماء الى العراق فتمنى عودته إليها مرارا فقال : -

فلستُ ابنَ أمِّ الخَيْلِ إنْ لَمْ أُمِلَّ بها عوابسَ في دارِ العدُوِّ أُبيلُهَا
وأودية بينَ العراقِ وحاجرٍ ببيضِ المواضي والعوالي نُسيلُهَا
يَمُدُّ بدفّاعِ الدِّماءِ غشاوَها ، ويَجْرِي بأعناقِ الرِّجالِ حميلُهَا(١)

وبقي العراق المظلومَ حلمَ الشاعر الذى داعبه طيلةَ غربته الروحية ، وأزمته النفسية ، حلمَ العودة إليه محملا بالثورة والخصب والخير اذ قال متمنيا :

متى أرى الزَّوْراءَ مرتجّةً ، تمطرُ بالبيضِ الظبى أوتراحُ
يصيحُ فيها الموْتَ عن السِّنِ مِنَ العوالي والمواضي فصاحُ(٢)

تمنى العودةَ الى بغدادَ (الزوراء) ليأخذ بالثأر لها من حاكميها الظلمة ، ويخلصها من قومها المتخاذلين أيضا ، ليعيد اليها هيبتها وعزتها . وما فتىء الشريف يعدُّها بين الحين والآخر بالعودة بعد رحلته الحجازية المضنية الرحلة الخبرة المملوءة التي ستجلبُ لهم الكرامة والمجد ، بعد بذل الدماء رخيصه من أجل الحرية ، عندها ترتاح نفسه ، ويحس بوجوده " .

يَقَرُّ بعيني أنْ أرى ارضَ بابلٍ تخوضُ مغانيها الجيادُ المذاودُ
وأسْحَبُ فيها بُرْدَ جزْلانَ شامتٍ ، إذا شاء غنّتهُ الرِّقاقُ البوارِدُ(٣)

لقد ارتبط الزمانَ بالمكان عنده كثيرا ، فشكا زمانه الذى قضاه في بغداد اذ مثل له حالة من القهر والخضوع ، فوصف ليله في العراق قائلا : -

---

(١) الديوان ١٨٤/٢ - ١٨٥ .
(٢) الديوان ٢٥٥/١ .
(٣) الديوان ٣٠٥/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ألا إنّ ليلي بالعراقِ كأنّهُ ... طليحٌ تجافاهُ الرّجالُ ضليعُ
مقيمٌ يعاطيني الهمومَ، وناظري ... معنّىً بأعجازِ النجومِ ولوعُ (١)

ولم يقتصر على شكوى ليله فقط ، ولكنه قرر محاربة الزمن كما قال في إحدى رسائله للصابي : -

كيفَ لا أغلبُ الزمانَ، وهذا الـ ... ـنّدْبُ يغدو على الزّمانِ حليفي (٢)

وأعطى الزمان رمزا فاق رمز المكان اذ اصبح يعادل المتسلطين على الامور وهم البويهيون ، من هنا قرر محاربتهم . (٣)

اخترق الشريف حدود الزمان ، وتمنى عودة الزمان القديم ، زمان الجاهليه الزمان الذى أحس به العرب بوجودهم القومي ، ولكنه اصطدم بالفكر الديني الاسلامي فارتد الى نفسه ، وظل يدور في فلك الاماني اذ قال : -

تُرى الجّاهليةُ أحْمى لنا ، ... وأنْأى عن المَوْقِفِ الارذَلِ
فلولا الإلهُ وتخْوافُهُ ... رَجَعْنا إلى الطّابَعِ الأوّلِ (٤)

حينئذ نستطيع ان نقول كما قال الجادر بان : " الزمانُ يعادلُ حالة مسخ الهويةِ القوميةِ التي فرضها الوجودُ البويهي ". (٥)

ومقابلَ رفضهِ للوجود البويهي تغنى الشريفُ الرضي بالخليفةِ الطائع لله الخليفةِ العربي فمدحه قائلا : -

للّهِ ثمّ لكَ المَحَلّ الأعظَمُ ، ... وإليكَ ينتسبُ العلاءُ الأقْدَمُ
ولكَ التّراثُ من النّبيّ محمّدٍ ، ... والبيتُ والحجرُ العظيمُ وزمزَمُ
إنّ الخلافةَ مُذْ نَهَضْتَ بعبئِها ، ... هدأ الضّميرُ بها ، ونامَ النّوّمُ (٦)

لقد جعل الخليفةَ رمزاً للهيبة والجلالة والقداسة الدينية، فالخليفة صاحب الحق في وراثه الحكم ، وذو كعبٍ عالٍ في المعالي والمجد ،وقد ورث ملكُ البيت الحرام والحجر الاسود ، من جدة الاعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم . اذن ، فالخليفة ينتمي الى الرسول صلى الله عليه وسلم انتماء

---

(١) الديوان : ٦٢٢/١ انظر ٣٠٢/١ .
(٢) الديوان : ٥٣٣/٢ .
(٣) الديوان : ٣٨٢/٢ .
(٤) الديوان : ٢٦٦/٢ .
(٥) الرؤى الاجتماعية والاخلاقية في شعر الشريف الرضي : ضمن كتاب الشريف الرضي ودراسات في ذكراه الالفية . محمود الجادر ص ١٠٤ .
(٦) الديوان : ٣٤١/٢ - ٣٤٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سلطة الى جانب انتمائه الى الجنس العربي فيخاطب الخليفة قائلا : -

قد كان جدُّكَ عصمةَ العُرْبِ الألى وآلآن أنتَ لَهُمْ مِنَ الإعـــدامِ (١)

فالوراثـــه كما كان يراها الشريف لا تكون في الاموال والعقار فقط ولكنها تتجاوزهما لتصبح وراثة النبوة والسياسة والملك ، ولا يجوز لاحد ان يتعدى علـــى حقوق الوراثة ، فالنبي الهادي الذى وحد العرب يوما ، وعصم دماءهم لهوجـــد الخليفة وهنا لا بد من ان يرث مُلْكَ النبي .

ولكأني به لا يجوز الخلافة الا فيمن حاز شرف الانتماء الى بنى هاشـــم اضافة الى نعمة الاسلام فقال في الطائع : -

يا ابن القماقِمِ والغطارفةِ الألى قِمَمَ العُلى ودعائِمِ الإســـلامِ (٢)

لـــقد ابرز الشريف اوصاف خليفة المسلمين الذى جمع الى نسبه العريـــق خصائص دينية امتاز بها عن غيره : -

لما رآكَ رأى النَّبيَّ محمّـــدا في بردةِ الإجلالِ والإعظـــامِ
ورأى بمجلسِكَ المعَرَّقِ في العُلى حَرَمَ الرَّجاءِ وقبَّةَ الإســـلامِ (٣)

لقـــد جازت خلافة الطائع في روّية الشريف السياسية كونه قد حاز النســـب العريق والنسب الديني ، وسيطرت نظرية العرق العربي على الشاعر الى درجـــة الوله ،فاتخذ منها دعامة في علاقاته مع العباسيين : -

فداوِلْ كلَّ مُنتحِلِ المعالـــي ، بُقَطِّعُ دونَهُ النَّسَبُ الصَّميـــمُ
بأخْلاقٍ كما دَجَتِ اللَّيالـــي ، وأحسابٍ كما نَعِلَ الأديـــمُ
وكَمْ فوقَ البَسيطةِ مِنْ شريـــفٍ أغرَّ الوَجْهِ شيمَتُهُ بَهيـــمُ (٤)

ولا يجـــد حرجا من افتداء الخليفة ذى النسب العربي الصميم بكل الشرفـــاء الاغرّاء الكرماء لأنه في نظره يفوقهم فهذا المدح للخليفة هو هجوم صريح علـــى العجم ، كما هاجمَ كلَّ من سوّلتْ له نفسه بمهاجمة الخلافة ، ووجه تهديده لأعـــداء الخليفة : -

أبْقَاهُ هذا المَجْدِ إنَّ مرَامَـــهُ دَحضٌ يَزِلُّ الصامدينَ ويُزْلِقُ

---

(١) الديوان : ٣٣٥/٢ .
(٢) الديوان : ٣٣٤/٢ .
(٣) الديوان : ٣٣٧/٢ .
(٤) الديوان : ٣٣٩/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هيهاتَ ظنُّكمُ تمرّدَ مـــــارِدٌ ... من دونِ نَيلِكمُ ، وعزَّ الأبلَقُ
ودَعوا مُجاذَبةَ الخلافةِ ، إنّها ... أرَجٌ بغيرِ شنائِهِمْ لا يَعبَــقُ(١)

وحينئـــذ يصبح الخليفة تجسيدا للوجود القومي ،لابد من ابرازه بأجمل صورة ، ولا بد من الدفاع عنه ولو كلفه حياته . وقبوله للخليفة واللهث وراءه هو لهثٌ وراء الهويةِ القوميةِ المنهارة أمام التسلط البويهي . وعندها يكـــون مدحُ الخليفة مظهرا من مظاهر انتمائه للجنس العربي ، وملمحا من ملامح الشعـــور القومي العارم الذى كان يشعر به الشريف تجاه التقهقرِ والتخاذلِ السياسي اللذين كانت تعانيهما الأمةُ العربيةُ ، ومع ذلك لم يسلمْ الخليفةُ العربيُّ وقومه العـــرب من توبيخ الشريف ، ووصفهم بالعجز والخنوع فهم : -

قَومٌ رَضَوْا بالعَجزِ واستبدلـوا ... بالسَّيفِ بدْمى غربُهُ كاسَ راحْ
توارَثُوا المُلْكَ ، ولو أنجبُوا ... لورَّثوهُ عَنْ طعانِ الرِّمـــاحْ
غطّى رداءُ العِزِّ عوراتِهـــمْ ، ... فافتُضِحوا بالذّلِّ أيَّ افتِضاحْ(٢)

عـــاب على ملوك عصره اكتفاءهم بوراثة المُلْك وعدَمَ مدافعتِهم عن ملكهـــم ومجدهم وأصبحت خلافتُهم بذلك شكليةً ، ولا يملكون من المجد والكرامة حظا . فهـــم ملوك عجزة أذلة ، وحينئذ يكون الملك الوراثي رداء يختبئون وراءه . ولكـــن الذلة تأبى الا ان تفضح ما وراءها .

ففي توبيخه لقومه العرب الذين رضوا بهذا الوضع يبدو انه كان يعيـــش حالةً من الخوف على وجودهم القومي ، لذا لجأ الى استثارة مروءتهم وهممهـــم واشتدت ثورته ، وفار غضبه فندب الوحدةَ العربيةَ ، وشكا الفرقةَ بكل ألمٍ وحـــزنٍ من هنا توجه الى قطاعاتِ الشعب بسؤالٍ توبيخي مستنهضا هممهم : -

يا فاقـــدَ اللهِ بينَ الحَيِّ من يَمَنٍ ... أنساهمُ الحِلْمُ أحقادٌ وأضْغانُ
إلى كَمِ الرّاحِمُ البَلْهاءُ شاكيـــــةٌ ، ... لها من النَّعْيِ إعوالٌ وإرنانُ
حيرى يُضِلّونَها ما بيْنَنَا ولَهـــــاً ... مِنّا على عُدَواءِ الدّارِ نِشْدانُ
أبلغْ على النّأيِ قَوْمي إنْ حَلَلْتَ بِهِمْ ، ... أني عميدٌ بما يلقَوْنَ أسوانُ

---

(١) الديوان : ٢/٤٠ .
(٢) الديوان : ١ /٢٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يا قومُ إنَّ طويلَ الخِلْمِ مَفْسَدَةٌ ، وربّما ضرَّ إبقاءٌ وإحسانُ
مالي أرَى حوضَكُم تعفو نصائِبُه ، وذودكم ليلةَ الأوْرادِ ظمآنُ
النَّجْرُ مُتَّفِقٌ ، والرأيُ مختلفٌ ، فالدارُ واحدةٌ والدِّينُ أديانُ (١)

ضج الشريف من هذا الوضع المؤلم الذى آلت اليه أمته العربية اذ تعددت الاراء والاديان رغم اتفاقهم في الجنس والديار المركبين اللذين يشكلان ركني القومية العربية ، وشكا الفئوية بايقاع حزين ، وحس ماساوى عميق ، فدعا الى الوحدة ورفض تعدد المذاهب من اجل قضية اكبر وهي قضية العروبة .

احس الشريف بشبح الموت والجفاف يهددهم فجعل الماء معادلا للحياة

و الجفاف معادلا للموت والذل ، لقد رأى الامة تعيش حالة من الركود والبباس ، البباس الاتي من ظلم الاعداء من جهة ، ومن الذل والتخاذل من جهة اخرى ،وهنا لا بد من منقذ لهم يتولى امورهم . لا بد من ثورة تبدع فيهم من جديد لتنطلق صرخة الحياة من الارض الموات ، من الشعب الراكد تحت الرماد الملتهب والثورة برايه لا يتم نجاحها مالم تتفق الامال وتتحد القلوب ، فالتفرقة سياسة الظالمين والثورة على هذه السياسة لا تكون الا بالوحدة العربية ، لذا دعاهم الى التوجه الى ضمائرهم لمعرفة مكامن الضعف لتنجح ثورتهم وتكتسب شرعيتها وديمومتها فقال لهم : —

ميلوا الى السِّلْمِ ، إنَّ السِّلْمَ واسعةٌ ، واستوضحوا الحقَّ إنَّ الحقَّ عُرْيانُ
اللهَ اللهَ أن يبتزَّ أمْرَكُم راعٍ ، رَعيَّتُهُ المَعْزيُ والضَّانُ
ثوروا لها ، ولْتَهُنْ فيها نُفُوسكُم إنَّ المناقبَ للأرواحِ اثمانُ (٢)

حمس قومه وذكرهم بقوتهم وشجاعتهم ، وبانه قد آن الاوان لرفض الضيم والذل . فدعاهم إلى التمرد على السلطان،وألا يسلموا أمرهم للعجم الذين لا يصلحون إلا لرعي المعزى والضان . وهذا قمة الاحساس بالشعور القومي والدعوة الى الوحدة العربية لمواجهة التسلط الاجنبي والثورة عليه .

وبعدها وجدناه باحثا عن البطولة العربية ، وأبرزها في غير مظهر فكان يستنهض همم العرب ويدعوهم الى الغربة . إذ يرى التجديد فيها ، وربما يسترد العرب في غربتهم ما قد فقدوه ،وقد يكون إحساسهم بفقدان الوطن والحنين اليه ،وانهيار وجودهم القومي اكثر بروزا في الغربة ، لذا دعاهم اليها قائلا : —

---

(١) الديوان : ٢/٤٥٣ .
(٢) الديوان : ٢/٤٥٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تغرّبْ لا مستحقباً غيرَ قوتِهِ ، ولا قائلاً إلاّ لِمَا يُهَبُ المَجْدُ
ولا خائفاً إلاّ جَرِيرةَ رُمْحِهِ ، ولا طالبا إلاّ الّذى تطلبُ الأُسْدُ
إذا عربيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ سيفِهِ مضاءً على الأعداءِ انكرهُ الجَدّ(١)

رأى إن العربـــي في قوته ومتانته كقوة السيفه ومتانته . فهذا الفيـض العارم في وصف العربي لهو نوع من الهاب الحماسة فيهم لأن يثوروا او يرفضـوا الذل الذى يعيشونه وذلك بأن يكونوا كسيوفهم المميزه ، فمذ خلق العربـــي وخلق السيف كانا صنوين .

وكان يرفض العيش الا داخل بوتقة البطولة العربية ، البطولة الجاثمـة في التاريخ العربي ، البطولة التي عاش الشريف على حلمها ، لذا رأيناه يهـدد بإعداد الفرسان الملثمين الذين انحطوا بمهاريبهم على اعدائهم من كَلِ ، فوصفهم قائلا : —

وكلُّ غُلامٍ ملءَ دِرْعَيه نجدةٌ ولَوْثَةُ أعرابيّةٍ وتَغَطْـرُفُ
على كُلِّ طاوٍ فيه جِدّةُ وميعةٌ ، وطاويةٍ فيها هِبابٌ وعَجْرَفُ(٢)

امتـلأت نفوس جنوده بالنجدة الاعرابية والبطولة العربية ، وفاضـت بالفضائل العربية والخشونه العربية الرائعة ، فهؤلاء الفتيان المميزون المبرزون في ساحة المجد والوغى ليسوا فتيانا محاربين عاديين فحسب بل انهم من الأعيرباب الذين تميزوا بالفتوة العربية .(٣)

وتوعد بني جشم بقوة تملأ الدنيا ، قوة غريبة من نوعها تخترق حـدود الزمان والمكان والسلطان ، هذا الثالوث السذى جسد قاعدة الاحساس بالوجـود القومي للشريف واعد لهذه الغاية فرسا وصفها في قوله : —

وخفيري في غياهبهـا سابحٌ ضمّنْتُهُ الأمَـلا
طَرِبٌ للصّوْتِ تحسبُـهُ عَرَبِياً يَعْشَقُ الغَـزَلا(٤)

---

(١) الديوان : ٣٣٥/١ — ٣٣٦ .
(٢) الديوان : ١٩/٢ .
(٣) الديوان : ٣٥٤/١ .
(٤) الديوان : ٢٣٠/٢ — ٢٣١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فرسه فرس عقد عليها الأمل بالنصر ، فرس خفيف وطرب للحرب ، ويتلذذ بصليل السيوف حتى صعب علينا التفريق بينه وبين العربي الذى يعشق الغزل ويطرب له ففرسه عاشقة للحرب كعشق العربي للعروبة والمجد ، فالعربي برأى الشريف بطل في كل شيء . اما الفارس الذى يسوس الفرس السابقة صفاتها فيتصف بمواصفات كريمه حتى قال فيه : -

ومِنْ شِيَمِ الفَتَى العَرَبِيّ فينا ... وصالُ البيضِ والخَيْلِ العِرابِ(١)

هذه مواصفات فتاه فتى محارب حسنت منه الخشونه كما حسنت منه رقة الاحساس .

البطولة العربية كانت مظهرا من مظاهر الشعور بالقومية لذلك نراه اتجه الى التراث العربي القديم يسترجع ماضي امته الذهبي ،يستشعر معاني العظمة والبطولة والكبرياء . وعرض الشريف سلسلة من ملوك العرب الرافضين الخالدين في وجدان الأمة والتاريخ العربي ، وقد جمع صور اولئك الأبطال في مرثية للصاحب بن عباد قال فيها : -

وعصائبُ اليَمنِ الذَّينَ تبَوّأوا ... قُلَلَ الهضابِ وشرَّدوا الأوعالا
كانوا فحولَ وغىً تسابِدُ بالقنا ... لاكا لفحولِ تسابِدُ الأجمالا
وعلى الهَباءةِ آلُ بَدْرٍ إنهُمُ ... طرحوا لَهُ الأسلابَ والأنفالا
من بعدِ ما خلطوا العجاجَ وجلجلوا ... تِلْكَ الزعازعَ والقنا العسّالا
والمنذرونَ الغُرُّ شرَّدَ فِيْهِمُ ... حيّا على لَخَمِ العراق حلالا(٢)

رثى فيها ملوك العرب الذين كانوا قد تسنموا عرش المجد ، وغرة التاريخ وتبدو الانفة والفخر عابقة من وراء قوافي النص خاصة عندما أتى على ذكر المناذرة الذين كانت لهم صولات وجولات مع الفرس .

---

(١) الديوان : ١١٤/١ .
(٢) الديوان : ٢٠٥/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولكاني به لا يرثي الصاحب بن عباد احد الوجوه البجرة في ساحة التسلط الفارسي ، ولكنه كان يرثي الحضارات العربية الغابرة ، والبطولة العربية التي افتقدها الشريف ،وافتقدها العرب ، ولم يجد لها منتفسا الا في رثاء احد زعماء هذه الدولة العربية وبالتالي كانت القصيدة رثاء للمجد العربي الزائل الذى لم يعد الا شبحا وطيفا كان يزوره في حلمه الواعي .

وهدد الشريف أعداءه في قصيدة يبدو انه قالها في بهاء الدولة استعرض فيها صولة العرب القرشيين في معركة ذى قار ، وانتصارهم فيها على الفرس(١) واستعراضه لأبطال ذى قار لم يكن فارغا من اى معنى فهو احد أبناء أولئك الابطال الذين قادوا المعركة الخالدة .

لم يكتف بمهاجمة البويهيين خفاء ،ولكنه استعمل اسلوبا لاذعا في هجائها وذلك بالافتخار بالقومية العربية ، والدعوة الى ايقاظها اذ قال في قصيدة يمدح بها بهاء الدولة : -

يا قوامَ الدِّينِ ملّيتَ بها ... دَوْلَةً تجري إلى غَيْرِ أمَدْ
قائدُ الخَيْلِ تَساقَى بالرَّدَى ... تَحْتَ آسادٍ لها التَّفْخُ لبُدْ
ونَجَا المَغْرورُ مِنْ جامِحِها ... مُفْلِتَ الشَّكْمَةِ حَلْقَ المُزْدَرِدْ
غاوِياً يَحْلُمُ بالمُلْكِ وهَلْ ... يَغْلِبُ العَيرُ على بَيْتِ الأسَدْ
أذكرونا يَوْمَ ذي قارٍ،وقَدْ ... أقبلوهُ عارِضَ الطَّعْنِ بِرَدْ
رُجِمَ الأغْلَفُ في تيهائِهِ ... وَرَدَ العِلْجُ وما كادَ يَرِدْ
يَصْطلي نارَ طِعانٍ مضَّةٍ ... أوْقَدَتْ فيها نِزارُ بنُ مَعَدّ(٢)

وصف في المقطوعة السابقة جنودَ قوامِ الدينِ بالقوة والعظمة، وقد ردوا عدوهم الذى هدد دولة البويهيين ، وقد ذكرته قوتهم بقوة جنود معركة ذي قار التي انتهت بانتصار العرب وتفوقهم مقابل اندحار قوة الفرس وانكسارهم فالشريف لم يتنازلْ عن إعتزازهِ القومي حتى أمامَ السلطانِ الفارسي الذى اذاقَ الشريفَ وقومَه العرب ، القهرَ القومي . وهذا قمةُ الانتماءِ للقوميةِ العربيةِ وعلامةٌ على التزامه بقضايا أمته .

لم يدعْ الشريفُ فرصةً الا وقد أبرز فيها قوميَّته العربية ، وافتخر بها واذا ما مر بالحيرة فانه لم يمر بها مر الكرام ولكنه وقف عليها مليا يتأملها ويبكي فاطنيها المناذرة الذين ركبوا المجدَ ردحا من الزمن ، وقد غادروها بالمجد والكرامة لا بالذلة والهوان فقال : -

---

(١) الديوان : ١٩١/١ .
(٢) الديوان : ٢٧٤/١ - ٢٧٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ما زلتُ أطرقُ المنازلَ بالنَّوى ... حتّى نَزَلْتُ منازلَ النُّعمانِ
بالحِيرَةِ البَيْضاءِ حيث تقابلَتْ ... شُمُّ العِمادِ،عريضةُ الأعطانِ
ورأيتُ عجماءَ الطّلولِ من البِلى ... عن مَنْطِقٍ،عَرَبيّةِ التّبيانِ(١)

أعلن انه دائم الزيارة لمنازل النعمان بن المنذر للحيرة مملكة العرب التي واجهت جبروت الفرس وتسلطهم ، الحيرة الرافضة للقهر الأجنبي ، الحيرة التي تميزت باصالة القيم ، وأصالة الانتماء الى العروبة حتى أصبحت عنده رمزا للعروبة الحرة . وعندها ربما كان رثاؤه للحيرة وأهلها رثاءً للبطولة العربية المفقودة ، رثاء للحضارة العربية الغابره ، وتعبيرا عن رفض السلطة الأجنبية وبالتالي هي شكل من اشكال الانتماء القومي .

إذن فاستحضار الحيرة (٢) عنى استحضار العلاقة بين الفرس والعرب لمّا رفض النعمانُ والعربُ الاستكانةَ والخضوعَ لحكمهم ، وعندها يكون رثاءُ المناذرة والحيرة أيضا تعبيرا خفيا عن رفضه سلطةَ الفرس ، لذا ركز على بطولة أجداده العرب واستبسالهم في مقاومة الفرس والدفاع عن أراضيهم وعروبة مملكتهم .

وأبرز الشريفُ أوصافَ البطلِ العربي الجديدِ ، بطلِ عصره وهي مطابقة لاوصاف بطل ذى قار لانه سيكمل دور ذال البطل في الزمن الأقدم - فقال واصفا اياه :

فتىً لَمْ تُوَرِّكْهُ الإماءُ،ولَمْ تكُنْ ... أعاريبُهُ مدخولةً بالأعاجمِ (٣)

فهو فتى لا ينتمي للأعاجم بأى صلة ،نقي العروق ، طاهر الأصول ، من هجان قريش كما عبر في كثير من قصائده .

ومر الشريف على إيوان كسرى ،ووقف عليه وقفة طويله تامله بعيون ساحرة وقلب ضفن متشف ، ولم ينظر إليه بعيون حزينة وشاكية كما وقف على منازل النعمان من قبل فقال : -

قد نَزَلْنَا دارَ كِسْرى بعدَهُ ... أربُعاً ما كُنَّ للذُّلِّ ظُعُنْ
أسفرَتْ أعطانُها عَنْ مَعْشَرٍ ... شَغَلوا المَجْدَ بهمْ لَمّا عُنُنْ
آل ساسانَ حدا الخَطْبُ بِهِمْ ، ... واستَرَدَّ الدّهرُ منهُمْ ما أعارا
عُمِّرُوا لَمْ يعلموا أنَّ لَنَا ... جائزَ الأمْرِ عليهِمْ وإلى مَنْ صارا
قدَّروا جَدَّ نِزارٍ واقفاً ، ... ومشى الجَدُّ فما عَزّوا نِزارا (٤)

---

(١) الديوان : ٤٦٨/٢ .
(٢) الديوان : ٥٠٩/١ ٣٠٥/١ .
(٣) الديوان : ٤٣١/٢ .
(٤) الديوان : ٤٨٤/١ - ٤٨٦ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

حلبت ركاب العرب في مدينة الفرس وهدمت مدينتها وعنوان حضارتها إيوان كسرى الشامخ ، ولم يقف الشريف على الايوان وقفة البحتري عليه يناجي حضارته ويبكيها ، لكنه وقف عليه وقفة الشامت بهم ، وقفة المفتخر بالعرب المسلمين الذين دمروا حضارة الفرس ، وأسسوا على أطلالها حضارة جديدة ، في حين كان رثاؤه للحضاره العربية متجسدا في أطلال الحيرة رثاء مليئا بالأسى والحزن والإعظام والاجلال والافتخار بذلك المجد العربي الزائل على الرغم من أن فكر الحيرة كان يشكل النقيض للفكر العربي الاسلامي الذى دمر فكر الحيرة .

ففي رثائه لايوان كسرى بدا شامتا بالفرس كون العرب اصحاب الفكر الجديد الذى ينتمي اليه الشريف . وأزعم بأنه ربما لم يعالج قضية الاسلام في شماتته بالفرس قدر معالجته قضية العروبة كما بدا من موقفيه المتضادين على الإيوان والحيرة .

نستنتج مما سبق انه كان يدور في رثائياته للأطلال ضمن دائرة العروبة فقد أبرز فيها الصراع العربي الفارسي ، وأبرز فيها كرامة العربي وتفوقه ، وحضوره في ساحة المجد والكرامة ، فبكاء الحيرة كان بكاء على العروبة الحرة ، على الرفض الثوري المتجسد بالمنادرة الرافضين للتسلط الفارسي لذا لم نره شامتا بالمناذرة ضمن دائرة الفكر الاسلامي فافتخاره بالعربي وشماتته بالمجد الفارسي هو دليل على احساسه بالإنتماء القومي ، ورفضه للحضارة الفارسية أو الأجنبية في أى زمان ومكان .

تعلق الشريف بالعربي ، وأبرزه شخصية نموذجية ورثت القيم العربية الأصيلة من كرم وشجاعة وجود وسماحه ودفع الضيم والوفاء والمروءه والبطولة وغيرها من قاموس الفضائل العربية وألصق كل هذه الصفات المعنوية بالشخصية العربية التي ينتسب اليها الشاعر عرقا فقال : -

مِنْ مَعْشَرٍ ما فيهمُ إلاّ فتىً ... أو جائدٌ أو ناشدٌ أو حامِ
قومٌ إذا عزموا الغوارَ تراجعوا ... يتقاسمونَ ضراغمَ الآجامِ
لا يستقرُّ المالُ فوقَ أكفّهم ... كالسّيلِ يَزْلِقُ عَنْ ذُرى الأعلامِ (١)

وأغار الشريف على قاموس رذائل العجم ، فهم قوم بخال لذا رفضهم رفضا مطلقا و أعلن انتماءه القومي للعرب ، فقومه كرام أعزة ، والعجم قوم أذلة عجزة فقال فيهم : -

---

(١) الديوان : ٣٣٥/٢ . الآجام : الغابات . الاعلام : الجبال .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اذا رَابَني الاقْوامُ بعْـــدَ وَدادَةٍ ، لَبِسْتُ القِلَى نَعْلاً بغَيْرِ قِبَالِ
وأغبَطْتُ رَحْلَ الهَمِّ في ظَهْرِ عَزْمَـــةٍ مُوَاشِكَةٍ مِنْ عَجْرَفٍ ونِقَـــالِ
أأذهبُ عنْ قوم كِـــرام أعـــزَّةٍ ، إلى جِذْمِ قَومٍ عاجزينَ بِخَـالِ
كمنْ بادَلَ الإجلاءَ في العَيْنِ بالقَذَى ، وآب بداءٍ لا يُطَبُّ اعضَـــالِ(١)

ليـــس ذلك فقط بل أبرز الشريفُ أوصافَ البطل المنقذ ، البطلِ العربـــي الرافض لهذا التسلط البويهي في رثائه لكثير من الشخصيات العربية التـــي توسم فيهـا البطولةَ العربيةَ كآل حمدانَ ، وآل عقيل الذين قاوموا التسلـــط الأجنبي من روم وفُرْس ، كما وأبرزها كما رأينا ايضا في الخليفة وزعماءِ القبائلِ ووالدِه اذ جعله محور تهانيه في الاعياد ، وسيِّدَ الموقف في الأزمات كما سيـــأتي.

ولما يئس من وجود البطل العربي الرافض الطالع من عتمة التخـــاذل ارفض الانتماء الى بغداد التي ضمّت قرمه المتخاذلين ، وجنح الى البادية مركـــز انطلاق الحضارةِ العربيةِ القديمةِ ،ومركز الطُّهرِ الديني ، الوجه الديني الجديـــد للحضارة العربية فقال

حَلَفْـــتُ بِهَا صِيدَ الرُّؤوسِ سَوَامٍ ، طِوالَ الذُّرَى يمددْنَ كُلَّ زِمَـــامِ
بكُلِّ غُلامٍ حَرَّمَ النَّوْمَ هِـــمَّةٌ إلى بلدٍ نائي المَزارِ حَـرَّامِ
لأَستَمْطِرَنَّ العزَّ نفساً مريغـــةً (٢) ورودَ علاءٍ ، أو ورودَ حِمَـــامِ

مَلَلْتُ مَقَامي غيْرَ شكوى خصاصَـــةٍ ، وإني لأمرٍ ما أمَلُّ مَقَـــامِ
نزاعاً عن الدارِ التي أنا عندَها كثيرُ لُبانَاتٍ طويلُ غـــرامِ
وكم يستفِزُّ الذُّلُّ قلبَ ابنِ همَّـــةٍ ، لَهُ أمَلٌ نائي المَدى مُتَـــرامِ(٣)

واصبحـت البادية رمزا للأصالة العربية ومثلت مخزونا وجدانيا عميقـــا لدى العرب ضم الثأر والقوة والرفض ، وقد طلب البادية مقاما من أجل تنفيـــذ مخططه الوحدوي الثوري ، وحينئذ قد يصح زعمنا بأن البادية ملمح من ملامـــح العروبة والحس القومي .

وهكذا كان الشريف ذا حس قومي ،دافع عن العروبة بكل ما يملك فكـــان باحثا عن البطل العربي ضمن الوجوهِ العربيةِ السياسيةِ البارزةِ تارةً ،ومستلهمـــا إياهُ من البطولةِ الغابرةِ تارة اخرى،وتارة ثالثه وجدَهُ في نفسه فنسب اليهـــا كل شروط البطل المنقذ .

---

(١) الديوان : ٢٥٤/٢ . القبال : زمام النعل ؛ النقال : الاسراع في السير
(٢) مريغة : طالبة .
(٣) الديوان : ٤١٩/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا : الإمـــــــامـــــة :

اذا كانت مصطلحاتُ السلطةِ العقديةِ هي أصعب أنواع الانسانيات بحثـــا فالأصعبُ منها البحث في نظرية الامامة ، في فكر حزبي السنة والشيعة ، ولن أتناولَ مصطلح الامامة (الخلافة) برأي السياسيين تعريفا وتفصيلا ولكني سأتناوله قَدْرَ ما يحتاجهُ البحثُ ، وسأتجاوز آراءَ السنيين في الخلافة ايضا ، وسأكتفي بآراء الشيعةِ مستنتجةً منها خصائصَ الإمامةِ وشروطَها ، والقائمين عليها منطلقـــــةً من تعريف الشهرستاني للشيعة أنفسهم بأنهم " هم الذين شايعوا عليا — رضـــى الله عنه — على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، اما جليـــــا واما خفيا ، واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من أولاده ، وان خرجت فبظلم يكـــون من غيره "(١)

نستنتج مما سبق أن شروطَ الإمامة تنص : على ان يكون الامام من صلـــب علي ، ولا تجوز الإمامةُ في غيرهم ، وانها تنتقل من الامام القائم الى وصيّـــه وفقَ ترتيب الهي . فاذا مات الامامُ حلّتْ روحه في إمام آخر ،وعُيّن بدلا منـــه واختلفت الشيعةُ شيعا وأقواما ،فمنهم من ساقها بولد فاطمة بالنص واحدا واحـــدا وهم ما يسمون بالإمامية (٢) . وذلك نسبة لاشتراطهم معرفة الامام وضرورة تعيينـــه ومنهم من ساقها بولد فاطمةَ ولكن بالاختيار واشترطوا الى جانب ذلك الخـــروج بالسيف فقالوا : " من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين — رضى الله عنهم — وكان عالما زاهدا شجاعا فهو الامام ، وشرط بعضهم صباحة الوجه "(٣)وهم ما يسمـــون بالزيدية .

وأكدت الفرقةُ الإماميّةُ أهميةَ الامام ، وعدت تعيينه ركنا رئيســـا من أركان العقيدة . وواجبَ تعيينه بنص الهي أو من الرسول — صلى الله عليه وسلم ولا يجوز أن يخلوَ عصرٌ من العصور من إمام مفروض الطاعة ، منصوب من الله تعالـــى سواء رفض البشر أم رضوا ،وسواء آزروه أم خذلوه ،وسواء كان حاضرا ام غائبا .

---

(١) الملل والنحل : الشهرستاني ، ص٦٣ ، مؤسسة ناصر للثقافة — بيروت — ط١ ١٩٨١م .

(٢) المصدر نفسه : ٦٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٧٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقالت الفرقة القطيعية من الامامية الرافضة "بان محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن حسن بن علي بن ابي طالب حي لم يمت او لا يموت حتى يخرج فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وهو عندهم المهدى المنتظر"(١) كما وآمنت القطيعية بالغيبة واختفاء الامام تقية ، ولكننا نرى ان الامامية لا تجعل حدا للغيبة ، فقد تطول الغيبة مئات السنين ، وتبقى احكام الشريعة معطلة الى ان يخرج المهدي المنتظر ، ولكن متى سيظهر ويعلن عن رجعته ؟ وممن تلقى وصيته ؟ وعلام بايع الناس ما دام الامام مختفيا ؟ وفي كل ما سبق تعطيل لاحكام الشريعة .

أما العقيدة الزيدية فالامام لا يعد اماما ما دام سيفه مغمودا ونصله غير مشهور في وجه أعدائه من الذين اغتصبوا الامامة من ولد علي او فاطمة ولا تعترف الزيدية بامامة الامام المختفي تقية ، أو امام غائب واجبة طاعته ولا تعترف الا بالامام الخارج على الظلم بسيفه ، ومن هذا المنطلق جوزوا امامة المفضول وتأخير الأفضل ان كان راضيا بمظلمته أو لم يخرج بسيفه .(٢)

هذا ما كانت تعنيه لفظتا الخلافة والامامة في الفكر العقدى الشيعي، وسياسيا كانت تعني وجود فئتين : الفئة الحاكمة ، والفئة المعارضة وشنتاهما شكلتا فكرا عقديا سائدا ، على الرغم من كون الفئة الحاكمة في معظم الاحيان هي فئة السنة ، الا أنها لم تكن وحدها هي الفكر السائد ،ولكنها كانت تتعايش مع فكر الفئة المعارضه - ان جاز التعبير - فئة الشيعة .

ب - الإمامة برأي الشريف الرضي :

معرفة الموقف المذهبي للشريف الرضي يوضح موقفه من أيدلوجيا السلطة الحاكمة والمعارضة على السواء ، لا سيما وأنه زعيم حزب المعارضة حزب الشيعة (نقيب نقباء الشيعة) كما عرفنا في الفصل السابق وسأبرز موقفه من الامامة من خلال شعره ، وما مدى التزامه بأفكار الحزب الشيعي الموحد ، والى أى فئة كان ينتمي ،مستأنسة بمناصبه الدينية .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ابن حزم : ١٨١/٤ دار المعرفة بيروت - لبنان ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

(٢) المصدر السابق : ٦٣/٤ ،انظر ايضا : الملل والنحل : الشهرستاني:٦٦- ٦٧ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١ - الدفاع عن آل البيت :-

اصرح تعبير عن المذهب العقدي لشعراء الشيعة هو الدفاع عن آل البيت ، اذ مثل هذا الدفاع مركز النظرية العقديه لدى الشيعة ، لانهم اعتقدوا ان آل البيت هم أهل الحق في الامامة المغتصبة ، وخير الشعراء فنا في رأى النقدة الشيعة هو من يقف شعره على آل البيت .

وقد عبر الشريف عن هذا المبدأ في علاقته بممدوحيه ، مفرقا بين مدحه للدنيويين ، ومدحه للنبي وآله الكرام فقال :-

أهذّبُ في مدْحِ اللّئام خواطِري ... فأصْدُقُ في حُسْنِ المعاني وأكذِبُ
وما المَدْحُ إلا في النبي وآلِهِ ... يُرامُ، وبَعْضُ القَوْلِ ما يُتَجَنَّبُ(١)

فالممدوحة في الدنيويين عنده غير صادرة عن فكر عقدي واع لهذه العلاقة، ولا تعبر عن عاطفة صادقة ، وانتماء حق ، فهو غير منتم لهولاء الممدوحين ولكأن علاقته بهم، ومدحه لهم ما هو الا هروب من موقف غير لائق به ، وبمعنى اخر هو تقية في الفكر الديني ، أما مدحه الحقيقي الذى ينم عن شعور صادق وتعبير حقيقي عن انتمائه فهو ما خصه في آل البيت ، وهذا اول التزام له بمبادىء الحزب الذى كان يؤمن به الشريف ، والذى هو زعيم له .

وللشريف نظرة في خلود شعره ، فالشعر برأية لا يكتسب خلوده الا بالفكرة الخالدة التي يكرس لها فنه وحياته فقال :-

أرى الشِّعْرَ فيهِمْ باقياً ، وكأنّما ... تَحَلّقُ بالأشعارِ عنقاءُ مُغْرِبِ
وقالوا: عجيبٌ عُجْبُ مِثْلي بنفسِهِ ، ... وأينَ على الأيّامِ مِثْلُ أبي أبِ
لَعَمْرُكَ ما أعجبْتُ إلاّ بمدحِهِمْ ، ... ويَحْسَبُ أنّي بالقَصائدِ مُعْجَبُ(٢)

لقد هام في مدح آل البيت ، وجود المدائح الغر فيهم حتى حسبه الناس معجبا بفنه ، لانه فن فقط ولكنه كان معجبا بمدحهم ، وبالتالي كان معجبا بفنه الذى قدس فيه آل البيت .

---

(١) الديوان : ١١٢/١ .
(٢) الديوان : ١١٢/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن هنا فمظاهر الحماسة والافتخار بوالده ونفسه ،وهذا الاستغراق الذاتي الذى احسسناه عنده وهو يتحدث تباهيا عن نفسه لم يكن الا وجها من وجوه الدفاع عن آل البيت ربما انه احد شخوص هذا البيت فليس عجيبا ان يمدح نفسه لا سيما وأن والده قد حاز سرة المجد التليد ، من هنا بدأ بمهاجمة الأنساب ، والدفاع عن نسبه الشريف وقد بلغه عن بعض قريش افتخاره على ولد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب بمن لانسبُ بينه وبين الصحابة ، فجرد لسانه مدافعا به عن نسب آل البيت : —

يُفاخِرُنا قَوْمٌ بِمَنْ لَمْ يَلِدْهُمُ ... بتَيْمٍ ، اذا عُدَّ السَّوابِقُ أو عَدي
ويَنْسَوْنَ مَنْ لَوْ قَدَّمُوهُ لقَدَّموا ... عِذارَ جوادٍ في الجِيادِ مُقَلَّدُ
فتى هاشِمٍ بَعْدَ النَّبيِّ وباعُها ... لمرمى عُلَىً ،أو نَيْلِ مَجْدٍ وسُؤْدُدِ
أخَذْنا عليهِمْ بالنَّبيِّ وفاطِمٍ ... طِلاعَ المَساعي من مَقامٍ ومَقْعَدِ(١)

واتخذ غرضي الهجاء والفخر مظهرين من مظاهر التعبير عن التزامه بأفكار الحزب ،وتعرض لكل من تعرض لآل البيت حتى لو كان وزير عضد الدولة البويهي الذى كان سببا في حبس والده وعمه بقلعة فارس ، وكان الوزير قد شتم الشريف ابا احمد بقوله : " كم تدل علينا بالعظام النخرة "(٢) قاصدا التعريض بنسب آل البيت فرد عليه الشريف لما تغيرت عليه الدنيا فقال : —

وطاغٍ يُعَيِّرُ البَغْيَ غَرْبَ لِسانِهِ ... وليسَ لهُ عنْ جانبِ الدِّينِ زائدُ
شَنَنْتَ عليهِ الحقَّ حتّى رَدَدْتَهُ ... صَموتا ،وفي أنيابِهِ القَوْلُ راقِدُ
يَدِلُّ بغَيْرِ اللهِ عَضْدا وناصراً ... وناصِرُكَ الرحمَنُ ، والمَجْدُ عاضِدُ
تُعَيِّرُ ربَّ الخَيْرِ بالي عظامِهِ ... ألا نُزِّهَتْ تلكَ العِظامُ البوائدُ
ولوْ كان بين الفاطميينَ رَفْرَفَتْ ... عليهِ العَوالي والظُّبي والسَّواعِدُ(٣)

جرد المهجو من كل السمات الدينية فوصفه بانه طاغ ، يعير البغي لسانه الحاد ، ولا يملك الدفاع عن دين الله وأهله ، ليس ذلك فقط بل انه تجرأ على الله وآل البيت ، وعيّرهم بانهم عظام بائدة ، وبلغت حنكته السياسية في هجائهم حدا ذكيا اذ استنكر على الدولة البويهية — وهي دولة شيعية — سكوتها عن هذا الجاحد الباغي ، وكم تمنى لو انه اعلن موقفه من آل البيت بين الفاطميين في مصر لأكلته الرماح والسيوف قبل أن يكمل مقولته .

---

(١) الديوان : ٣٥٩/١ .
(٢) الديوان : ٣٠٥/١ ،تعليق جامع الديوان .
(٣) الديوان : ٣٠٧/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وفيما سبق دليل على رفضه للبويهيين ، فعلى الرغم من كونهم شيعة الا أنهم لم يحوزوا شرف النسب الهاشمي ، أما الفاطميون — في رأيه فهم شيعة وآل البيت ومن هنا تتغير وجهة نظره في البويهيين، ومن هذا المنطلق سعى وراء الفاطميين ، وتمنى اللحاق بهم غير مرة .

وعبر عن حبه لآل البيت والدفاع عنهم في المناسبات الدينية في يومي عاشوراء والغدير[1] فرثى الشيعة وبكى حالهم في يوم عاشوراء، وهنا شخصيات سياسية ودينية في يوم الغدير ، واتخذهما فرصة للتعبير عن فكره العقدي والتزامه أفكار الحزب الشيعي ، فسرد لنا أخبار الأئمة السابقين ومناقبهم ولكأني به ناشحة ثكلى تُرِنُّ وتُعْوِلُ في يوم عاشوراء على باب كربلاء نادبة بقوله :

كَرْبَلا ، لازِلْتِ كَرْبا وبَلا ، ما لقيَ عندَكِ آلُ المُصْطَفى
كَمْ عَلى تُرْبِكِ لمّا صُرِّعوا ، مِنْ دَمٍ سال ، ومِنْ دَمْعٍ جرى
كَمْ حصانِ الذَّيلِ يَرْوِي دمعَها خدَّها عندَ قتيلٍ بالظُّما
يا قتيلاً قوَّضَ الدَّهْرُ بهِ عُمَدَ الدِّينِ وأعلامَ الهُدى (٢)

ثم استطرد في بكائياته حتى أتى على ذكر الأئمة الاثني عشر ، وسرد معجزات الامام على وكراماته ، ومكانته من الرسول صلى الله عليه وسلم (٣)

وتحدث الشريف كثيرا عن الحق الضائع والعدل المفقود ، وهاجم الماضي والحاضر اللذين تجسدا ببني أمية وبني العباس الذين سلبوا حق الخلافة منهم وطالب بانتصاب العدل ورجوعه الى أصحابه وانتهاكهم حُرْمَةَ الوراثة ،وراثةِ الملك في آل البيت فقال : —

همُ انتحلوا إرثَ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ، ودَبّوا إلى أولادِهِ بالفواقِرِ
وما زالتِ الشَّحناءُ بَيْنَ ضلوعِهِمْ ، تَرَبّى الأماني في حُجُورِ الأعاصِرِ
إلى أنْ شنوها دعوةً أمَويّةً زَوَتْها عنِ الإظهارِ أيدي المَقادِرِ (٤)

فالملك وراثي في أبنائه ، ورثوه عن النبي — صلى الله عليه وسلم — وقد انتحل بنو أميه هذا الارث ،فهاجم الأمويين وتوعدهم أيضا ، فربما قصد بالامويين العباسيين ، الذين اتبعوا سيرة الأمويين ، ولا ننسى أيضا أن الشاعر لم يكن في عصر بني أمية ليتهددهم ، ولكأنه رأى أن كل الساسة هم بنو أمية في نظره ما داموا على النهج نفسه ، فالعباسيون والامويون سواء ، وما هجاؤه وتهديده لبني أمية الا هجاء وتهديد للدولة العباسية القائمة ،فدعا الأمويين(العباسيين) الى رد الحق لأصحابه فقال : —

---

(١) الديوان : ٤٤/١ ، ١٠٧/١ ، ١٠٩/١ ، ١٨٧/١ ، ٣٦٤/١ ، ٣٦٤/١ ، ٤٨٧/١ ، ٦٠٦/١ .
(٢) الديوان : ٤٤/١ — ٤٥ .
(٣) الديوان : ١١٦/١ .
(٤) الديوان : ١/ ٤٥١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رُدّوا تُراثَ مُحَمَّدٍ رُدّوا ، لَيْسَ القَضيبُ لكُمْ ولا البُرْدُ
هَلْ مَرَّقَتْ فيكُمْ كفاطِمَةٍ ، أمْ هَلْ لكُمْ كمحَمَّدٍ جَدُّ
إنَّ الخلائفَ والأولى فَخَروا بِهِمُ عَلَيْنا قَبْلَ أو بَعْدُ (١)

فالشريف يرى أن الخلافة حق من حقوق أولاد فاطمة - أسباط الرسول صلى الله علية وسلم - لذا فالعباسيون على قربهم من الرسول صلى الله علية وسلم الا أنهم ليسوا من أبناء فاطمة وبالتالي فقدوا حقهم في الخلافة الموروثة بفقدانهم شرطها ، من هنا كانت خلافتهم غير صحيحة ، وكان ارثهم مسروقا ، ويجب الدفاع بل الاستماته في الدفاع عن حقهم حتى يعود لأصحابه .

* الوصي :

من مبادىء نظرية الامامة في العقيدة الاماميه ، الايمان بالوصي ،وباهمية وجوده ، وانبثق هذا المبدأ من قصة يوم الغدير اذ قال فيه رسول الله مخاطبا الامة " من كنت مولاه فعلي مولاه " اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) (٢) وقالوا ايضا في أحاديثهم بشان الوصي والوصاية :(لا يموت الامام حتى يعلم من يكون من بعده فيوصي اليه " (٣)

كما وأنه لا يعترف بصحة إمامة الامام الداعي لنفسه حتى يتلقى وصيته من الإمام السابق ، وحينئذ تكون الوصية برأيهم - هي بوحي من الله جل وعلا حسب ترتيب الهي قضى به الله فانه " ما مات عالم حتى يعلمه الله عز وجل الى من يوصي " (٤)

وآمن الشريف الرضي بالوصي وقال مفتخرا بعلي بن أبيطالب : -

جَدِّي النَّبيُّ ، وأمي بنتُهُ ،وأبي وصِنْوُهُ وجُدُودي خيرَةُ الأُمَمِ (٥)

وفي موقع آخر لا يكتفي بأن يكون الوصي علي ابن ابي طالب أباه من جهه النسب فقط ، ولكنه أرادها علاقة دينية وفكريه فقال : -

جَدِّي نبيٌّ ، وإمامي أبي ومذهبي التوحيد والعدل (٦)

---

(١) الديوان : ٤٠٧/١ .
(٢) صحيح الكافي : محمد الباقر البهبودي ٣٣/١ . الدار الاسلامية-١٤٠١ -١٩٨١ ط١ .
(٣) المصدر نفسه : ٣٢/١ .
(٤) المصدر نفسه : ٣٢/١ .
(٥) الديوان : ٣٨٨/٢ . انظر ٨٣/١ ، ٣٥٩/١ ، ٤٣٠/١ .
(٦) الديوان : ٢٧٠/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اذن ، فالوصي عنده مثل أسس نظريته الامامية ، ومن دلالات الوصي عنده الانتماء الي تلك العقيدة القائلة بان الامام علي بن ابي طالب هو وصي النبي ، لذا آمن بوراثة الوصاية . وتوقع الشريف ان يكون هو الوصي المنتظر اذ قال : -

إنّي لَمِنْ مَعْشَرٍ ان جُمِّعوا لعُلَىً تفرّقوا مَنْ نبيٍّ ،أو وَصِيِّ نَبي(١)

رأى نفسه قد فاقت الوصي همة وعلى ، ويبدو لي ان الوصي عنده قد تجاوز الوصاية الدينية الى أن يدخل عالم السياسة ، وبمفهومه أنه حائز شروط الوصايه .

لقد شغلت نظرية الوصاية باله ، وأصبحت هما سياسيا وحلما جميلا يداعبه ، فايمانه القوى بالوصي جعله يرى نفسه الوصي المنتظر ، و لكأني به يريد أن ينقل الوصايه اجباريا الى نفسه ،لا سيما أنه وقد طالت غيبة الامام المنتظر ، وعبر عن رؤيته هذه كونه زعيما مسئولا ، من هنا استحق الوصاية الدينية والسياسية - ان جاز التعبير - الى جانب تمتعه بالشروط الوراثية .

ج - الغيبة / التقية / المهدي المنتظر :

هذه المبادىء الثلاثة سأتناولها معا لانها لا تنفصل عن بعضها بعضا وسنرى مدى التزامه بهذه المبادىء الثلاثة ، هل آمن بها كما قالت أحاديث الشيعة أم لَهُ موقف آخر من هذه المبادىء .

لقد قالت الشيعة بالغيبة ، غيبة الامام ، ولا تكون الغيبة إلا بأمر من الله ، وحدد أبو عبد الله الغيبة بأنها :" غيبتان احداهما قصيرة ،والاخرى طويلة ، الغيبة الاولى لا يعلم بمكانه فيها الا خاصة شيعته ، والاخرى لا يعلم بمكانه فيها الا خاصة مواليه " . (٢)

الغيبه كانت مشروطة بالوضع السياسي القائم ، اذ كان يختفي الامام تقية واستدلوا على ذلك بالآية التي نزلت في عمار بن ياسر :" من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (٣) "صدق الله العظيم .

فالتقية التي قالوا بها هي : (ان تقول) او تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك او مالك ، او لتحتفظ بكرامتك ، كما لو كنت بين قوم لا يدينون بما تدين ،وقد بلغوا الغاية في التعصب بحيث اذا لم تجارهم في القول او الفعل تعمدوا اضرارك والاساءة ،فتماشيهم بقدر ما تصون به نفسك ،وتدفع

(١) الديوان : ١/١١٢ .
(٢) صحيح الكافي البهبودى : ١ /٤٠ .
(٣) القرآن الكريم سورة النحل - اية ١٠٦ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الأذى عنـــــك "(١)

قالـــت بعض فرق الشيعة بالغيبة ، واختفاء الامام تقية حيث زعمت بعضهـــا أن محمد بن الحنفية حي لم يمت وهم على انتظاره ، ويزعمون أنه المهـــــــدى المنتظر .(٢)

لقـــد نشأت قضية الايمان بالمهدى المنتظر في حضن الغيبة والتقية ، ولكن السؤال الذى برز لنا هو أن الامام بعد رجعته من غيبته والاعلان عن نفسه وامامته ما دلائل حجته للامه لتؤمن به ؟؟

لقـــد حددتها الشيعة بثلاث حجج تقول : " انها لم تجتمع في احد الا كـــان صاحب هذا الأمـر ، أن يكون أولى الناس بمن كان قبله ، ويكون عنده السلاح ،ويكون صاحب الوصية الظاهرة التي اذا قدمت المدينة سألت عنها العامة والصبيان الـــى من أوصى فلان ؟ فيقولون الى فلان بن فلان ، والسلاح عنا بمنزلة التابوت في بنـــى اسرائيل "(٣)

وردت مصطلحات الغيبة ـ التقية ـ المهدى في شعر الشريف كثيرا ، ضمنهـا بكائياته في يوم عاشوراء ، فذكر المهدى المنتظر في قصيدة سرد فيها الأئمـــــة الاثني عشرة ومن ضمنهم المهدى المنتظر الغائب والمختفي تقية فقال : ـ

أوّلُ النّاسِ إلى الداعي الّـــذي ... لَمْ يُقَدِّمْ غَيْرَهُ لَمّا دعـــا
ثم سِبطاهُ الشّهيدانِ ، فـــــذا ... بحسا السُّمّ ، وهذا بالظُّبى
وعليٌّ و ابنُهُ الباقِرُ والصّـــــ ... ـادِقُ القَوْلِ وموسى والرِّضا
وعليٌّ وأبوهُ ، وابنـــــــهُ ... والذي ينتظرُ القَوْمُ غَـــدا(٤)

اذن فهـــو من المؤمنين بالاثنتي عشرية ،وبالتالي نستطيع ان نقول: بأنـــه كان موسويا اثنا عشريا لكـــن هذا الامام المنتظر محمد بن الحسن العسكـــــــرى المطابق لاسم الرضي ، والذى آمن الشريف بوجوده وغيبته لم يكن هو هدف الشريـــف من ذكره ، ولكن الهدف هو ابراز فكرة وجود المهدى .

---

(١) الشيعة في الميزان : محمد جواد مغنية : ٤٨ /٤٩ ، ـ دار الشروق .
(٢) الفرق بين الفرق : البغدادى . ١٩ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ـ مؤسسة الحلبي وشركاة ـ القاهره .
(٣) صحيح الكافي : ٣٢/١ .
(٤) الديوان : ٤٧/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبـــدت ملامح نظرية الحلول خافتة في شعره ، النظرية الآتية من عقيـــدة الغلاة التي قالت : بأن عليا بن أبي طالب مختف بين السحاب[١] ، فربما استقبل الشريف السحاب كما استقبلها غلاة الشيعة فقال مخاطبا .

أُحبُّ ثرى أرضٍ أقامَ بجَوِّهـــا ... حبيبٌ إلى قَلْبي وإنْ لَمْ يُلاثِـمِ
وأستشرفُ الأعلامَ حتى تدلّنّـــي ... على طيبها مرُّ الرّياحِ الهواجِمِ
وما أنْسِمُ الأرواحَ إلا لأنّهـــا ... تجوزُ على تلكَ الرُّبى والمَعالمِ[٢]

ولكأنـــي به كان يستقبل روح الامام علي التي حلت في البرق والسحـــاب وعلى رأى بعضهم ـ صباح مساء ينتظرها لتحل في جسمه ، وتمنى حلولها وأقنـــع نفسه بذلك الامر ، وبدأ باعداد الأمة لاستقبال المهدى المنتظر فقال : ـ

ولا بدَّ يوما أن يجيءَ فجـــاءةً ... فلا تنظراني عندَ وَقْتٍ موقّـــتِ[٣]

موعـــد خروجه بعد غيبته وتنكره قدحان ، وكان تنكره واختفاؤه تقيـــه لذا وعد قومه بالخروج ، وأعلن عن قرب موعده : ـ

ما أنا الا النَّصْلُ مغمودا ، ولـــو ... جرّدني الرَّوْعُ لبانَ جَوْهَـــري
لا بدَّ ان يظهرَ معروفي فقـــدْ ... طال على مرِّ الزّمانِ مُنْكَـــري
لا بدَّ أن اصدُرَ بعْدَ مـــوْردي ... فربَّ قوم يرقبونَ صَـــدَري
لا بدَّ ان اشعرَ وَجْهِ جُـــرّاةً ... فطالما ذلَّلَ عنقي خفـــري
لا بدَّ أن أحملَ أبناء الوغـــى ... على خفافٍ في الطِّراد ضُمَّـــرِ[٤]

طـــالت غيبة الامام وحانت رجعته ولا بد من الخروج واشهار السيوف . وهذا الخروج مقترن بصحة امامته ، وهذا الرأى آت من عمق نظرية الزيدية في الامـــام وصحة امامته المشروطه بالخروج واشهار السيوف . لابد من اعلان الثورة وحمـــل الجمهور على اتباعه .

وما تلك الغيبة التي أعلن عنها الا تعبير صريح عن أنه كان مختفيـــا تقية ، والا لما وعد بالخروج ، من هنا قد يصح لنا تفسير علاقته بملوك عصره على مبدأ التقية ـ اذ قال : ـ

---

(١) الملل والنحل : ٦٥ /٧٤ .
(٢) الديوان : ١/٤٣٢ .
(٣) الديوان : ١/٢١٠
(٤) الديوان ١/٤٧٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وما مَدَحْتُهُمْ أني رجَوْتُهُمُ ... لكنَّهُ عُوذٌ من شرِّهِمْ ورُقَى
كفى بِقَوْمٍ هِجاءً أنَّ مادِحَهُمْ ... يُهدي الثَّناءَ إلى أعراضِهِمْ فَرَقا (١)

علاقته بهم كما قال خوفا وتقية ريثما يرى الوقت مناسبا للخروج، ولما يئس من التقية تمنى اللحاق بالعبيد بين المصريين فقال : -

ما مُقامي على الهَوانِ وعِنْدي ... مِقْوَلٌ صارمٌ وأنفٌ حميُّ
أَلبَسُ الذُّلَّ في دِيارِ الأعادي ... وبمِصْرَ الخليفةُ العَلَوِيُّ
مَنْ أبوهُ أبي ،ومولاه مَوْلا ... يَ ، إذا ضامني البعيدُ القصيُّ
لفَّ عِرْقي بعِرقِهِ سيِّدا النَّا ... سِ جميعاً مُحمَّدٌ وعليُّ (٢)

رفض البقاء في العراق وقرر اللحاق بالفاطميين ، قال المقطوعة السابقة وهو في ذروة انفعاله وعلى درجة عالية من اليأس ، اليأس من بقاء الزمان على السلاطين الظلمة ، وتنبىء المقطوعة عن رفض الشريف لمبدأ التقية في بعض الحالات في علاقته بالخليفة العباسي ، وروت كتب التاريخ : " أن الخليفة القادر بالله لما رفعت اليه الأبيات ،عتب عليه ، وعاتب أباه ابا أحمد الموسوى ،فطلب منه والده وأخوه أن يكتب اعتذارا الى الخليفة ، وذلك بأن يكتب في المحضر المتضمن القدح في نسب الفاطميين بأن نسبهم مدع في ذلك ، فحلف الا يفعل ، وادعى خوفه من الدعاة ،وفي امتناعه ما يدل على أنه صادق في قوله ، ومعتقد أشد الاعتقاد بما يقوله "(٣)

وزاد ابن الأثير على ما سبق :" بأنه لم يودعْ تلكَ القصيدةَ في بعض ديوانه خوفا ، ولا حجةَ بما كتبهُ في المحضر المتضمن القدحَ في أنسابهم ، فإن الخوف يحمل على أكثر من هذا ".(٤)

وتنافضت الأخبار في نقل هذه الحادثة ، فمنهم من قال : بأنه كتب في المحضر تقية ،ومنهم من أنكر ذلك ، وقال : انه امتنع عن الكتابة واعتذر عن ذلك ثم عزله الخليفة عن المناصب التي كان يتولاها . وعد ابن كثير تقيته تزويرا فقال معلقا على فعلته : " والروافض من شأنهم التزوير "(٥)

---

(١) الديوان : ٨٤/٢ - ٨٥ . وقد سبق الاشارة اليه .
(٢) الديوان : ٥٧٦/٢ .
(٣) البداية والنهاية : ٣/١٢ - ٤ .
(٤) الكامل : ٢٥/٨ .
(٥) البداية والنهاية : ٤/١٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فما دام لا يستطيع فك اسار غيبته كما اعتقد ولا يستطيع الخروج اماما في بغداد فلا ضير اذن في أن يلحق بركب العلويين في مصر ، وبهذا يكون الشريف قد تنازل عن ايمانه بأنه الإمامُ المنتظر ،ونرى أنه كان يفرق في نظرية الامامة بين فئة الامامية في نظرتهم للامام وصحة امامته . وبين فئة الزيدية . وهذا الامر حملنا على القول : بأنه رأى أن الامام المنتظر لا يتلقى الوصية حسب ترتيب الهي كما تقول الشيعة ، والا لما يئس من كونه المهدى ، وحاول اللحاق بركب العلويين . وبهذا الموقف أيضا أقترب الشريف من فكر الزيدية في الامام وصحة امامته المشروطة بالخروج بالسيف علنا .

ومن جهة اخرى يبدو لنا أنه سئم من نظرية الأفضل والمفضول ، وعبر عن يأسه ورفضه لديمومة هذا الحكم . وهذا يدلنا على أنه كان مؤمنا بهذه النظرية فتوجه الى قومه مستنهضا هممهم لرفض هذا المبدأ وقد أصبح شرا فقال : -

يا بني أحمدٍ إلى كم سنانيْ ... غائبٌ عن طعانِهِ ممطولُ
وجيادى مربوطةٌ والمطايا ... ومقاسٍ يُرَوَّعُ عنه الدَّخيلُ
كم إلى كمْ تعلو الطغاةُ ... وكم يحكم في كلِّ فاضلٍ مفضولُ. (١)

وأخيرا ماذا قال الدارسون عن مذهب الشريف ورأيه في الامامة قال الذهبي فيه : " الرضي الشريف ابو الحسن الموسوى البغدادى .. وكان شيعيا)(٢) لم يزد على ذلك ، ولم يوضح من أي فرقه كان وإلى أيها ينتمي ، ووافقه العسقلاني في ذلك اذ اكتفى بقوله : " شاعر بغداد ،رافضي جلد "(٣).

أما الخوانساري فقال : " انه وجد في بعض الكتب أن الرضي كان زيديا وأنه كان يرى أنه أحق قريش بالامامة ، وأظن أنه انما نسب الى ذلك لما في أشعاره من هذا المعنى "(٤)

قوله مرفوض جملة وتفصيلا لأنه لم يذكر اسم الكتاب الذى نقل عنه القول بزيديته . وقد ذهب الخوانساري الى تبرئته من تهمة الزيدية ، وأكد اماميته دون أن يقدم تبريرا لرأيه .

وذهب الحلي أيضا الى تبرئة الشريف من تهمة الزيديه ، ورد تلك التهمة الى غير سبب منها ؛ أن تكون تلك التهمة قد لصقت به من قبل آباءه لأمه الذين كانوا زيديين أو لأنه كان ثائرا ، فلصقت الزيديه بكل من تحمس وثار على السلطة

---

(١) الديوان : ١٨٩/٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء : الذهبي:٢٨٥/١٧ - ٢٨٦. تحقيق : شعيب الارناؤوط،ومحمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٣ - الطبعة الاولى .
(٣) لسان الميزان : العسقلاني:١٤١/٥ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ط٢-١٩٧١
(٤) روضات الجنات : ١٩٦/٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهو زيدى النزعة لا زيدى العقيدة .(١)

ورد عبد الفتاح الحلو ردا مقنعا على الحلي ومن تبعه في رأيه بعقيدة الشريف،ونفى الحلو ايضا كونه قد ورث عقيدته وراثة عن آبائه وأخواله ،ولكنه ردها الى : " أنه درس الامامية وعاش في أجوائها ، ولكنه لم يلتزم بما تنصح به من تقية ، فقد رأى أنه صاحب حق مهضوم لابد أن يصل اليه ، وأن يعلن الثورة في سبيله صراعا سياسيا ، وسيفا يشهره لينال حقه ، وهو في هذا يتفق مع الزيدية "(٢)

واحتج أيضا لرأيه في زيديته بصراع الشاعر مع أبيه وأخيه في شأن قضية بائيته - التى مرت معنا - والتي تمنى فيها أن يكون عند الفاطميين ورفضه الكتابه في المحضر الذى تضمن القدح بنسب الفاطميين وبذلك يكون قد رفض التقية وهذا مبدا زيدى .

والحلي نفسه الذى برأ الشريف من تهمة الزيدية وأكد اماميته عاد ليقول عنه بأنه : " هو الرجل الذى اذا قاده البرهان الى شيء لا يبالي أن يجاهر به ، ولا يحفل أن يتفق أهل الملل كافة على خلافه " .(٣)

لقد وقع الحلي في تناقض مع نفسه اذ نفى الزيدية والاعتزال مرة ،وأكد انه رجل حر التفكير يحتكم الى العقل ولم يلتزم بمبدأ واحد مرة اخرى .

ورأى محمد عبد الغني حسن أنه رجل حر التفكير لا يلتزم بفئة شيعية دون الأخرى وعلل ذلك بأن شيوخه الذين درس عليهم ،منهم الشيعي ، والسني والمعتزلي والرافضي، والشافعي .. الخ ، فلم يتحرج أن يأخذ العلم من أي مصدر.(٤)

اما المطرودي فلم يناقش عقيدته ، ولكنه اكتفى بعرض أشعاره في الدفاع عن آل البيت والافتخار بهم دون مناقشة أو تعليق ، وتوصل دون سابق تقدمه الى قوله : " الشريف الرضي عندى رجل حر التفكير ، وله آراء خاصة به ومتزنه خالف بها الشيعة والمعتزلة ، وكان يبدو متسامحا واسع القول محبوبا محترما عند الجميع "(٥)

---

(١) حياة الشريف الرضي : عبد الحسين الحلى : ٥٨ ،تقديم على الخاقاني- دار البيان - مطبعة الحرية - بغداد .

(٢) ديوان الشريف : صنعة ابي حكيم الخبرى : مقدمة المحقق عبد الفتاح الحلو ٤٥ ، الجمهوريه العراقية - وزارة الاعلام - ط١ .

(٣) حياة الشريف الرضي : ٦٠ .

(٤) الشريف الرضي : محمد عبد الغني حسن : ٣١ .

(٥) الشريف الرضي (حياته وشعره) : محمد المطرودى : ١٣٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وأخيرا أقول بأنه قد التزم افكار المذهب الشيعي المسئول عنه ،وكان معتدلا في فكره الشيعي ، فلم يفرق بين فئات الشيعة من زيدية وامامية وغلاة فعبر عن أهم القضايا التي يشترك فيها الشيعة ،ولكاني به ، بمواقفه ورؤاه هذه قد وقف على مثن الوحدة يدعو اليها في كل شيء ، الوحدة بين فرق الشيعة كما دعا الى الوحدة بين قبائل العرب سابقا ، فكان مفكرا حرا واعيا لفكره الديني والسياسي ، ولم يكن اتباعيا في كل أفكار الفرقة الامامية .

اعتنق كل المبادىء التي نالت بها فرق الشيعة ، ولانت لنبولا في هواه ثم اقتنع بصحتها دونما تعصب منه لفرقة على اخرى .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثـــا : الثـــــورة :

تربى الشريف الرضي على فكرة ان الخلافة حق لأبناء علي بن أبي طالـــب، وبان الامويين والعباسيين قد اغتصبوا الخلافة من أصحابها ،فهاجم العباسيين الذين استولوا على مقاليد الامور .

بدأت علاقته بالخلافة منذ أن تفتحت عيناه على الحياة وقد رأى أغـــلال البويهيين في أيدي والده وعمه ، والفتى في سنه يرى والده القدوة والنمـــوذج المحتذى .. وفجأة انهار النموذج ، وعندها احس بأن الخلافة اغتصبت مرتين ، مـــرة في مخزون ووجدان الامة على أن الخلافة اغتصبت من علي وأبنائه ، ومرة لما سجـــن والده ، وانتفضت أحاسيسه الثورية مولدة منه قصائده الثورية وهو ابن عشر سنين:-

نصالي المعالي والزمانُ معانـــدٌ ، وننهضُ بالآمال والجدُّ قاعـــدُ
وللهِ ليلٌ يملأ القلبَ هولُـــهُ ، وقد قلَّتْ بالناشمينَ المراقِدُ
يقرُّ بعيني أنْ أرى أرضَ بابـــلٍ تخوضُ مُغاميها الجيادُ المذاوِدُ
فأسحبُ فيها بردَ جذلان شامـــتٍ اذا شاء غنَّتْهُ الرِّقاقُ البوارِدُ (١)

تمنى أن تملأ ثورته - العراق ليموت الخراب ، ويعم الخصب والخير فـــي البلاد وتنبعث السيول كاشفة عن الجمود والتحجر والركود ، ستنبعث سيوف الدمـــاء ويغني السيف للحياة ، عندها تستقر نفسه وتقر عينه ، ابتهاجا بالفرح ،بالحياة الجديدة ،وعندها سيشمت بكل الاعداء ويجر برد الفرحة والجمال - وفي هذا رفـض عنيف للسلطتين البويهية والعباسيه معا .

وما ان يكبر الفتى ويشب على رفض السلطة حتى تأتي نبوءة ابي اسحق الصابـــي والتي سُتجلِّي بينهما شعرا اذ بعث الصابي اليه قائلا :-

---

(١) الديوان : ١/٣٠٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبا حَسَنٍ لي في الرِّجالِ فراسَةٌ ... تعوَّدْتُ منها أن تقولَ فتَصْدُقا
وقد خبَّرتْني عَنْكَ أنَّكَ ماجدٌ ... سترقى منَ العلياءِ أبْعَدَ مرتقى
فو فيَّتُكَ التعظيمَ قبْلَ أوانِهِ ... وقلت : أطالَ اللّهُ للسيدِ البَقا
وأضْمَرْتُ منه لفظةً لَمْ أبُحْ بِها ... إلى أن أرى إطلاقَها لي مُطْلَقا
فإن عِشْتُ ، أوإنْ مِتُّ فاذكرْ بشارتي
وأوجِبْ بها حقاً عَلَيْك مُحقَّقا
وكنْ لي في الأولادِ والأهلِ حافظا
إذا ما اطمأنَّ الجَنْبُ في مَوْضعِ البَقا (١)

وأتت هذه النبوءة من أبي اسحق الصابي الرجل السياسي الذى خبر المجتمع ورآه بعين السياسي ، والمؤرخ العالم ، مما جعله يتنبأ بتغيير وجه الخلافة ، وليس من الغريب برأيه ان يكون الشريف هو المؤهل لمثل هذا المنصب فهو مؤهل سياسيا ودينيا الى جانب حيازته نسبَ آل البيت ، ولقبل هذه النبوءة ترحيبا كبيرا من الشريف ، ووقعت ألحانا جميلة في نفس الفتى الثائر الممتلىء ثورة وعنفا ، وتناسى اهميه هذه النبوءة من كونها قد صدرت عن رجل سياسي كهل ، فنبوّته لا يداخلها الغش والنصب والاحتيال كونها ايضا من رجل صابي ومن كهل سياسي لا ينتظر دنيا ، سيما وأنه مفلوج فأجابه الشريف على تلك الابيات بقصيدة قال فيها : —

سننتُ لهذا الرمح عزْما مُذَلَّقا ... وأجْرَيْتُ في ذا الهندُوانيِّ رونقا
وجُرَّ ذيولَ العزِّ إني اجُرُّهُ ... لهاماً ، اذا ما أظلم الليلُ أبرقا
وجيشا جناحاه يُزَمَّانِ بالرَّدى ... خفوقان ما نالا منَ الأرض مخفقا
نظارِ ، ولا تسْلُبْ عزمي فلن ترى ... علوقا اذا لم تجد مُتَعَلَّقا

(١) ديوان الشريف الرضي : ٢/٨٩ — ٩٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فوَ اللهِ لا كذَّبتُ ظنَّكَ ، إنَّـهُ لنعمَ إذا ما عادَ ظنُّكَ مخفقـا (١)

وأعد الشريف لنبوّة الصابي همة عالية تملأ السماء ، وتقلب الدنيا رأسا على عقب ، وطلب منه الانتظار والتريث لسماع خبر الثورة ونجاحها ، فالنبوءة لم تكن نبوءة فارغة أو ظنا مخفقا ولكنها كانت في نفس الشريف حقيقة واقعة . ويبدو ان بوادر ثورته كانت واضحة وشائعة ، ووعد الصابي ان صدقت نبوءته ونجحت ثورته سيحسن إليه وإلى أهله ،وشاعت أبيات الصابي حتى أنكرها ، وقال :" اني عملتها في أبي الحسن علي بن عبد العزيز حاجب النعمان كاتب الطائع ، وما كان الامر كما ادعاه ، ولكنه خاف على نفسه "(٢)

أحدثت هذه الابيات ضجة في عالم السياسة ، لا سيما وانه في العظم سنة ٣٨٤هـ وفي مجلس القادر بالله " كان يوما عنده ، وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له القادر : أظن أنك تشم رائحة الخلافة منها ، فقال : لا ، بل أشم رائحة النبوة "(٣)

ومهما تكن صحة الرواية ، الا أنها ذات مغزى كبير للاستدلال على صحة ثورته على الخلافة وعلى مراحل تطورها ، اذ تتصل هذه المزاحمة للخليفه بالنبوة بفكره العقدي ، ورأيه في الإمامة والإمام ، رغم أنهُ لم يصل إلى درجة الغلاة بأن يشبه نفسه بالنبي ، فالإمامة عنده استمرار للنبوة من حيث السلطة لامن حيثُ جوهرُ الإمام فالنبي واحد لا غير ، ولكنها تقدم لنا ما يفيدنا من أنه قد طمح للخلافة وجاهر بها حتى امام الخليفة ، ولم يرُحرجا في ذلك .

وفي رسالة أُخرى بعث بها الصابي الى الشريف ، يحثه فيها على التعجل بالثورة ويحضه على المطالبة بحقه في الامامة التي أضمر لفظتها صراحة ،وذكر رديفها خوفا وتقية ، الا أنه ذكرها هنا صراحة :-

أبا كلِّ شيءٍ قيلَ في وَصْفِهِ حَسَنْ ... الى ذاك يَنْحو مَنْ كَنَّاكَ أبا الحَسَنْ
يُوحِّدُها للإختصارِ إشارَةً ... إلى جُمْلَةٍ تفصيلُها لكَ مُرْتَهَنْ
تخوَّنَ لفْها في خِلْقَةٍ وخليقَةٍ ... فإنْ لمْ تكنْ أنتَ الحقيقُ بها فَمَنْ؟!
فدونَ الَّذي تخفيهِ منهُ الذي بدا ... وفوق الذي تبديهِ من الذي بطن
وما هيَ إلا كُنْيَةٌ لكَ إرثُها ... وإنْ مَسَّها من غيرِ أربابِها درن (٤)

---

(١) ديوان الشريف الرضي : ٢/٩٠

(٢) شرح نهج البلاغة : ١/٥١ انظر روضات الجنات : ٦/١٩٦.

(٣) الوافي بالوفيات : الصفدى : ٢/٣٧٦ : باعتناء من دريدينغ) فرانز شتاير فيسبادن ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٤) رسائل الصابي والشريف الرضي : تحقيق محمد يوسف نجم : ص (٢٧ - ٣٨) دائرة المطبوعات والنشر - الكويت - ١٩٦١م .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تنبه ابو اسحق الى كنية الشريف فعقد موازنة بينها وبين الجمال المطلق (الحسن) ، وبين كنية الامام علي ، التي أتت بالخير والجمال وقد ورث الشريف كنيته ، ونسبه ، وورث خلقه ، ولابد أن يرث الامامة ،ويقنع الشريف بان الخلافة حق له ، ولا أحد يستحقها الاه فيقول له : -

أُلسْتَ لها بعدَ الوصيِّ وآلـــهِ ... وأنتُمْ أُناسٌ فيكُمُ المَجْدُ قد قَطَنْ
ولِمْ لا ،وأنتَ السيِّدُ الماجدُ الذي ... له مِنَنٌ لم تستطعْ حملَها المِنَنْ(١)

وأعلن ولاءه للرضي ، اذ سيحمل الثورة على عاتقه ويخلص له ولها ، ولكن الأقدار كانت له بالمرصاد، اذ مات الصابي بعد زمن قليل من تنبئه بالخلافة فحزن عليه الشريف أشد الحزن وضاقت عليه الدنيا بما رحبت فرثاه بقوله :

بعدا ليومِكَ في الزمـــانِ فإنَّـــهُ ... أقذى العيونَ وفتَّ في الأعضـــاءِ
كبق امَّحى ذاكَ الجنابُ وعُطِّلَـــتْ ... تِلْكَ الفِجَاجُ ،وضَلَّ ذاك الهـادى
ضاقت عليَّ الأرضُ بعدَكَ كُلُّهـــا ... وتَرَكْتَ أضيقَها عليَّ بـــلادى(٢)

فقد يمـوت الصابي النصير الهادى في عالم الظلمة والظلم ، وتهجم على الزمان ، وطلب هلاكه لأنه عرى ظهره بموته ، ولم يعد يرى طريق النور ، طريق الثوره التي أخذ الصابي بيده فيها فقال : -

سوَّدتَ ما بَيْنَ الفضاءِ وناظِـــري ... وغسَلْتَ من عينَيَّ كلَّ سَـــوادِ(٣)

لقد كـان الصابي العين التي يبصر بها الطريق الصحيح للثورة ، ولما فقد تلك العين أى الصابي - اسودت الدنيا أمامه حتى عمي ، فالمرثي ، هو أستـاذ والثورة ، وكلمات الاستاذ والزعيم والداعية لا تموت بموت صاحبها ولكنها تبقى زادا له في أيام حاجته فقال : -

ما كنتُ أخشى ان تَضِنَّ بلَفْظَـــةٍ ... لتقومَ بعدكَ لي مقـــامَ الزّادِ(٤)

هـذه اللفظة التي خشي يوما ابو اسحق اظهارها لهي لفظة الخلافة-لامراء كما ظهر من النصوص - حيث اقتات الشريف على تلك النبوءة سنوات ، ومر علـى

---

(١) المصدر نفسه : ٣١،٣٨
(٢) المصدر نفسه : ٤٥، ٥٤)
(٣) المصدر نفسه: ٥٠
(٤) المصدر نفسه ٥١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قبره عام ٣٩٣هـ اى بعدموته بتسع سنوات فخاطبه قائلا : -

هل تذكرُ الزمنَ الانيقَ،وعيشُنـــا يَحْلو على متأمَّلٍ وَمُـــذاقِ
وليالِيَ الصَّبَواتِ، وهيَ قصائـــرٌ خَطْفَ الوَميضِ بعارضٍ مِبْـــراقِ(١)

استرجع ايام الصبا التي قضاها معه رغم قصرها ، ولكن أى صبا جمع بينهما ، وهذا شاب يافع ،وذاك شيخ مسن مزمن ؟؟

فهل من المعقول أن تكون هناك أيام صبا بين رجلين هذه صفات عمرهمـــا وحياتهما ؟؟ .

ولكني أزعم أن الايام القصيرة التي كان يطلب فيها الشريف من الصابـــي أن يتأملها ويستحضرها هي أيام الوعد بالثورة ، والنبوء بالخلافة والتلـــذذ بمراحل تطور الثورة . وهذا ما عنى بايام الصبا ، أيام بدايه ثورته فلما مات الصابي ماتت الثورة وشابت أفكار الشريف لذا كانت أياما شابة .

اذن فـــالعلاقة بينهما تجاوزت علاقة الصداقة العادية ولكنها كانت علاقـــة الثورى بالثورى ، الشبيه بالشبيه ليعلن بعد فقدانه بقوله : -

لا تطلبيْ يا نفسُ خِلاًّ بعْـــدَهُ فلِمِثْلِهُ أعْيا على المُرْتَـــادِ
فقِدتْ ملاءمة الشكول بفقـــده وبقيتُ بينَ تَباينِ الأضْـــدادِ(٢)

فهمـــا شبيهان ، وان لم يكونا متناسبين شرفا وميلادا ، وهو المعنى نفسه الذى قاله لما لامه الناس على رثائه له لأنه صابي فقال :"انما رثيت فضائلـــه وعلق ابن كثير بقوله : (وليس له فضل ولا هو اهل لها ولا كرامـــه)(٣)

فهم ابن كثير النص على ظاهره ،ولم يستطع أن يفلت نفسه من اسر التعصب ولم يستطع الدخول الى فكر الشريف العميق ، فكره الباطن ،فكر التقية ،ولم يتنبه الى نوع العلاقة التي كانت بينهما ، ولو تبصر في أدبه لما أسرع وأصدر هذا الحكم الذى لا ينم الا عن تعصب لرأيه ولفكره وقد ظلم فيه الشريف وصاحبه .

فعلاقتهما كانت علاقة سياسية ،جمعهما مبدأ وقضية :" فاعجـــاب الشريف الدائم بالصابي لم يكن اعجابا ناجما عن تجاوب عاطفي لدعوة الصابي إلى حقه في الخلافة ،بل هو اعجاب متصل بروح الدعوة ، وبمراحل انطلاقها واستمرارهـــا

---

(١) الديوان : ٣/٧٥٠ -
(٢) رسائل الصابي والشريف الرضي :٥٣٠.
(٣) البداية والنهاية : ابن كثير : ١١/٣٣٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتغلغلها في نفوس الانصار"(١)

وهـــذا فعلا ما وعده الشريف به ، باكمال الطريق الذى بدآه معا إذ قال : -

لادرّ دري إنْ مطلّتكَ ذِمّـــــةً في باطِنٍ مُتغيِّبٍ أوبَـــــادِ(٢)

وبعـــــدها وجدناه يهاجم الخليفه ، ويزاحمه على الخلافة ، وعلى مرأى من الناس اذ قال : -

ما أنا للعلياءِ، إنْ لم يَكُـــن من ولدي ما كان من والـــدي
ولا مَشَتْ بيَ الخَيْلُ إنْ لَمْ أطَـأ سريرَ هذا الأغْلَبِ المَاجِـــدِ(٣)

رفـــض الخليفة ، ووعد بانه سيجلس على كرسي الخلافة مكانه ، محتقرا مـــن كان قد جلس عليه ،ورأى الخليفة اقل شانا وهمة ومجداً منه ، ومن آن يكون خليفة بل وقد آنِفَ من انْ يكونَ أحدٌ محكوميه لا حاكماً عليه (٤)، فثورته على الخلافـــة قامت على نظرته الى العباسيين ، بانهم مغتصبو الحق من أصحابه ، واستثورته ، وان كانوا من عشيرته فتهددهم وتوعدهم : -

فإنْ كُنْتُمُ منّا ،فقد طالَ مَيْلُكُمْ قديما على عيدانِ تِلْكَ الأرُومةِ
فلا صلحَ حتى تسمعوا من ازيزهـــــا صواعقَ إمّا صَكّتِ الأذْنَ صُكّتِ(٥)

هـــذا عتاب مر ، وشديد اللهجة الى العباسيين ، وفيه رفض لملكهم ما داموا مظلومين ، وقد عانوا الذل ، وحينئذ رفض الشريف علاقة النسب والقربى التي بينهما والتي رعاها هو وقومه وتناساها العباسيون ، واوقعوا الظلم على آل البيـــت ويئس الشريف من نظرية الافضل والمفضول والتي بموجبها رضي بحكم العباسيين ،ورفض البويهيين العجم ، ورفض العباسيين ما داموا قد تجاوزوا حدود النسب وعلاقـــة القربى ، فهدد بالثورة ، ورأى نفسه القائد المنقذ من هذا الوضع المأساوى ،ومن بعدها قرر انه سيرفض الصلح حتى تعم الثورة ارجاء العالم الاسلامي ،ويبلغ الدمار قمته ولما يئس من صلاح العباسيين ، اقترباته بالنسب هدد بالتحول عنهم الـــى الفاطميين بقصيدته البائية التي اشير اليها سابقا والتي قال فيها : -

ما مقامي على الهوان ، وعندى مقولٌ صارمٌ وأنفٌ حمـــيٌ(٦)

---

(١) الاغتراب في شعر وحياة الشريف الرضي ، عزيز جاسم ص ٥٧ ،دار الاندلس ط١ - ١٩٨٦م .
(٢) الديوان : ٣٨٥/١ .
(٣) الديوان : ٣٤٨/١ - ٣٤٩ .
(٤) الديوان : ٢٠٩/١ .
(٥) الديوان : ٢٠٩/١ .
(٦) الديوان : ٥٧٦/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في ذا النص وضح الشريف موقفه من العلويين ،اذ بحث عنهم أينما كانوا وذلك ضمن نظرية الأفضل والمفضول . فهم مقبولون ضمن الفكر العقدي الذى كان يؤمن به . فالفاطميون ينتسبون الى علي بن أبي طالب، اذن فهم برأيه الافضل ويفترض به اللحاق بهم ،وترك المفضولين العباسيين .

هذا الضجر من التكتم والسريه ، ومبدأ التقيه ،اتخذ شكلا آخر من اشكال الثورة على الخلافة ، لذا بدا بالبحث عن البطل المنقذ لهذا الوضع المتردى ، وهو المهدى المنتظر . لقد طالت الغيبة وبدأت بوادر الفرج وسيخرج فجأة ولا يحدد زمنا لخروجه من غيبته ، وأنكر الترقب والانتظار وعدة عجزا، لذلك لا بد من السرعة في العمل ، لابد من الثورة السريعة الشاملة لتشمل كل ارجاء العالم : -

وانّ تعودي أرقبُ اليومَ أو غداً لعَجْزٌ فما الإبطاءُ بالنُّهْضَانِ
سأتْرُكُ في سَمْعِ الزَّمَانِ دويَّهَا بقَرْعَيْ ضِرابٍ ،صادقٍ وطعَانِ(١)

ثورته ما زالت في طور الوعد والتهديد ، ولم تتخذ شكل العمل الفاعل لقد آن وقت العمل والاستعداد لها بالفرسان الملثمين الذين بدأ باعدادهم ليوم الغارة ، فهمومه قد سكرت واستطالت و لابد ان تلد الهمة والعمل،و توج ثورته بنشيد الفتوة الغربية ، كما سماها زكي مبارك(٢)حيث وعد بقلب الدنيا رأسا على عقب ، وملئها نواحا وسقيها مطرا دمويا وسيوفا ردينية اذ قال : -

يا نَفْسُ مِنْ هَمٍّ إلى همّهْ، فلَيْسَ من عيشِ الأذى مُسْتَرَاحْ
قد آن للقلبِ الذى كَدَّهُ طولُ مناجاةِ المُنى أنْ يُرَاحْ
لا بدَّ أنْ أرْكَبَها صَعْبَةً وَقَاحَةً تَحْتَ غُلامٍ وَقَاحْ
الرَّاحُ والرَّاحَةُ ذُلَّ الفتى، والعِزُّ في شُرْبِ ضَرِيبِ اللِّقَاحْ
متى أرى البيضَ وقد امطَرَتْ سَيْلَ دم يغلب سَيْلَ البِطَاحْ(٣)

وطالب بالامامة على انها حق له دون غيره ، وليس غريبا أن يطالب بها وقد طالب بها آباؤه الائمة من قبله .وما هو الا احد ابنائهم ، ورأى نفسه انه الامام الحقيقى المنتظر ، واعد سيفه ليشهره بوجه اعدائه وهنا تكون ثورته قد اكتسبت شرعيتها ، فثورته ليست عبثية ، فهي ثورة عقديه ، لا سيما وانه قد حاز شروط الامامة فقال : -

---

(١) الديوان : ٥٤٠/٢ ، انظر ٢١٠/١ ، ٤٧٦/١ .
(٢) عبقرية الشريف الرضي : زكي مبارك ١٨٢/١ .
(٣) الديوان : ٢٥٤/١ - ٢٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَمْ أبٍ لي جَدَّ في إحرازِهـــا ... يَحرُقُ الثَّابَ عليها وابنُ عَـمّ
طَلَبوها فهوى بعضُهُـــــمُ ... ورمى بَعْضٌ إليها فغَنِـــــمْ
صَبَروا فيها على كُـــلِّ أذى ... ولَقوا من دونِها كل ألـــم
ان يَكُنْ مُلْكٌ فمثلي نالَـــهُ ... أو يَكُنْ حتف فاني لم ألـــم (١)

مهمـا كانت النتيجة لابد من اعلان الخروج من الغيبة واشهار السيوف ولـه في آبائه سنة حسنة ، اذ رأى نفسه صاحب الحق المهضوم ، لقد داعبه هذا الاحساس كثيرا ، اذ رأى نفسه خليفه فقال : —

هذا أميرُ المؤمنينَ مُحَمَّـدٌ ... كَرُمَتْ مغارِسُهُ ، وطاب المَوْلِدُ
أو ما كفاكَ بأنَّ أمَّ فاطـمٌ ... وأبوك حيدرة ،وجدك أحمـدُ (٢)

وأضحى لا يرى اميرا غيره ، ولكأن المهدى المنتظر الذى اسمه محمد المطابق لاسم الشريف والذى هو من نسل فاطمة وعلي هو الشريف الرضي فخاطب نفسه بأميـر المؤمنين ، وبعدها انكفا على نفسه ،وفاق من حلمه الذى داعبه طويلا ،وبـدت الماساة في ثنايا النص ، والفشل يلوح من بين الفاظها و قوافيها فقال : —

فيا عجباً مما يَظُنُّ مُحَمَّـدٌ ... وللظَّنُّ في بَعْضِ المواطنِ غـرَّارُ
يُقَدِّرُ أنَّ المُلْكَ طَوْعَ يمينِـهِ ... ومن دونِ مايرجو المقدَّرُ أقـدارُ
لئن هو أعفى للخلافةِ لِمَّـةً ... لها طُرَرٌ فوقَ الجبينِ وأطـرارُ
وأبْدَى لَهَا وجهاً نقيّاً كأنَّهُ ... وقد نُقِشَتْ فيه العوارضُ ،دينـارُ (٣)

ثورته ما زالت في حلم اليقظة ، وفي حدود التصور الذى داعب امانيـه بثورة تكشف عن الواقع الحرب لاحداث التحول في الجدب السياسي ،وعندها بدأت رحلة السفر والتطهر ،لاعبر البحر كما تتوقع ،ولكن عبر الصحراء الرمز الايدلوجي فـي ذهن العربي ، المعادل للقوه والثأر الاصالة ، والمروءة والعروبة ،والحريـة والطهر ،والسرية ، لا سيما وأنه قد بث دعاة له في البادية منهم ابو العوام بـن ليلى البدوى فقال : —

ردي يا جيادي ، و أذني برحيلِ ... سنرْعَيْنَ أرضَ الحيِّ بَعْدَ قليـلِ
ألا إنَّ في قلبي إلى المَجْدِ طَرْبَةً ... وعِنْدَ القنا يَوْماً شفاءُ غليـلي
واني لتزّاكُ البلادِ اذا نَبَـتْ ... عليَّ،وماذو نَجْدَةٍ بذليـلِ
ولا بدَّ ليانْ أغسِلَ العارَ بَعْـدَهُ ... ويا ربَّ عارٍ دامَ غَيْرَ غسيـلِ (٤)

---

(١) الديوان : ٤٢٥/٢ .
(٢) الديوان : ٤٠٩/١ .
(٣) الديوان : ٥٣٦/١ .
(٤) الديوان : ٢/ ١ — ١٥٢ . ثم انظر ٨٩/١ ، ١٢٧/١ ، ٢٥٥/١ ، ٥٨٦/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اصبحت البادية مركز التطهر ، ولابد من حدوث هذه العملية ليتم التحول وتتم الطهارة ، وتنبعث الحياة من جديد ، ولكأني بالبيوت الذى عبر عن الارض الخراب ، والسفر والرحله عبر البحار لايجاد الحياة والتحول الضرورى للخراب قد أخذه من لشريف الرضي ، وبالتالي أصبحت قصائد الحجازيات أو الطهر ،معادلا للتجرد من دنس المدينة المتخاذلة والخراب العام والجدب السياسي (١)

ورفض الشريف العراق الذى تحكم بدفته البويهيون الغرباء جنسا عن العرب ، والمختلفون نسبا مع أئمة الشيعة ،رفض العراق الذى خذله في ثورته فقال فيه رافضا أهله : -

عذيرى من بلادٍ ليسَ تخلو ... سوائي،من مليكٍ أو أميرِ
ارى تركَ الصلاة بها حلالا ... فما أمتاحُها ماءَ الطُّهورِ
وكيف تتم في بلدٍ صلاةٌ ... وجُلّ بقاعهِ قِبَلَ الفُجورِ (٢)

وأحس بالغربة المكانية ، فرفض المكان المرتبط بتجربته الانفعالية في يومي عاشوراء والغدير ،يعده في كل ذكرى بالمطالبة بالثأر ، وانه لن ينس قضيته التي ولد من اجلها ،وهو يعيش من أجلها ، وسيثور من اجلها فقال :-

يا جدّ لازالَ ليهمٌ يحرّضُني ... على الدّموع ، ووَجْدٌ غيرُ مقْهورِ
والدّمْعُ تحفِزُهُ عَيْنٌ موَرّقَةٌ ، ... حَفْزَ الحنيّةِ من نَزْعٍ وتوتيرِ
ان السّلُوَ لمحظورٌ على كَبِدي ، ... وما السّلُوُ على قلبٍ بمحظورِ (٣)

هذا لا يعني أبدا ان ثورته كانت ثورة فكرية فقط ،أو بقيت دائما في حدود التمنى والحلم ، ولكنها أخذت طابعا عمليا ، وهو بث الدعاة في البادية للدعوة له بالخلافة ، منهم ابو العوام بن ليلى البدوى ،وبدأ أبو العوام دعوته كما رأينا عندما كان أميرا للحج ، اى ما بعد عام ٣٨٠هـ على أقل تقدير ،ولكن كما يبدو من خلال تطور فكره السياسي أنه بدأ بالاستعداد لهذه الثورة بعد نبوءة أبي اسحق الصابي ، لذلك كان يبدو شعره في بداية شبابه مملوءا بالامل والحماسة والفتوة والرفض والعنف ، وشعره كان وعدا لبغداد وأهلها بالثورة الشاملة ،وتوديع حياة الخذلان ، ولكن الثورة يبدو انها لم تجد صدى في نفوس الناس ، او ربما لأن ابا العوام قتل في بداية دعوته للشريف فاحدث احباطا نفسيا له ، وكان قتله نذيرا له بالفشل من هنا كثرت مراثيه في ابن ليلى ،حتى

(١) (الحجازيات : مقطعات شعرية لها وجه اتصال بالحجاز او مايلها من ذكرى في نفس الشاعر مع حاجات الحجاز أو نساء البادية في طريق حجه ،وما أعقبها من حسرات وزفرات ،فهي أشبه ما تكون بالاطلال . فكان الشريف أول من ابتدعها ،وجاء بعده كثيرون قالوا فيها كغرض،فهم الشريف المرتضى او مهيار الديلمي او الابيوردى)

(٢) الديوان : ٤٤٣/١ ،ثم انظر ٢٥٢/١ ، ٣٩٠/١ ، ٣٩٠/١ ، ٤٨٧/١ ، ٤١٩/٢ ، ٤٤٧/٢ ، ٤٨٢/٢ ، ٦٢٢/١ ، ٢٤٨/١ ، ٨٦/١ .

(٣) الديوان ٤٨٩ . انظر ٤٧/١ ، ١١٦/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جاوزت ثماني قصائد(١)، قال في احداهن وقد تكالبت عليه المصائب ،ولامه قومه على شدة حزنه : -

ومالي لا أراعُ ، وقَدْ رمَتْني ... يَدُ الجَلَّى بقارِعةِ التَّميمي
أحِنُّ إليه ، والنُّقبا ضِمارٌ ... حنينَ العَوْدِ للوَطَنِ القديمِ
أجِدَّكَ أن ترى بعد ابنِ ليلى ... طِعاناً بين رامةَ والغَميمِ (٢)

أحدث موته صدمة عنيفة للشريف، وعقبه كبرى في طريق ثورته فابن ليلى يبدو انه كان القائد العملي للثورة ، وبموته أحس الشريف أن الثوره قد ماتت واحس بالفشل الذريع ، ورأى ان الزمان عاجز عن ان ينجب رجلا وفيا كابن ليلى فقال : -

أأرجو للحواضنِ كابنِ ليلى ... أحَلْتُ ،إذاً، على بَطنٍ عقيمِ (٣)

وغضب القائد لجنديه الذى استمات دونه ، وفي سبيل ثورته العادلة واعلن الشريف عدته للثأر من بني عقيل الذين اغتالوه :-

سأبعثُها عليكَ مُسَقَّفاتٍ ... طِباقَ الأرض ،أطلِعُها الفِجاجا
مُسالاتِ الأعِزَّةِ مُلْجَماتٍ ... وِحاداً أو مُقَرَّنَةً زواجا
وأجعَلُها سلُوّاً بعْدَ يأسٍ ... ومن ألَمِ الصَّدى وَرَدَ الأُجاجا
أقاضٍ حقَّ قَبْرِكَ ذو غرامٍ ... أماجَ الرَّكْبُ عنْ طَرَبٍ وعاجا
يريقُ عليك ماءَ القلبِ صِرْفاً ... وماءُ العَيْنِ يَجْعَلُهُ مِزاجا
ولو بَلَغَ المُنى إنسانُ عَيْني ... خَلا منها وأسكَنَهُ الحُجاجا (٤)

ولكن لانرى الجيش العرمرم الذى أصر على وجوده وحضوره للثأر من قاتلي داعيته ، ولكنها انفعالات آنية ،سرعان ما جنحت الى السلو والبكاء واكتفى بالياس ،وسكب الدموع الغزار ؛ والوقوف على قبره بين فترة وأخرى ، ويبدو ان مناصرة ابن ليلى له كانت تتويجا لعمل دؤوب ،وجهد عظيم في البحث عن الدعاة والأنصار ،ولم يظفر الا بابن ليلى الذى تحمل تبعات الثورة ،وتبعات الدعوة فرثاه قائلا : -

---

(١) الديوان ٧٣/١ ، ٢٣٥/١٠ ، ٥٤٣/١ ، ٥٦٧/١ ، ٥٨٦/١ ، ٢٦٣/٢ ، ٣١٧/٢ ، ٥٥٩/٢.

(٢) الديوان : ٣١٨/٢ .

(٣) الديوان : ٣١٩/٢ .

(٤) الديوان ٢٣٨/١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ما كنتَ لمّا طَلَبتْ دعوتي ... سَمْعَكَ بالوَاني، ولا الغافِلِ
كم غَرَّني غيرُك من ناصِرٍ ... أبْطأ ، والميطيءُ كالخاذِلِ
أطمعني حتى إذا جئتُهُ ... كأن سرابَ البلدِ الماحِلِ (١)

وأطمعه الكثيرون في الوقوف الى جانبه في ثورته ، ولماحان العمل والفعل خذله الكثيرون ،ووفى ابن ليلى ، فكان بذلك الامل الذى علق عليه الشريف نجاح ثورته . وبموته انطفأ بصيص الامل ، وتنبه الأعداء الى المصاب الجلل الذى حل بالزعيم ،فتكالبت عليه الهموم فقال : -

تَنَشّى بَعْدَ يومكَ كلُّ خَطْبٍ ... كأنّكَ كُنْتَ للجُلّى رِباطَا (٢)

تغيرت بموته الاحوال ، وتنكب المجد عن اصحابه ، وبقي الخراب خرابا بموت الداعية انسحب الشريف من المواجهة الصريحة المكشوفه ، و طلق ثورته الفكرية عمليا ، وبدأت ثورته تاخذ طابع الثورة السلبية ،وظهر في الهجوم على الزمان والسلطان ، والاخذ بمبدأ التقية وشكا الى الناس تبدل أخلاقهم .

شكا الشيب والزمان ، وانسحب الى عالم الفن ، يشكل ثورته الفنية العميقة المتمثلة في الحجازيات وبدا لنا هنا دائم الحيرة والتساؤل عن عجزه الثورى ، وعن تردده عن القتال ،والاغضاء عن مطالب الأمة ، والشعب ، فسادت أساليب التمني والحسرة كقوله .

متى أراني ودرعي غير محقبة ... أجر رمحي وسيفي غير مقروب (٣)

ربما كان اخفاقه في ثورته العملية سببا في التوجه الى السلطان البويهي وبعدها انطفأت جذوة الشباب وحدتها ، وانتهت برثائياته لكل عظماء الامة ، ومنهم ابن ليلى ، من هنا نرد ما قاله زكي مبارك في علاقتهما بأنها : (من غرائب الوفاء والفارس يحب الفارس ، وأن ابا العوام كان صديقا بدويا يحبه أصدق الحب "(٤)

ولكني أميل الى رأى مبارك الاخر المناقض لسر هذه العلاقه اذ قال :"فليس من المستبعد ان يكون الشريف فكر في تكوين عصبية عربية ، يناهض بها خلافة بني العباس حين تسمح الظروف ، وكان ابن ليلى من الذين اصطفاهم لتحقيق ذلك الغرض المرموق "(٥)

---

(١) الديوان : ٢٦٣/٢ .
(٢) الديوان : ٥٦/١ .
(٣) الديوان : ٦١/١ . انظر . ١٥٦/٢ . ١٦٠/٢ .
(٤) عبقرية الشريف الرضي : زكي مبارك ٥٨/٢ ، ٥٩ .
(٥) المصدر نفسه ٥٩/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومع ذلك تبقى ثورته سامية في الفكر والفن ، اذ لم تكن ارضاء للذات بقدر ما كانترسالة تتطلب الكثير من المقاومة حتى يؤديها للأمة حسب العقد الاجتماعي الذى بينهما ، والذى بموجبه كان الشريف زعيم هذا الحزب العقدى .

فالخلافة في فكر الشريف هي رسالة أكبر من كونها شهوة الحكم والسلطة ولو كانت شهوات التملك والسلطه تستميل الشريف لكانت له مواقف مع المال والمنافع المادية "(١) ودليل ذلك ايضا رفضه لسلطة النقابه - كما رأينا مما يدلنا على ان رؤيته السياسية كانت رؤية متكاملة الابعاد .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الاغتراب في حياة وشعر الرضي : عزيز جاسم : ٧٤ . وانظر الديوان ٢٣٤/١ .

أخيـــــــرا

لقد تدخلت عوامل عدة في تكوين رؤية الشريف الرضي السياسية والتي تميزت بالثورية والرفض للواقع السياسي ، سواء ما كان يخص الشيعة أو السنة ،وتجلت ثورته السياسية على مستويين :

١ - المستوى العقدى الشيعي ،تجلى في رفض سلطة الخليفه العباسي ،كونه يخالف عقيدته الشيعية ، ويقع ضمن دائرة المفضولين .

٢ - المستوى القومي : تجلى في رفض سلطة الملك البويهي الذى حاز شرف العقديه الشيعية ، ولكنه لم يحز شرف النسب الهاشمي الذى انتسب اليه الشريف .

من هنا كانت رؤيته السياسية مكونه من مركبتين ، وهما العروبه والتشيع انتجت ، طموحا ثوريا ، أشعله العامل الذاتي ، وزاده توقدا وجلاء ، من هنا تخيل نفسه المهدى المنتظر الذى سيحرر الشيعة ، والبطل المنقذ الذى سيحرر العرب جميعهم ، وحدد مواصفات البطل العقديه والعرقية .

ودعا الشريف الى الوحدة العامة ،ورفض الفئوية ، والتناحر ، مدعوما بحس العرق العربي والدين الواحد فكان انتمائيا في ثورته وفي اختيار أفكاره من فرق الشيعة المختلفة ، مما جعل رؤيته السياسية أكثر صحة وقبولا لدى الرأى العام وبالتالي جعلتنا نتأول بعض مواقفه التي كانت في ظاهرها متناقضة لا يربطها رابط ،ولكنها كانت في حقيقتها رؤية سياسية متكاملة الابعاد قد نمت من المناصب التي تولاها بانواعها المختلفة ،وعلاقاتها المتنافرة مع السلطات وتبجه بنسبه الى النبى وونسبه .

وتصور المهدى المنتظر الذى حاز شرف النسب الهاشمي عرقا ودينا ورآه متجسدا في الخليفه العربي تارة ،وفي والده تارة اخرى ،وطورا ثالثا فيي نفسه ، مدعوما بنبوءة أبي اسحق وبفاعليه ابي العوام . ووظف الشريف رمز المهدى المنتظر في رؤيته للامامة والشعور القومي ، فأحدث الرحلة والسفر عبر الصحراء ، ليقوم بعملية التطهير والبرء من دنس المدينة الخاذلة والمتخاذلة . ورفض الدعة والنفاق مستغلا مناصبه الدينيه والسياسيه ، والتي اعطته الاعتدال في رؤيته السياسية ، وقدرته على التوفيق بين الشعور القومي والامامة في التشيع فكانت علاقاته السياسية قائمة اما على مبدأ التقية واما على نظرية الافضل والمفضول . وظلت نظريته الثوريه والسياسية تدور في اطار التمني المسلوب .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

الرؤية الاجتماعية

١ ـ علاقاته الاجتماعية
٢ ـ شورته الاجتماعية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لدى مناقشتنا رؤية الشريف السياسية تبين لنا أنها تميزت برفض النظام السياسي القائم في عصره ، والثورة عليه ، فقد دعا فيها الى سيادة العرب ورفض العجم منطلقا في رؤيته تلك من نسبه العربي الأصيل ، ونظرية الامامة في التشيع . وهذا الأمر يقودنا الى أمرين : -

١ - وجود نظامين سياسيين متصارعين وهما الخلافة العربية والسلطة البويهية .
٢ - وجود نظامين اجتماعيين مختلفين ، هما اللذان أو حياله بالرؤية الاجتماعية .

ولتلمس رؤية الشريف الاجتماعية لابد من النظر والتأمل في مواقفه من العلاقات الاجتماعية السائده . وما نوع العلاقات التي أقامها مع قطاعات المجتمع المختلفة ،سواء ما كان منها : -

علاقات اجتماعية عامة .
أم علاقات اسرية خاصه .

ومن ثم كيف أثرت تلك العلاقات في ثورته الاجتماعية ؟

وما مظاهر ثورته الاجتماعية
وما أسس ثورته على الواقع الاجتماعي .
وهل كانت ثورة فعلية أم رؤيا حالمة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولا . العلاقات الاجتماعية العامـــــة :

١ - علاقتـــه بالخليفـــة : -

تعد علاقة الشريف بالخليفة من أهم العلاقات الاجتماعية ،فثمة وجـــه علاقة بينهما اذ كانا عربيين هاشميين نسبا ومتخالفين عقائديا ، فالشـــريف شيعي المذهب ، والخليفةُ سنيّ المذهب ، كما أن ثمة وجها ثالثا للعلاقة هـــو أن الخليفةَ كان يجسد الجنسَ العربي في ساحة التسلط البويهي ، وهو يشهـــد تدهورا واسعا في سلطته الفعليه .

عاصر الشريف ثلاثة خلفاء هـــم : -
١ - المطيع لله : ٣٣٤هـ - ٣٦٣هـ(١)
٢ - والطائع لله بن المطيع لله : (٣٦٣ - ٣٨١) (٢)
٣ - القادر بالله : (٣٨١ - ٤٢١هـ) (٣).

وبدا نستطيع ان نقول : انحصرت علاقاته مع الخليفتين الطائع والقـــادر اما المطيع فعزل والشريف صبي ، لذا لم تكن له به علاقةٌ ذاتُ بال أما الطائـــع فتولى الخلافة حتى عام ٣٨١هـ ، أي أن الشريف شهد وهوُ شابٌّ حُكْمَهُ ، وقد كانت لـــه أيادٍ بيضاءَ على والده أبي أحمد ، فكانت علاقتهما نتيجة ذلك حسنة جدا . لقـــد بذل الطائع جهدا كبيرا لاطلاق سراح الشريف ابي احمد ودليل ذلك أنه كان علـــى رأس المستقبلين له بعد خروجه من سجنه ، ودخوله بغداد بصحبة شرف الدولـــة البويهي كما أخبرنا جامع الديوان في تعليقه على أول قصيدة له في مدح الطائع عام ٣٧٤هـ (٤)لما أعلن الافراج عنه قال فيها :

وجَاوَرْنا الخَليفَةَ حيث تَسْمُو ... عَرانينُ الرِّجالِ الى الجَماحِ
نوجّهُ بالثّناء لَهُ مصونـــاً ... ونَرْتَعُ منهُ في مالٍ مُبـــاحِ
وسيّالُ اليَدين مِنَ العطايـــا ... مَهيبُ الجدِّ مامونُ المُزَاحِ(٥)

ذبج فيها الثناء العطر ، وذم أعداءه ،ويبدو أنه بدأ في ترويض نفسه على الاتصال بالخلفاء ، وبعد عام ٣٧٦هـ عندما دخل والده بغداد بصحبة شرف الدولـــة بعد خروج والده من سجنه سطر فيه قصيدتين شكره فيهما على صنيعه ، وأعلن طاعته

---

(١) البداية والنهاية : ٢٧٦/١١ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٧٦/١١ . الكامل . ٥٣/٧ . ذيل تجارب الأمم ٢٠١/٣ .
(٣) البداية والنهاية : ٣٠٩/١١ ، ذيل تجارب الامم ٢٠٦/٣ - ٢٠٧ ، المنتظم : ١٦/٧
(٤) الديوان : ٢٤٠/١ .
(٥) الديوان : ٢٤٢/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لـــــه [1] ومن ثم توالت المدائح والمراثي والتعازي وغيرها فكانت علـــــــى الترتيب الزمني التالي : -

العـــــام	عدد القصائـــــد
٣٧٤	١
٣٧٦	٢
٣٧٧	٦
٣٧٨	٢
٣٧٩	١
٣٨٠	٢
٣٨١	٣
٣٨٢	١
٣٨٣	١
٣٩٣	٢
*٣٩٦	١
دون تاريخ	٣
	المجموع ٢٥ قصيدة ومقطوعة [2]

أي يشكل نسبة ٤ر٤ من مجموع قصائده التي بلغت ٥٧٤ قصيدة ومقطوعة.

ورأى الشـــريف الخليفة وارثا للنبوة والخلافة وسدة المجد فقال : -

مَغارِسٌ طَالَتْ فِي رُبَى المَجْدِ وانْتَقَتْ ... عَلى أنبياءِ اللّهِ والخُلَفاءِ [3]

أضفى عليه هالة من القداسة الدينية ، وجعل الخلافة وراثةً في بني عمه وذكره أيضا بالقربى التي بينهما ، فكونه وارثا للخلافة لا يعني أنها حجر عليـــــــه فللشريف حق في ارثها ، لذا أكد في كل قصائده على علاقة القربى ، علاقة النســـب الهاشمي العربي فقال : -

---

(١) الديوان : ٣٣٤/٢ - ٣٣٨.

* القصيدة مؤرخة في الديوان عام ٣٩٦ . ويذكر جامع الديوان أنه عزى بها الطائع عن موت ولده وحينها كان الطائع ميتا .

(٢) الديوان : ٠٢١/١٠٩/١ ، ٣٠/١ ، ١٥١/١ ، ٢٤٦/١ ، ٢٦٩/١ ، ٥٤٦/١ ، ٣٩/٢ ، ١١٤/٢ ، ١١٩/٢ ، ١٢٤/٢ ، ١٩١/٢ ، ١٩٤/٢ ، ١٩٧/٢ ، ٣١٩/٢ ، ٣٣٣/٢ ، ٣٣٩/٢ ، ٣٤١/٢ ، ٤١٦/٢ ، ٤٤٤/٢ ، ٥٢١/٢ ، ٥٢٤/٢ ، ٥٨٦/٢ .

(٣) الديوان : ١٠/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأنا ابنُ عمِّكَ ما يَسوؤُكَ نسبي ... عُمَرَ الزَّمانِ ،ومَنْ رَمَاكَ رَمَانـي (١)

ما تعرض له الخليفة من مخاطر فانه يؤثر حتما على الشريف ، هذا هو قانون القربى والنسب ، فكلاهما شريك في الخير والشر .

وداعبت القربى أحلامه ، وسيطرت عليه الى درجة الوله ، وجعلها دعامةً في علاقته بالخلافة ، ووجب عليهما المحافظةُ على حق القربى ، وذكره أيضا بما فعله مع والده ، وفسّر فعلَته تلك بأنها نابعةٌ من منطلقِ القربى والنسب العربيين فدعاه لتوثيق تلك العلاقةِ مع الأب والابن اذ قال : -

برُّ الأقاربِ والأباعدِ واجبٌ ، وأحَقُّ بالنِّعَمَى بَنُو الأعمامِ
لا تُشْمِتَنَّ بِهِ الأعادي بَعْدَمَا ... عَرَضُوا مِنَ الأحْقادِ والأوْغامِ (٢)

دعاه إلى الاهتمام بوالده ، وحضّه على أن يكملَ معروفَه مَعَهُ ، بل واجبُه نحوه فلأبي أحمد حق القربى عليه ضمن قانون النسب العربي ، حضّه على الحفاظ على مودته ، وإصلاح شأنه ومنصبه كي لا تشمتَ به الأعداءُ . وذكره أيضا بأنهما يعودان إلى أبٍ واحدٍ فهما أبناءُ عمومةٍ ، ووارثاً مجْدَ أجدادِهما ولما حُصِرَتْ الخلافةُ في الطائعِ اكتفى الشريفُ بشرفِ الخلافةِ الذي حازَهُ الطائعُ ابنُ عمّه ورضي بما اشتركا به من مجدٍ وشرفٍ فقال : -

أليْسَ أبوكُمْ أبي ، والعُروقُ ... تُخَلِّطُ لحْمي بكُمْ والعِظاما
نَبَتْنا معاً فالتَقَيْنا عروقاً ، ... بأرْضِ العُلى ،واختلَطْنا رُغاما
إذا هِمْتُمَ المَجْدَ هاماتِكُمْ ، ... كَفَاني لوثا به واعتماما (٣)

الخلافةُ ليست شرفا للخليفةِ ذاتِه فقط ، ولكنها أيضا شرفٌ للشريف ، أليسا ابني عم ؟!

ولمّا أحسّ الشريفُ تفوقَ القادرِ بالله عليه ، وشعورَه بالكبرياء وجدناه ينتفضُ مدافعا عن عِرْقِهِ الكريمِ ، وشرَفِهِ العريقِ ، اللذين يلتقي بهما مع الخليفه فقال مزاحما اياه على الخلافة : -

---

(١) الديوان : ٢/٥١٩ .
(٢) الديوان : ٢/٣٣٧ . الوغم : الحقد الثابت
(٣) الديوان : ٢/٣٢٣ . انظر ٢ /٥١٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَطْفاً، أميرَ المؤمنينَ ، فإنّنـــا ... في دَوْحَةِ العَلْياءِ لانتفـــرّقُ
ما بيننا يَوْمَ الفَخارِ تفـــاوتٌ ... أبداً ، كلانا في المعالي مُعْرِقُ
إلاّ الخِلافةَ مَيَّزَتْكَ ، فإنّنـــي ... أنا عاطلٌ منها ، وأنتَ مُطَـــوَّقُ (١)

ووصلت به الحال الى ان يعاتبه عتابا مرا لالحاقه الأذى به اذ ضرب بالقربى عرض الحائط - ان جاز التعبير - وتناسى مكانة الشريف الاجتماعية ، وقيمة كلامه الباقي أمد الدهر ، فقال معاتبا : -

مالي حَقٌّ مِثْلي أنْ يُضاعَ وقَوْلُـــهُ ... باقٍ العِمادِ على الزّمانِ مُخَيِّمُ
وأنا القريبُ قرابةً معلومةً ... والعِلْـــقُ يَضْرِبُ والقرائبُ تُلْحَمُ (٢)

رأى ان من واجب الخليفة برأيه أن يستمع الى النصيحة ،والى آرائه واقواله لأنها نابعة من قلب صادق ، ومؤمن بأواصر القربى والحفاظ عليها ،لذا تولى الدفاع عنها وعن الخليفة ، واخذ على عاتقه هم المحافظة على الخلافة في ان تبقى في بني عمومته ،ولذلك وجه تهديده لاعداء الخليفه : -

أبُغاةَ هذا المجدِ إنّ مرامَـــهُ ... دَحْضٌ يُزِلُّ الصّاعدينَ ويَزْلِـــقُ
هَيْهاتَ ظَنُّكمُ تَمَرَّدَ مَـــارِدٌ ... مِنْ دونِ نَيْلِكُمُ ،وعزّ الأبْلَـــقُ
ودَعَوْا مَجادَبةَ الخِلافةِ ،إنّهـــا ... أرَجٌ بغَيْرِ شنائِهِمْ لا يَعْبَـــقُ (٣)

نعى على المطالبين بالخلافة جرأتهم ، والمتمردين على الخليفة تمردهم ، وجرد لسانه للمدافعة عن حق العباسيين بالخلافة ، فالخلافة برأيه لا تجملُ إلا بهم، ولا تحسنُ إلا فيهم ،وبذا يكون الخليفةُ رمزا دينيا دون غيره من السلاطين ،ولذا أضفى عليه هالةً من القداسةِ الدينيةِ كونَه وارثَ امجاد السابقين فقال : -

جَلتِ الأئمةُ عَنْ مناقبِـــهِ ، ... واستَوْدَعَتْهُ نُورَها الرُّسُـــلُ
مِنْ مَعْشَرٍ كانت سُيوفهُـــمُ ... حَلْباً لِمَنْ ضربوا ومن عَطِلُـــوا (٤)

أبرز الخليفة نموذجا حار مركبين سياسيين مهمين - وبالتالي كانت علاقته معه على أساسهما - وهما النسب العربي والدين الاسلامي ،فهو أمين الله في الدين ومن قوم كرام ، وقد حار فضائل الخلفاء السابقين فقال : -

---

(١) الديوان : ٤٢/٢ .
(٢) الديوان : ٣٤٤/٢ .
(٣) الديوان : ٤٠/٢ .
(٤) الديوان : ١٢١/٢ . انظر : ٢٤٦/١ . ٥٢٤/١ . ٥٤٦/١ . ١١٩/٢ . ٥٨٦/٢ . ١١٥/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رأيُ الرَّشيدِ ،وهَيْبَةُ المَنْصورِ في حُسْنِ الأمينِ ،ونِعْمَةِ المُتَوَكِّلِ
آباؤكَ الغُرُّ الذينَ،إذا انتَمَوْا ذهَبُوا بكلِّ تَطاوُلٍ وَتَطَوُّلِ (١)

تعلَّقَ الشريفُ كثيرا بمَدْحِ قومِ الخليفةِ ،الذين هم قومه ،ومن هذا المنطلق رأى أن له حقا على الخليفة فانتجز منه الوعود قائلا : -

واني لأرْجُو مِنكَ أنْ سيكونَ لي يَوْمٌ أُغيظُ بهِ الأعادي أيَّوُمُ
وأنالُ عندكَ رتبةً مصقولةً إنْ عايَنَ الأعداءُ رَوْنَقَها عَمُوا (٢)

طلب منه أن يلبسه ثوب العلى والمجد ليغيظ بها الاعداء . ولكن أي اعداء هؤلاء الذين أرادَ اغاظتَهم ؟ وما الطريقةَ التي اختارها لذلك ؟

يبدو لي أنها النظرُ بعلاقات القربى ،والاهتمام بها ، فحضَّه على الإكثار من نعمه عليهم ،وطلب منه المناصب العليا .

ولبَّى الطائعُ مطالبَه ، وولاّه النقابةَ ، وإمارةَ الحجّ ، وغيرها ،ومع ذلك ظل يلح عليه بيوم يذل فيه الاعداء حتى صرح قائلا : -

متى أنا قائمٌ أعلى مقامٍ ولاقٍ نورَ وَجْهِكَ بالسَّلامِ
ومنصرفٌ وقَدْ اثْقَلْتَ عطفي من النَّعْماءِ والمِنَنِ الجسامِ
ولي قُربى رؤومٌ ،كُنْتُ أرْجُو يَمينَك أن تقرِّبَ لي مَرامي (٣)

ماذا يريد بعد وقد تولى أشرف المناصب في الدولة بعد الخلافة ؟ وماذا عنى بالمقام العالي الذي أراده وقد احتل من المناصب ما احتل ؟!

إن الامرَ ليتجاوزُ المناصبَ ،ويتجاوزُ مطلبَ الخلافة لانه يتنافى مع منطق النص فكيف يطلب الخلافة من صاحبها ؟! كما وانه لم يقصد الأموال والنعم لانه رفضها في كثير من قصائده كونها اقترنت بالذل فقال : -

أريدُ الكَرامةَ لا المَكْرُماتِ ونَيْلَ العُلى لا العَطايَا الجِساما (٤)

---

(١) الديوان : ١١٥/٢ .
(٢) الديوان : ٣٤٥/٢ . انظر ١٣/١ . ٥٣/١ . ١٢٦/٢ . ٦١٧/٢ .
(٣) الديوان : ٤١٦/٢ .
(٤) الديوان : ٣٢٣/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ربما عنى الشريف بالكرامة والمقام العالي ذلك الأمر الخطير الذى أشار اليه في قوله : -

أرْجوكَ للأمْرِ الخَطيرِ، وإنَّمـا يَرْجَى المُعَظَّمُ لِلعظيمِ المعضلِ
وأرومُ من عُلَوائِهِ عِزَّكَ غايَـةً قَعْساءَ تستلبُ النواظِرَ من علِ(١)

وقف أمامه راجيا منه رفع أمر خطير تعرض له الشريف ،ترى أى أمر خطير عنى به ؟ يبدو أنه كان يواجه أمرا خطيرا ،أو على الاقل هكذا يراه ،واول خطوة لدفع الخطر ستكون من الطائع هي الاهتمام بعلاقات القربى كي يتسنى له الدفاع عنه . أو ربما قصد الدفاع عن الجنس العربي كله ،فالخطر القادم يهدد المجتمع العربي بأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية ،ومكانته ، وعاداته العربية ، وشرفه ، لذا تمنى أن ينزله الطائع منزلة المستشار المؤتمن وإلبطانه الصالحة للتعاضد معا ضد هذا الخطر القادم فقال مخاطبا اياه : -

أجِبْ صَوْتي إليكَ فكلُّ مَلـكٍ يَلَذُّ على مسامِعِهِ كَلامـي
وجرِّدْني تلافيَ الدَّهْرَ منِّـي بمَسْمومٍ مضارِبُـهُ حُسـامِ(٢)

رفض عروضا كثيرة جاءته من أقوام كرام ،وأبى ان يكونَ الا معَ الطائعِ ،وما عليه الا ان يكرمَ رغبتَه هذه ويقدرَّها ،وأكد مرةً أخرى على الطائع لما رأى إعراضَه عنه فقال : -

تَرَكْتُ إليكَ النَّاسَ طُرّاً وكلُّهُمْ يَتُوقُ إلى قُرْبي ويَهْوَى مَقاميا
وفارَقْتُ أقوامًا كِرامًا أكُفُّهُمْ وما ضِقْتُ عَنْهم في البلادِ مَلاقيا(٣)

كل الملوك رغبت فيه ، ولكن نفسه أبت إلا الوفاءَ للخليفة العربي ، لابنِ عمهِ على الرغم من كثرة الإغراءات التي قدمت له . لقد بدا الشريف دائمَ التشوق الى توثق المودة وسيادة الوئام بينهما ، ويبدو من ذلك ان علاقتهما كانت تتعرض للفتور ، لذا كان دائم التذكير له بعلاقة القربى التي تربطهما ،وبالولاء الذى يكنه الشريف له . من هذا المنطلق عد طاعته نوعا من التقوى ، والنجاة اذ قال : -

هيهاتَ طاعتُكَ النَّجاةُ و حبْلَ ال تَقْوى ،وشكرُكَ أفضلُ الأقْسامِ(٤)

لقد جرد نفسه من كل معنى فطاعته تجلب النجاه في الدنيا والاخرة ،وبذا أعطاه وزنا دنيويا وسمرا دينيا لذلك راى طاعته وحبه وشكره هكذا .

---

(١) الديوان : ٢/١١٧ . انظر ٢/١١٤ ، ٢/١٢٤ ، ٢/١٢٧ ، ٢/٣٤٥ .
(٢) الديوان : ٢/٤١٨ .
(٣) الديوان : ٢/ ٥٩٨ .
(٤) الديوان : ٢/٣٣٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتوثقت علاقتهما جدا حتى وصل به الامر الى تجاوز حدود العتاب والتوبيخ الى تحذيره من بترها ان ظل الطائع على موقفه السلبي منه ، فقال مخاطبا اياه وقد بلغه ان وشاة وشوا به الى الخليفة ، فسمع إليهم وأعرض عنه فصرخ به : —

ونَمَى إليَّ مِنَ العجائبِ أنّـه ... لَعِبَتْ بعَقْلِكَ حيلَةُ الخـــوّانِ
وتملكّتْكَ خديعةٌ من قَوْلـــهِ ... غرّارةِ الأقسامِ والأيْمـــانِ
لي مثلُ مُلْكِكَ لوْ أطعْتُ تَقَبُّضي ... وذووا العمائِمِ من ذوي التّيجانِ
ولعلّ حالي أنْ يصيرَ إلى عُلىً ... فالدّوحُ منْبِتُها من القُضْبـــانِ
فاحذَرْ عواقبَ ما جنيْتَ فربّما ... رمتِ الجنايةُ غُرْضَ قلبِ الجانـي
أعطيْتَكَ الرأيَ الصّريحَ،وغيرُه ... تنسابُ رَغْوَتُه بغيرِ بَـــيانِ (١)

قصيدة فع غاية الجرأة ،نستدل منها على مكانتهفي قلب الطائع ، وعلى نوع العلاقة التي كانت تربطهما، والتي تنبىء عن الشعور بالكبرياء والعظمة في الانتساب الى النسب الهاشمي ، إذ كلاهما كان ينتسب إليه ، ولا فضلَ لأحدهما على الآخر من جهة ، وعلى مدى خطورة الشريف أيضا في ملعب السياسة ، حتى إنه يقولُ بأن الخونةَ يلعبون بعقله ، وقد جازت عليه حيلهم ، وشكا تلونه ، وتبدل أحواله فرفض المال الذى أفاض به الخليفه عليه ، مقابل إقصائه له عن المجد ،وثارت ثائرته حتى أنه حذره ببتر العلاقة وعندها لاعذرَ للطائع وقد جنى على نفسه ،كما وزاحمَ الخليفةَ الذى لم يعرْ للقربى أيّما اهتمامَ على الخلافة ، فكلاهما ماجد له حق فيها ولكنه عاد في النهاية ليؤكد انتسابه للدوحة الهاشمية .

لم يترك الشريف فرصة الا وقد استغلها لاظهار الولاء للخليفه كما يظهر في الجدول التالي : —

عرض القصيدة	عدد القصائد
١ ـ تهنئه بالاعياد	٦
٢ ـ شكر على صلة ومنصب .	٤
٣ ـ مدح وعتاب	٧
٤ ـ رثاء وتعزية	٧
٥ ـ وصف جلسة	١
	المجموع = ٢٥

(١) الديوان : ٢/ ٥٢١ — ٥٢٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

هنأه بالاعياد والمناسبات السعيدة التي كان يعيش الخليفة لحظاتها ، كما ورثى حالته رثاء مرا لما اصابه لما أقدم جنود بهاء الدولة على خلعه من دست الخلافة ، وقد حضر الشريف المواقف ووصف خروجه من الدار سليما ،وقد سلبت ثياب أكثر الأشراف والقضاة ، وانتهبوا ، وامتحنوا ، فاخذ هو بالحزم ساعة ووقف على الصورة ، وبادر الى نزول دجلة ، وكان أول خارج من الدار ،وتلوم من تلوم حتى جرى عليه ما جرى ، ويذكر غرضا آخر في نفسه ويشكو الزمان ،ويذم عمل السلطان [1] ويرثي مجد الخليفة الزائل ، ولم يعرّ اهتماما لخطر البويهيين المتربصين فرثاه قائلا : -

إنْ كانَ ذاكَ الطَّوْدُ خَرَّ فبعدما استعلى طويلا
موفٍ على القُلَلِ الذُّرَا هبِ في العُلى عَرَضاً وطُولا
فَرَمٌ يَسَدَّدُ لحظُهُ فترى القُرُومَ لهُ مثُولا
وعَلا على الأقرانِ لا مِثلاً يُعَدُّ ولا عَديلا
مِنْ مَعْشرٍ ركبوا العُلى وأبَوْا عن الكرمِ النُّزولا
غُرٌّ إذا انتَسبوا لنا الـ ـغُرَرَ اللوامِعَ والحُجُولا
كرَمُوا فروعاً بَعْدَما طابُوا وقد عُجِموا أُصُولا [2]

وطلل الشريف وفيا له ، وندم على مافرط به من عدم الانتصار له بسيفه حتى قال فيه : -

إنّ للطائعِ عندي منّةً وَحِمىً قَدْ بَلّها لي ببلالي
لَيْسَ يُنسيها وإنْ طالَ المدى مَرُّ أيامٍ عليها ولياليِ
فاتَني منكَ انتصارٌ بيميني فتلافَيْتُ انتصاراً بمقالي [3]

ولما مات الخليفه المخلوع لم يستطع الشريف كبت احزانه ، وأعلن وفاءه له ولم يخف السلطتين القائمتين إذ بموته تشوه الوجود ، وتغيّرت ملامحُ البطولة وعرض بها الدوله الذى أقدم على خلعه ، وهنا نستطيع ان نقولَ : - بأنّ علاقته بالخليفة العربي لم تكن قائمةً على أساسِ المنفعةِ الذاتيةِ والمصلحة الشخصية فقط ،ولكنها علاقة سياسية صرفة ، غلفها الشريف بطابع العلاقة الاجتماعية ، وبمعنى آخر ان اهتمامة بالعلاقات الاجتماعية مع الخليفة بالذات كان نابعا من رؤيته السياسية والاجتماعية التى تنادى بسيادة الجنسِ العربي من هنا قد يصح زعمي بان وفاءه للطائع هو وفاءٌ للقيم العربية بما فيها البطولة العربية والخلافة العربية والجنس العربي الذى كان يتحكم به البويهيون في كل كبيرة وصغيره من شئونهم وهذا ما رآه زكي مبارك في شان علاقتهما بان الشريف كان :" يرى الطائعَ بقيةً من بقايا بني العباس الذين اذاعوا معانيَ العظمةِ في الأمم الاسلاميةِ ،ويتمنى الشريف ان تتغير حالة الخلافة لتصبح معادلا للعروبه "(٤)

---

(١) يتيمة الدهر : ١٣٦/٣ .
(٢) الديوان : ١٩٤/٢ - ١٩٥ . انظر ٢ /٢٠١ . ٣٠/١ .
(٣) الديوان : ١٩٩/٢ -
(٤) عبقرية الشريف الرضي : ١٤٨/١ - ١٤٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهو المعنى نفسه الذى صارح به الخليفه عن غرض علاقتهما اذ قال : -

غَرَضِيْ بِمَدْحِكَ أنْ يُطَاوِعَنِـــي عِوَجٌ بِأيَّامي،ويَعْتَـــدِلُ(١)

كان الشريف يحمل رؤيةً اجتماعية عميقه تقوم على الاصلاح الاجتماعي وسيادة العدل الاجتماعي ، والجنس العربي ،وكأني به يريد من الخليفة صاحب السلطة الاسمية أن يرفض الظلم الاجتماعي الذى يعيشه هو والعرب عامة والشيعة خاصة فعمد الى استثارة همة الخليفة ليرد للمجتمع العربي هيبته ويجعلهم سادة في قومهم لا مسودين . بعد ذول خزلان . واتخذ الشريف من ارجاع حق والده محورا ليستقطب به كل مروة وابناء الخليفة ،وعندها سيكون الشريفُ الساعدَ الأيمنَ له في تحقيق سيادة الجنس العربي وفي سيادة العدل بين الفئات الاجتماعية للمجتمع العربي (٢)

فالخليفة الذى رد حقوق والده قبل ايام هو الذى سيعيد حقوقَ أمتهِ ولكأني به يطمحُ الى أنْ يقاتلَ الأعداءَ ، ويأخذ حقَّ الشيعة الطائع فقال : -

وَمَنْ لي أنْ اراكَ ، ولي مقـامٌ بدارِكَ لا أزولَ ولا أريـمُ
ومالي لا أصولَ على الأعـادي وأعلَمُ أنَّ دارَك لي حريـمُ (٣)

دَهِش الشريفُ من تخاذلِ الخليفة ، وعدمِ احتضانهِ به ، وذلك يجعل دار الخلافة حرما له من الاعداء .

وهكذا كان في كل غرض من أغراض الشعر يد سبَّ رؤيته الاجتماعية الى كان يحملها لأن الاغراض الشعرية كما يقول الدكتور الرباعي :" ما هي في الواقع إلا مسائل خارجية ، ينطلق الشاعر منها إلى تمثيل حاجاته الانسانية بالحدث الصراعي البطولي ، ولهذا يات منَ اللازمِ على كل دارسٍ إهمالَها والغوْصَ بدلاً من التوقف عند سطحيتها إلى الاعماق لاقتناصِ المعانَي الأبعدَ والا شمل "(٤)

واستغل الشريف كل المناسبات الاجتماعية لاظهار الرؤية التى رغب في حملها وحمل الخليفة على الايمان بها والعمل بها ولهذا لم يمنعه وفاؤه للطائع من ان يلجأ للخليفه القادر بالله ، وعندها لا نسمه بالغدر والنفاق ،بل على العكس من ذلك أنه وفيٌّ للفكرة ، وفي للجنس العربي ، وفي لمجتمعه وافكاره لذا لجأ الى القادر ، الخليفةِ الجديد دون تردد،وقال مهنئا اياه : -

---

(١) الديوان : ١٢٤/١ .
(٢) الديوان : ٣٣٨/٢ .
(٣) الديوان : ٣٤٠/٢ .
(٤) الصورة الفنية في النقد الشعرى : الدكتور عبد القادر الرباعي ص ١٦١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أورق امين الله عودي، إنما ... أغراس أصلك في العلى أغراسي
واملك على من كان قبلك شأوه ... في فرط تقريبي وفي إيناسي
إني لأجتنب السؤال متاركا ... خلفاً يدر علي بالابساس(١)

وطلب منه أن يكمل الطريق الذى بدأه مع الخليفه السابق ، ولكن وجدنا الشريف على غير وفاق مع القادر . لاسيما اذا عرفنا أنه زاحمة على الخلافة من غصة شم لحيته أمام الخليفه ورفضه الكتابه في المحضر المتضمن القدح بنسب الفاطميين على اثر الابيات التي قالها متمنيا العيش بين الفاطميين في مصر ، اذ انتهت باعراض القادر منه و عزل الشريف عما أسند اليه من المناصب . فانصرف عنه الشريف ويبدو أن القادر لم يحتمل هذا الرجل الخطير ، ولم يحتمل افكاره الثورية ، فأشاح بوجهه عنه .

فالشريف في علاقاته مع الخلافة لم ينس قضيته الاجتماعية السياسيه بل دعا الى النهوض بالعروبه بكل مقوماتها .

٢ - السلطان البويهي :

علاقة الشريف بالسلطان البويهي لا تنفصل عن علاقته بالخليفة العباسي ،وعاصر الشريف أربعة من السلاطين البويهيين وهم : -

١- عضد الدولة البويهي : (٣٦٧ - ٣٧٢هـ) (٢)
٢- شرف الدولة بن عضد الدولة : (٣٧٢ - ٣٧٩هـ) (٣)
٣- بهاء الدولة : (٣٧٩هـ - ٤٠٣) (٤)
٤- سلطان الدوله بن بهاء الدولة : (٤٠٣ - ٤١٦) (٥)

بدأت رحلته مع السلاطين البويهيين منذ عام ٣٦٩هـ ، وعمره لا يتجاوز العاشرة لما اعتقلت السلطان البويهية عمه ووالده ، وصادرت أملاكهما ، فتشرب بعض آل بويه وحفرت أصابع الظلم بصماتها في نفس الفتى . وظل الشريف محبوس اللسان عن هجاء عضد الدولة ومهاجمة السلطة حتى مات عضد الدولة عام ٣٧٢هـ . وعندها لم يستطع كبت أحاسيسه وكتم سخريته وشماتته به ، فبعث برسالة الى والده في سجنه قال فيها:

---

(١) الديوان : ٥٤٩/١ .
(٢) ذيل تجارب الامم : ٧٥ . المنتظم : ١١٣/٧ .
(٣) المصدر نفسه : ٧٥ . اذ خلع الطائع صمصام الدولة . وشب نزاع بينه وبين شرف الدولة انتهى بتتويج شرف الدوله عام ٣٧٧ ، وجلس شرف الدوله للتهنئة انظر ١٣٤ . البداية والنهاية ٣٠٧/١ .
(٤) البداية والنهايه : ٣٠٧/١١ .
(٥) المصدر نفسه : أحداث عام ٤١٦هـ . انظر المنتظم والكامل ،وذيل تجارب الامم احداث عام ٤٠٣ ،٤١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبلغا عني الحسين ألوكـــا ... ان ذا الطود بعد عهدك ساخـــا
والشهاب الذى اصطليت لظاه ... عكست ضوءه الخطوب فباخـــا
والعقاب الشقراء أهبطها الله ... بيد وقد أرعت النجوم سماخـــا
أعجلتها المنون عنا ولكـن ... خلفت في ديارنا افراخـــا (١)

ولما أطلق شرف الدولة سراح أبي أحمد الموسوى والمسجونين معه عـــام ٣٧٤هـ سطر الشريف آية العرفان بالجميل للسلطان شعرا ، وهي قصيدة في غاية الجرأة مـــن فتى في الخامسة عشره من عمره أشار عليه فيها بأن يتخذ والده بطانة له والا يطيع اقوال الوشاة فيه، فقال فيها : -

فاقذفْ به ثَغرَ الأهْوالِ منصلتاً ... واستَنْصِرِ اللّيثَ إنّ الخيسَ للوَعَـلِ
ولا تطيعَنّ فيهِ قَوْلَ حاسِـدِهِ ... إنّ العَليلَ لَيَرْمي النّاسَ بالعِلَـلِ
إنّا لَنَرْجُوكَ والأيّامُ راغِمَـةٌ ... والرّوْضَ يرجو نَوالَ العارضِ الخَضِلِ (٢)

لكن القصيده بقيت حبرا على ورق كما قال جامع الديوان ولم يبعثها اليه ويبدو كان يرفض تأسيس مثل هذه العلاقة الجبرية ، وبعدها انقطعت علاقته بشرف الدولـــة حتى عام ٣٧٦هـ ولما توفي رثاه (٣) وفاء له بالجميل ثم انقطعت صلته بالسلطـــان الجديد حتى عام ٣٨١هـ ، لتدخل في عام ٣٩٧ مرحلة أخرى وتتخذ شكلا آخر كما يظهـــر في الجدول التالي : -

العام	عدد القصائـــد	اسم الشخصيـــة
٣٧٤	١	عضد الدولـــة
٣٧٤	١	شرف الدولـــة
٣٧٦	١	شرف الدولـــة
٣٨١	١	بهاء الدولـــة
٣٨٨	٢	بهاء الدولـــة
٣٩٤	٣	بهاء الدولـــة
٣٩٧	٣	بهاء الدولـــه
٣٩٨	٤	بهاء الدولـــه
٣٩٩	١	بهاء الدولـــه
٤٠٠	٥	بهاء الدولـــه

(١) الديوان : ٢٦٧/١ .
(٢) الديوان : ١٣١/٢ .
(٣) الديوان : ٤١٣/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العام	عدد القصائد	اسم الشخصية
٤٠١	٢	بهاء الدولة
٤٠٢	٣	بهاء الدولة
٤٠٣	٤	٣ في بهاء الدوله وواحده في سلطان الدولة .
٤٠٤	٢	١ في بهاء الدولة وواخدة في سلطان الدولة .
د.ت	٢	بهاء الدولة .

م : ٣٥ " قصيده ومقطوعة "(١) أى ما يشكل نسبة ١٧٦ من مجموع قصائده

ولحسن الحظ ان الشريف كان يؤرخ قصائده أويشر الى تاريخها في ثنايا قصيدته ، مما هيأ لنا الوقوف على مراحل تطور فكره الاجتماعي والسياسي وكما آنبأ الجدول انعام ٣٩٧مثل نقطة تحول خطيرة في علاقته بالسلطان البويهي ولذا كان لزاما جدا معرفة مناسبة النصوص التي قالها فيها قصائده اضافة الى عدد القصائد فكانت كالتالي : -

شكل القصيدة	عدد القصائد
١- شكر على الالقاب والمناصب والهدايا والخلع السلطانيه .	١٠
٢ - تهنئة بالاعياد	٠٧٠
٣ - تهنئة وتوديع بالاسفار	٠٩
٤ - تعزية ورثاء ،وتهنئة بالشفاء	٠٨
٥ - شماته بالموت .	٠١
م = ٣٥	

ودخل الشريف على السلطان البويهي لاول مرة عام ٣٨١هـ ليهنئه بشهر رمضان ذكره فيها بخدمه والده وقومه جميعا للسلطة ، وأشار فيها الى استبساله في

---

(١) الديوان : ١٣/١ ، ٥٣/١ ، ٥٧/١ ، ١٣٥/٠ ، ٢٧٣/١ ، ٢٧٧/١ ، ٤١٣/٢ ، ٥٤٩/١ ، ٥٥٣/١٠ ، ٥٧٤/١ ، ٦٠٣/١٠ ، ٦٢٤/١ ، ٦٢٤/١٠ ، ٥٩/٢ ، ٦٢٤/١ ، ٥/٢ ، ٩/٢ ، ٤٢/٢ ، ٤٥/٢ ، ٩٩/٢ ، ١٠٤/٢ ، ١٠٤/٢ ، ١١١/٢ ، ١٢٨/٢ ، ١٣١/٢ ، ١٣٥/٢ ، ١٤١/٢ ، ١٤٥/٢ ، ٢٨٢/٢ ، ٢٨٦/٢ ، ٢٢٨/٢ ، ٢٩٧/٢ ، ٣٠١/٢ ، ٣٠٨/٢ ، ٣٤٦/٢ ، ٤١٣/٢ ، ٤٤٣/٠ ، ٤٥٤/٢ ، ٥٤٦/٢ ، ٥٦٤/٢ ، ٣٦١/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدّفاع عن مدينه بغداد ، لما الم بها الخطر[1] قال فيها : -

بهاءَ الدّولَه المَنْصورَ إنّـي ... دَعَوْتُك بَعْدَ لأيٍ مِنْ دُعائـي
فَلِمْ أنا كالغريبِ وراءَ قـوْمٍ ... لو اختُبِروا لقد كانوا ورائي
بعيدٌ عِنْ حِماك ،ولي حُقـوقٌ ... قواضٍ أنْ يطولَ بهِ ثوائـي[2]

وقف أمامه يطلب منه المودة والرضا ، وقد رأى نفسه جديرا بهما لا سيما بعد دفاعه المستميت عن بغداد ، لما أحاقت الفتنه بها ودهش الشريف لعدم اهتمامه به ووضعه في المكان اللائق به ولكن وقفته امامه هذه لا تخلو من الكبرياء والشموخ اذ كان يحس باعماقه ان له حقا في الدوله على الرغم من وقفته مع الطائع في محنته اذ كنت أظنه سيقف موقف المذنب المعتذر الضعيف ليطلب الصفح والعفو من البهاء على موقفه من عدوه (أي البهاء) من الطائع ولكن حدث ما لم نتوقعه اذ طلب منه ان يحله في مناصب يرى انه أهل لها من جهه ، وصاحب حق فيها من جهه اخرى فاشار عليه قائلا : -

فجُرّ بْني تَجِدْني سيْفَ عَـزْمٍ ... يُصَمِّم ضَرْبَهُ وزِنَـادَ رأيٍ
وأسْمَرَ شارِعاً في كلّ نَحْـرٍ ... شُروعَ الظّلِ في يَنْبوعِ ماءِ[3]

ولما احس بفتور علاقتهما راح يوقد ولاءه للدوله البويهيه ، وانه مازال على الطاعة والبيعة خاصة لما أشيع عنه انه سيرحل الى مصر وكان قد سافر الى الكوفه فرجع قافلا معلنا ولاءه ، معتذرا عما بدر منه : -

آآلَ بُويهٍ ما نَرى النّاسَ غَيْرَكمْ ... ولا نَشْتَكي لِلخَلْقِ أوْلاكمُ فَقْدَا
وكنتُ أرى أني متى شِئْتُ دونكُـمْ ... وَجَدْتُ مَجازاً لِلمَطالبِ او مَعدَى
ولَمْ أرَ مِنْ مَطْلَعٍ عَن بِلادِكـم ... ولا مِنْ مَراحٍ لِلأمَاني ولا مَغْدَى
خَذوا بزمامي قد رجعْتُ إليكـمُ ... رُجوعَ نَزيلٍ لا يَرَى منكمُ بُـدّا
أُريدُ ذَهَابا عنْكمُ ،فيَرُدّنـي ... إليكمُ نجاريبُ الرّجالِ ولا حَمْدا[4]

واستغل الشريف المناسبات الاجتماعية المتعددة لينفذ منها الى مآربه وطموحه وذلك بتقديم الولاء وتجديد البيعة للسلطان فاستغل مناسبات غريبه نادرا ما يفطن اليها الانسان كمناسبة سفر السلطان وعودته سالما ، لينبعث اليه برسائل الشوق المضمخة بعبير الطموح وعبق الولاء المزيف ،ونجده قد تنازل فيها عن كبريائه

---

(١) لم تشر المصادر التاريخية الى شيء من هذا .
(٢) الديوان ١ /١٧ .
(٣) الديوان ١ /١٦ . انظر ٢٨٢/٢ .
(٤) المصدر نفسه :٤٠١/١ . انظر ٤٥٤ - ٥٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعهود ، وإبائه المشهود ، ووقف فيها وقفه الخاشع المتذلل ينتجز الوعود ويطلب المنفعه الذاتيه فقال : -

رَجَوْتُكَ والعِشْرونَ ماتمّ عِقْدُها ... فلِمْ أنا مِنْ بعدِ الثلاثينَ آيسُ
وَليّ خِدْمَةٌ قدّمْتُها لِتُعِزّ شِـ ... ـي ولولا الجَنى ما رَجّبَ الفَرْعَ غارسُ
وما همّتي إلا المعالي ،وإنّني ... على المَرْءِ بالعلياءِ لا المالِ نافسُ (١)

ولبى البهاء طلبه ،وولاه المنصب تلو المنصب ، وخلع عليه اللقب وراء اللقب كما رأينا حتى أنه بلغت قصائد الشكر عشر قصائد . وحافظ الشريف على نقاء علاقتهما ، واضفى عليها صفة الرسمية والمجاملة ، لذلك كانت علاقتهما قائمة على الطموح والمنفعة الذاتية . وليتم ذلك له لم يترك فرصة تمر الا وقد انتهزها فقدم له فيها تهاني العيد و تهاني الشفاء والسفر ليؤكد فيها ولاءه له ولينفذ منها الى انجاز المواعيد وليقدم رؤيته الاجتماعيه فقال : -

لي مواعيدٌ ، وَوَعْدَ الغَيْبِ عَقْدٌ رُمامُ
لَوَيْتْ عَنّي، فَيَا لِلنّاس هل ضَنّ الغَمامُ
حُبِسَ القَطْرُ بأرضي، وأرَى الجَوّ يُغامُ
أيّها الزّارعُ سَقْياً فبدا المَزْرَعُ أوْامُ
عُدْ بما عَوّدْتَني مِنْك ، أياديكَ الجِسامُ
إنّما الأقدارُ جُنْدٌ لك ، والدّهر غُلامُ (٢)

بدت النشية واضحاً في بويهياته التي كان يتقرب فيها إليهم ،وبالغ الشريف في تقنيه حتى أنه جرد نفسه من كل معنى ،لذلك كان يجنح في مخاطبتهم الى تعداد القاب السلطان المتعددة:

يا غِياثَ الخَلْقِ أبْسِطْ مُلْكَ في الأيّامِ شامُ
أنت لِلدّنيا وللدّيـ ... ـنِ مِسكٌ ونِظامُ
وبهاءٌ وضِياءٌ وَغِيَاثٌ وقِوامُ (٣)

فالبهاء والضياء والقوام والغياث كلها القاب للسلطان البويهي بهدف اضفاء الدولة ، كما واضفى في بويهياته على ممدوحه هالة من القداسة الدينيه ، اذ قال فيه : -

---

(١) المصدر نفسه : ١/٥٥٢ .
(٢) الديوان : ٢/٢٨٥ - ٢٨٦ . انظر ١/٥٤٩ - ٥٥٣ . ٢/٩٩ - ١٠٢ . ٢/١٤٠ . ٢/١٢٨ .
(٣) الديوان ٢/٢٨٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنْتَ فينا هَضْبَةُ اللّوِ التّـــي ... زادَها فَرْعُ المقاديرِ التِئاما
وبَدَ للدَّهْرِ موهوبٌ لهـــا ... إنْ أساءَ الدَّهْرُ يوما وألامـــا (١)

اتسم ممدوحه بهذه الصفات الدينية كونه الحاكم المسئول عن الرعية لاكونه قد ورث تلك القداسة عن أهله السابقين كالخليفة العربي ، لا بد أنه يمثل شرع الله في أرضه لذا وصفه بتلك الصفات .

وبالغ الشريف في اطراء بهاء الدوله لكثرة ما أسبغ عليه من النعم لذلك استحق الشكر الصادق ، والثناء العطر فقال :-

فكَمْ منْ نِعْمَةٍ منْـــكَ ... كعَرْفِ المَنْدَلِ الرَّطْـــبِ
أتَتْني سَمْحَةَ القـــوْدِ ... ذلولاً سَهْلَةَ الرَّكْـــبِ
وأعْلى المَدْحِ ما يُثْنـــي ... به العَبْدَ على الـــرَّبِّ (٢)

تجاوز الشريفُ حدودَ الكبرياء والاباء العربي الذى عرف به في مدح السلطان البويهي ، وقدم له مدحا خالصا على نعمائه ، فشكره واجب كما وجب على العبد شكر الله .

لقد استطاع الشريف ان يخلق نظاما خاصا به وثق به علاقاته مع البويهيين بمقدار فاق قدرة الغير على توثيقها ، والاستفادة منها . فبعد أن هاجم السلطان البويهي لما أقدم على خلع الطائع ، وبعد هجائه للجنس البويهي كله تحول الى مدحهم ، ومحاولة استرضائهم ، والحصول على مودتهم . وبالتالي نزعم ان علاقته بهم كانت قائمة على المنفعة الدنيوية الخالصة ، والمصلحة الشخصية الصرفة ، وما عدا ذلك كانت علاقته بهم علاقة رسمية توجبها رسميات التعامل مع السلاطين كقصائد الشكر والتهنئة بالاعياد والسفر ، والشفاء ، والتعزية .

٣ - الـــــوزراء

اسس الشريف علاقات اجتماعية مع عدد كبير من وزراء عصره ، منهم ابو علي الحسن بن ابي الريان(٣) وابو الحسن البتي (٤) وابو غالب فخر الملك ابن خلف(٥) وابو سعيد علي بن خلف (٦)

---

(١) الديوان : ٢٩٨/٢ . انظر ٥٣/١ ، ١٩/٢ ، ٢٧/٢ ، ٩٩/٢ ، ١٤٠/٢ ، ١٤٣/٢ .
(٢) الديوان : ٥٦/١ . انظر ٢ /١٤١ . ٢٢٨/٢ .
(٣) الكامل : ١٩٣/٧ ، ٤١/٢ .
(٤) معجم الادباء : ٢٥٤/٣ - ٢٧٠
(٥) الكامل ٢٧٩/٧ ، وفيات الاعيان : ١٢٤/٥ . المنتظم ٢٨٦/٧ .
(٦) فوات الوفيات ٧٥/٢ - يتيمة الدهر : ٤٠٩/٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وابو علي بن اسماعيل الموفق[١] وابو نصر سابور بن ازد شير[٢]، وأبو القاسم الابر توهي[٣] وعبد العزيز بن يوسف[٤] والصاحب بن عباد[٥] وأبو اسحق الصابي[٦] وابو منصور بن صالح[٧] وغيرهم .

وعلاقته مع الوزراء لم تتنكب أبدا عن علاقته بالبويهيين ، فسعى لعقد صداقات معهم ، وأراد قولبة علاقاته بهم كنظرته الى السياسة والسياسيين، فحدد الهدف الذي من أجله أقام تلك العلاقة في قوله : -

وانني لأرجو منك حالاً عظيمةً ... وأمراً أُرَجّي عندَه وأهابُ
لعلّ زماني يَثْنِني لي بِعَطْفَةٍ ... وترضى مُلِمّاتٌ عليّ غِضابُ[٨]

وضع اسسا لهذه العلاقة ، وهي أسس منبثقة عن رؤيته السياسية والاجتماعية وأرادها مطية للوصول الى أهدافه وطموحاته ، ومن هذه الاهداف توثيق صلته بامير المؤمنين ، إذ طلب منه مساعدته في الوصول إلى الطائع فقال : -

وإنّي إذا ما قُلْتُ في غَيْرِ ماجِدٍ ... مديحاً كأنّي لاثكٌ طَعْمَ عَلْقَمِ
وإنّ رَجائي زَيْنَ مِلّةِ هاشِمٍ ... لَنُعْمى ،وَحَسبي من جَوادٍ ومُنْعِمِ
فكنْ شافِعي يوماً إليه لعلّهُ ... يَريشُ العواري من نِبالي وأسْهُمي[٩]

ثمة وجه تحمل علاقته بالوزراء ، فكانت لهثا وراء منصب عال ومقام مشرف يقاوم به فلتات الزمان الغضوب ، ولذلك رفض تسمية علاقته بالوزراء علاقة رسمية ،

---

(١) الكامل : ٣٩٠/٧ ، ٢٢٥ .
(٢) يتيمة الدهر : ١١٤/٣ - ١٣١ . الكامل ٤٢٤/٧ . وفيات الاعيان : ٣٥٤/٢ - ٣٥٦
(٣) الكامل : ١٥٥/٧ - ١٧٣/٧ .
(٤) يتيمة الدهر : ٣١٢/٢ - ٣٣٥ .
(٥) معجم الادباء : ١٦٨/٦ . يتيمة الدهر : ١٨٨/٣ - ٨٢٥ .
(٦) يتيمة الدهر : ٢٤١/٢ ، ٢٤١/٣ - ٣١٢ .
(٧) المنتظم : ١٩٦/٧ .
(٨) الديوان : ٦٨/١ .
(٩) الديوان : ٤٠٥/٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولكنه سماها علاقة صداقة ليستطيع من خلالها النفاذ الى طموحاته وأهدافه التي كان يحملها فقال : -

وما أنا مِمَّنْ يَجْعَلُ الشِّعْرَ سُلَّمَاً ... إلى الأمْرِ إن أغنى غناه خطاب(١)

رأى ان علاقته بهم علاقة مودة لذلك اكتفى بمخاطبته لانه يترفع ان يجعل الشعر وسيلة له للوصول الى أهدافه ومهما كان من أمر إلا أنها ليست صحيحة ، ومما يزيد الرأي وضوحا قوله لأبي سعيد بن خلف : -

وعِشْ صافي الغَدير من الرَّزايا ... بهِ خالي الأديم من النُّدُوب
لعَلّي أنْ أهزَّك في مَرَامٍ ... فأبْلُوَ منكَ مَنْدَلِقَ الغُروب
وحاجٍ في الضَّمير مُعَضَّلاتٍ ... سأُسْلِمُها إلى عَزْمٍ طَلُوب
لأقضيَهُنَّ ، أو أقضي بهِمِّي ... غريبَ الوَجْهِ في البَلَدِ القَريب(٢)

أعلن أن علاقته بهم كانت درءا لخطر قد يتعرض الشاعر له ، ويبدو أنه قد عقد العزم على أمر خطير لذلك دعا له بطول البقاء ليتمكن الشريف من تحقيق هدفه بمساعدة الوزير ،وان رفض مساعدته لا بدّ أنه سيتغرب عن موطنه ،ويعيش الغربة المكانية . ومما يؤكد نفعية علاقتهما قوله : -

وحُكْ ليَ بُرْدَ العُلى ضافِياً ... أحُكْ لكَ أمثالَهُ مِنْ لِساني(٣)

وعد الوزير بأنه سيفيض عليه قصائد المدح بمقدار ما يفضل عليه من كريم المكانة والاعزاز ، وهذا ما رآه محمد شلش في كل علاقاته مع الوزراء(٤).

وسعى الشريف أيضا الى مصاهرة الوزيرين الموفق وأبي نصر سابور ،ولكن سعيه باء بالفشل ، فانفسخ عقد قرانه مرتين ، ولم يتم ،وبعد انفساخ العقد وضياع الامل قال مخاطبا أبا نصر : -

واني لأَرْجُوَ مِنْ علائكَ دَوْلَةً ... تُذَلِّلُ لي فيها الرِّقابُ العوائدُ
لأعْقِدَ مجداً يُعْجِزُ النَّاسَ حَلُّهُ ... وتَنْحَلُّ مِنْ هامِ الأعادي مَعاقِدُ
وحامٍ على ما بَيْنَنَا مِنْ قَرابَةٍ ... فإنَّ الّذي بيني وبينك شاهِدُ(٥)

---

(١) الديوان : ٦٨/١ .
(٢) الديوان : ١٠٤/١ . انظر ٤٢٥/١ .
(٣) الديوان : ٤٩٥/٢ .
(٤) الحماسة في شعر الشريف الرضي : الدكتور محمد جميل شلش : ٧١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بغداد - ط٢ - ١٩٨٥ .
(٥) الديوان : ٢٩٢/١ - ٢٩٣ . وانظر ايضا : صبح الاعشى في صناعة الانشاء : القلقشندي : ٩٧/١٤ - ٩٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صرح بأن عقد قرانه على ابنة ابي نصر الوزير كان في الحقيقة عقداً على مجد لا ينحل، وتوثيقا لأواصر قربى لاتنهدم ، فكان سبيلا للوصول الى العلياء والمجد فهو زواج نفعي ، لذلك وجدناه لا يتطامن للوزير الموفق أيضا بعد انفساخ العقد :

لقد كنتُ أرجو أنْ تكونَ ذرائعي ... إلى غيركمْ حيثُ العُلى واكتسابُها
وأقْرَبُ ما بيني وبينَك حُرْمَةٌ ... تُداني نُفوسٍ ودُّها وهبابُها
شواجِرُ أرْحامٍ إذا ما وَصَلْتَها ... فعِنْدَ أمير المؤمنين ثَوابُها
وما بَعْدَ ذا مِنْ اَصَراتٍ إذا انتهتْ ... يَكونُ إلى آل النبيّ انتسابُها
بكفَّيْكَ عَقْدُ المَكْرُماتِ وحَلُّها ... وعِنْدَكَ إشراقُ العُلى وَغِيابُها (١)

كان يرى أن الاصهار سيجلب المجد السياسي للموفق والشريف معا ،وسيرضى عنهما الخليفة ويثيبهما على ذلك .

اذن علاقته مع الوزراء كانت قائمة على المنفعة الذاتية والمكسب الدنيوى ولم تحمل بذرة من بذور فكره الاجتماعي النقي القائم على المودة والاخلاص واللاانتهازية .(٢)

١ - الصاحب بن عباد : (٣)

من اهم الشخصيات الوزارية التي اتصل بها الشريف ، فكان من ممدوحيه والشريف ما زال في الخامسة عشره من عمره ، وكان بلغه أن الصاحب معجب بشعره فكتب رسالة شعرية قال فيها : -

ابا قاسمٍ هذا الذى كنتُ راجيا ... لأُرْغِمَ أعداءً أو اكْبِتَ حُسَّدا
ومَلِكٍ أنِفْنا أن نقيمَ ببابِهِ ... فزوَّدَنا زاكَ امرى : ما تزوَّدا
خطبتُ إليكَ الوُدَّ لاشيءَ غيرَهُ ... وُودُّ الفَتى كالبِرّ يُعْطَى ويُجْتَدى

---

(١) الديوان : ٧٠/١ - ٧١ .

(٢) الديوان : ٤٠/١ ، ٥٦/١ ، ٦١/١ ، ١٠٢/١ ، ١٣٨/١ ، ١٥٤/١ ، ١٧/١ ، ١٩٣/١ ، ٢٩١/١ ، ٣٢١/١ ، ٣٧٤/١ ، ١٤٢/١ ، ٤٢٥/١ ، ٤٩١/١ ، ٤٩٤/١ ، ٢٠٩/٢ ، ٣٠٦/٢

(٣) الصاحب بن عباد : هو اسماعيل بن عباد بن العباس ،أبو القاسم الطالقاني وزير بهاء الدوله ، عليه الادب فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وجودة رأى ، توفي عام ٣٨٥هـ عرف عنه السماحة والفصاحة والجود ،فعقد مجالس الادب الشهيرة ، وأفاض مما رزقه الله على الشعراء والادباء وجلسائه ،وبموته فقد الشعراء معينا من العلم ، ومصدرا من مصادر رزقهم ،وكان من ممدوحي الشريف ؛معجم الادباء ١٦٨/٦ - ٣١٧ . يتيمة الدهر ٢٣٧/٣ . الكامل : ٣٧/٩ . وفيات الاعيان ٧٥/١ . البداية والنهاية ٣٣٥/١١ . الأعلام : ٣١٦/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وإنّي لارجُـــو من جوارِكَ فِسْـــلَةً أغيظُ بها الحُسّادَ مَثْنىً ومَوْحَـدَا (١)

افتخر الشريف بأن الصاحب معجب به وبشعره دون أن يتمرغ على عتبات الوزاره لذا يرأ علاقته به من أن تكون لمكسب دنيوى أضمره ، ولكن تتجاوز ذلك وقد أصبح ملهم الشعراء والمبدعين فقال :

لولاكَ ما أوْمى إلى المَدْحِ شاعِـرٌ يَعُدّ عليّاً لِلْعلُى ومحمّـــــدا
أبوهُ أبوهُ المستطيلُ بنَفْسِـــــهِ على العِزّ مصروفا ومُقلّـــــــدا
فتى الشّبا كَهْلُ الفضائلِ ما مشى إلى الغُمْرِ إلا احتلّ في القَلْبِ مَقْعَدا
تفرّدَ لا يُفْشي إلى غَيْرِ نَفْسِـــهِ حديثا ،ولا يدعو منَ النّاس مُنْجِدا (٢)

وجود الصاحب في هذا الزمان جعله يتنازل عن نظرته الى كل السياسيين سيما أنه قد قصر مدحه على محمد وعلي ، وعرج في القصيدة من الممدوح الى ذاته هو فافتخر بسره الذى لم يطلع عليه أحدا لانه لم يجد من هو أهل لحمل هذا السر الخطير ليقول في قصيدة أخرى .

وسِرٍّ كَتَمْتُ النّاسَ حتى كتَمتُـــهُ ضُلوعي ،ولَمْ أُطْلِعْ عليهِ مآربـي (٣)

لعل الصاحب كان يمثل الامل فينفسه ،والوعد المرتقب لينقذ الواقع العربي من حالة التردى والخراب فقال : -

طَرِبْتُ إلى الفَضْلِ الّذي فيكَ وانتشى لِذِكْرِكَ شِعْرِي راقدا ومُسَهَّـــدا
وما كنتُ إلا عاشقا ضاعَ شَجْـــوُهُ فأصْبَحَ يَسْتَمْلي الحَمَامَ المُغَرِّدا (٤)

يبدو أن علاقتهما كانت مختلفة عن علاقته بالوزراء خاصة وأن المصادر لم تذكر أنه اتصل به مباشرة ، وانما كان شعره اليه كما يخبر جامع الديوان في تعليقه على قصائده - مكاتبة ،وشعرا لم ينفذه اليه من هنا لم تكن علاقتهما رسمية ولا لمصلحة ذاتية ،ولكنها كانت علاقة فكرية ، اذ راى الصاحب لحنا للحرية والانعتاق من عالم الخراب والرقود . وهذا ما توقعته الشيعة في الصاحب عندما رزق طفلا . فذكر الثعالبي ان الشيعة قد روت :" ان بالطالقان كنزا من ولد فاطمة ،يملأ الله به الارض عدلا كما ملئت جورا ، والصاحب من الطالقان ، من قرى أصفهان ، فلما رزق سبطا فاطميا ،تأولوا له هذا الخبر "(٥)

---

(١) الديوان : ١/٢٨١ - ٢٨٤ .
(٢) الديوان : ١/٢٨٤ .
(٣) الديوان : ١/٩٠ .
(٤) الديوان : ١/٢٨٤ .
(٥) يتيمة الدهر : ٣/٢٣٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولكان الشريف رآه كما رآته الشيعة منجيا البطل المرتقب لاحداث التحول في البلاد، فتحول اليه مادحا لا سيما وان الصاحب نفسه قد استبشر بقدوم ولده قائلا : -

أحمد الله لبشرى ... أقبلت عند العشي
اذا حباني الله سبطا ... هو سبط للنبي
مرحبا ثمة أهلا ... بغلام هاشمي
نبوي علوي ... حسني صاحبي (١)

وهناه الشعراء بقدوم هذا المولود المنقذ الذى حمل الامامه فهذا الجوهرى يقول : -

هلم للخبر المأثور مسنده ... في الطالقان فقرت عن نافله
فذلك الكنز عباد وقد وضحت ... عنه الامامة في أولى ضحايله " (٢)

فالصاحب وان كان أعجميا الا أن يفضل العرب على العجم ومن مواقفه دفاعه عن العرب بحضور بديع الزمان الهمذاني ، اذ جاءه رجل بقصيدة يفضل فيها العجم على العرب ،فقال الصاحب للهمذاني أجبه عن ثلاثتك ، أزبك ونسبك ومذهبك ، ثم قال: " لا ترون رجلا يفضل العجم على العرب الا وفيه عرق من المجوسية يرجع اليها " (٣)

ربما يكون موقفه من العرب ،ونظرة الشيعة اليه على أنه يملك الامامه هما اللذان جعلا الشريف يتصل فيه ويمدحه اذ رآه هدى لما في وعيه الاجتماعي ليعدهم للمستقبل القادم ،مستقبل الثورة ،من هنا قد يصح تفسيرنا لمرثيته فيه بأنها كانت رثاء للملك الزائل ، للبطولة العربية في كل مراحلها وأزمانها ،والتي انتهت أخيرا بموت المفكر الذى علق عليه الشريف آماله " (٤)

٣ - أمراء القبائل :

لم تقتصر علاقات الشريف على الخلفاء والملوك والوزراء ولكن تعدتها الى مجموعة أخرى وهي القبائل العربية فاتصل بأمرائها ومدحهم ،ورثاهم . وهذا يعني تحولا كبيرا في اتجاهه الاجتماعي والسياسي ، اذ نظم هذه العلاقة في عقد نظام العلاقات الاجتماعية المتنافرة اجتماعيا وسياسيا وعرفيا وعقديا . فهناك البويهيون الاعاجم الشيعة والعباسيون العرب السنة ،والثوريون أمراء القبائل الحمدانيون والعقيليون والشيعة . فالثوريون كانوا يمثلون الحزب المعارض للبويهيين والعباسيين على السواء من جهة النسب مرة ،ومن جهة المذهب مرة اخرى .

ومن أهم القبائل التي وثق الشريف علاقاته بها الحمدانيون ،وبنو حمدان قبيلة عربية استقلت عن الدولة الام (الدولة العباسية) واسست لها اماره ضمت الموصل والجزيرة والشام ومن أشهر أمرائهم سيف الدولة الحمداني ،وأبو الهيجاء ناصر الدولة الحمداني ،وابنه ابو طاهر ابراهيم. (٤)

---

(١) المصدر نفسه : ٣/٢٣٦ .
(٢) معجم الادباء : ٦/٢٨٧ .
(٣) معاهد التنصيص : العباسي : ٤/١١٨ - ١١٩ .
(٤) الديوان ١/٢٠٨ - ٢٠٩ - انظر ١/٢٨٠ ، ١/٢٨٥ ، ١/٢٩٣ ، ٢/٢٠١ - ٢٠٩
(٥) ابن خلدون : ٧ / ٤٨٨ - ٥٤٥ . انظر التاريخ لعباس بن ابراهيم ، ٣/١١٥ - ١٢٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اما بنو عقيل فهي قبيلة عربية أيضا ، استقلت عن الدولة العباسية الام استقلالا ذاتيا وأسست امارتها في بعض أجزاء الموصل ومنطقة الاكراد شمال العراق ، ثم استولت على ملك الدوله الحمدانية في العراق ، ومن أشهر أمرائها أبو الذواد العقيلي ، والمقلد بن المسيب ، وابنه قرواش ، وكانت بين القبيلتين علاقات اتصال تسودها المودة أحيانا ، والهجران والحرب أحيانا أخرى ، وقد حاربتا باذ الكردى معا ، ورفضتا الاذعان للحكم البويهي ، وكثيرا ما تعرضتا لحروب بهاد الدولة وحيله (١)

وهما قبيلتان التقتا بالنسب العربي الصميم والمذهب الشيعي ، وميزتهما الأصالة العربية والكبرياء العربية ، وربما وجد الشريف ضالته في تينك القبيلتين ، فالتقى بهما بنسبه العربي ، وفكره الشيعي ، اضافة الى الفكر الاجتماعي المنبثق من واقع العرب الذى يواجه الشعوبية المنحلة والتسلط الاجنبي فعدهما رمزا للتحرر العربي من ربقة العجم فسعى لعقد اتصالات بهما في أول فرصة تلوح له ، غير هياب من غضب الخليفة أو سطوة السلطان (٢)

اما بداية علاقتهما فأرجح أنها بدأت لما كان الشريف أميرا للحج ، فربما تعرف اليهم في بداية الامر ليمنع تدخلهم بركب الحجيج ، اضافة الى أن تلك القبائل كانت تكن المودة والاحترام لوالده ، وقد ورث الابن تلك الصداقات بما كان يتمتع به من سلطة روحية على القبائل (٣)

فاتجاه الشريف نحوهم ينفي كونه طموحا لمناصب سياسية كما هو مع البويهيين والوزراء ، فلو كان طموحا لما التزم بعلاقته بهم . وافتخر بهم ورثاهم ، وبهذا ربما عرض نفسه لغضب السلطان ، هذا ولن نستطيع رد تلك العلاقة الى أصول وجدانية كما زعم مبارك بانه كان يعطف على نسائهم ، أو كانت احدى نسائهم تعطف عليه مستدلا على ذلك بمرثيته لتقية مصر بنت حمدان ، والتي كانت قد استنسخته ديوانه فبعث اليها نسخة (٤) ولكن الرأى الأرجح هو أنه وجدهم يسيرون في الاتجاه نفسه الذى ما فتىء الشريف يبحث عنه ، وهو انصاف العرب ورفض الخذلان والخضوع للعجم ، واذا ما فشل الشريف في ثورته ودعوته السياسية ذات الطابع الاجتماعي كان هناك الحمدانيون أو العقيليون ، فايهم ينجح في مقاومة العجم يعد نجاحا للشريف نفسه ، لذلك لم نجد له قصائد في أولئك الثوريين الا في حالة موتهم ففزعت أحاسيسه وانتفض لا شعوره الجاثم للبكاء عليهم من هنا خلت قصائده فيهم

---

(١) ابن خلدون : ٥٤٥/٧ - ٥٦٠ .

(٢) لم تشر المصادر التاريخية الى أن ثمة علاقة مباشره بينهم .

(٣) عبقرية الشريف الرضي : ١٥٦/١ .

(٤) المصدر نفسه : ١٦٠/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من الرسميات والمجاملات وذلك لانعدام المنفعة الذاتية والمصلحة الشخصية واكتفي بقصائد الرثاء لأنها اصدق تعبير عن احساسه الدفين ، ومما يزيد رأينا وضوحا هو أنه في رثائه لأبي طاهر الحمداني ركز على القيم والفضائل العربية التي تميز بها،وما اشتملت عليه من بطولة وفتوة ومروءة وإباء،وما امتاز به من شرف النسب وكرم المحتد ومجد الحمدانيين خير تمجيد ، ورثى لربيعة كلّها مَوْتَ قائدها المصلت سيفه على الزمن الجائر وأهله الظلمة فهو كما قال : -

من مَعْشَرٍ غُلْبِ الرِّقابِ جَحاجِحٍ ... غَلَبوا على الأَقْدارِ والأَخْطارِ
من كلّ أَزْوَعَ طاعنٍ أو ضاربٍ ... أو واهبٍ،أو خالعٍ،أو قارِ
وفوارسٍ كالشُّهْبِ تطرَحُ ضَوْءَها ... يَوْمَ الوَغى وأُوارُ حَرّ النّارِ
رَكِبُوا رِماحَهم إلى أغراضِهِمْ ... أمَمَ العُلَى وجَرَوْا بغَيْرِ عِثارِ(١)

أبرز المرثي الكريم وقد تألق في ساحة البطولة الحرة ، فهو بطل كونه من أسرة عريقة بالبطولة ، وقد ورثها كابرا عن كابر ، ولا ننسى أنهم ينتمون الى كليب وائل والمهلهل بطل حرب البسوس ، فالبطولة والاباء برأيه وراثية من هنا ركز على أنهم لم ينصاعوا لحكم الملوك ، وقد رفضوا الجبن : -

كانوا همُ الحَيَّ اللِّقاحَ وغيرُهم ... ضَرَعٌ على حُكْمِ المَقاوِلِ جارِ
لا ينبِذُونَ إلى الخلائفِ طاعَةً ... بقَعاقِعِ الإيعادِ والإنْذارِ
عَقَدُوا لواءَهم بِبيضِ أكُفِّهِمْ ... كِبْراً على العُقّادِ والأمّارِ(٢)

يبدو أنه كان يعرض بالبويهيين الذين اجبروا كثيرا من القبائل العربية على الاذعان اليهم ، والاعتراف بسلطتهم ، ولكن الحمدانيين - برأي الشاعر - كانوا أكبر من الخضوع والطاعة لغير العرب ، فهم شعب رفض ان يكون مقهوراً وأبى ان يكون الا أميرا ، من هنا نستنتج أن علاقتهُ بهم كانت تتجاوز كونها علاقةً اجتماعيةً فقط ولكنها علاقةٌ اجتماعيةٌ تحملُ طابعا سياسيا ، تحمل بذورَ الرفضِ والثورة على الفئة الحاكمة .

وكذلك أيضا علاقته مع العقيليين ، فعلاقته بالامارة كانت علاقة سياسية اجتماعية ، فثمة علاقة بينهما كالعروبة والتشيع ، ورفض السلطة ومناهضتها ، لذا رأى أميرها أنموذج الثوريين ، وأبرز المقلّد من المسيب بطلا حوى كل الفضائل والقيم العربية السامية .

---

(١) الديوان : ٤٩٢/١ . انظر ٣٦٦/١ . ٣٢٤/١ . ٢١٢/٢ .
(٢) الديوان : ٤٩٢/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سعي الشريف الداشب لابراز البطل العربي بطلا ساميا بما حواه من فضائل نفسية جميلة دليلٌ على التزامه بأخلاق مجتمعه ، وما انْ مات المقلّد حتى أحس أن الفكرةَ الثورية في خطر ، فانتفض في داخله الإحساسُ بالانتماء وراح يرثي أبطالَ عقيل الذين نجحوا في زرع الثورة في القبائل العربية الأخرى فقال : -

مَضَوْا بعدَما أبقَوْا إلى المَجْد مَنْهجا ... رُكُوبا بأعلى غاربِ الأرْضِ مَهْيَعا
وإنْ يَمْضِ نَصْلٌ مِنْ عقيل نَجِدْ لَـهُ ... مَناصِلَ في أيدي الصياقِل قُطَّعَا
فما غيضَ ذاكَ الماءُ حتى علا الرُّبى ... ولا اجتُثَّ ذاك الأصلُ حتى تفرَّعَا
وان عَثَرَ الأحْيَاءُ من بَعْدِ موتِكُمْ ... فلا دَعْدعَا للعاثرينَ ولالعَا (١)

رأى أن العقيليين كانوا أساتذة الرفض والثورة ، ماتوا بعد أن غرسوا روح الثورة في قلوب القبائل العربية ووضحوا طريق المجد والتغيير أما وقد مات الزعيم فما على المجتمع الا أن يكمل الطريق الذى اختطه أمير عقيل .

فالتزامه برثاء زعماء القبائل العربية واصراره على الاتصال بهم هو تعبير عن التزامه بقضايا مجتمعه العربي الذى فخر بقيمه وتغنى بها ، وفخر الشريف نفسه على الفخر بالعرب والعروبة ، وراح يبحث عن النموذج العربي الأمثل فتحسسه في أولئك الثوريين الذين كانوا مصدر فخر واعجاب له بالعرب وبدا نصل الى أن علاقته بهم كانت علاقة سياسية روحية مغلفة بطابع اجتماعي.

ثانيا : علاقاته الاسرية :

اكتسبت قضية الشيعة بعدا اجتماعيا ترسخ في أذهان أتباعها ، على مدى زمني طويل ، وتميزت بحس مأساوى عميق ، وبغربة اجتماعية مؤلمة ، فالشريف الذى ورث فجيعة الهاشميين والمجد الاسرى معا ، جعله يقف على مفرق الطرق من الفئتين الاجتماعيتين السياسيتين فئة العجم الذين لا يملكون مقومات المجد والشرف الرفيع . وفئة المجتمع المظلوم مجتمع الشيعة الذى ورث الفجيعة والمجد الاسرى،فثنائية المجد والفجيعة أثرتا في رؤية الشريف الاجتماعية مما جعله يتبجح كثيرا بشرف الاسرة الهاشمية ليعمق من خلال فخره بنسبه قضية الشيعة . وهذا مما حفزه للاهتمام بالاسرة ، والعلاقات الاسرية على المستويين العام والخاص ليوسع الاسرة فتصبح مرة بني هاشم ،ومرة اخرى الجنس العربي : -

---

(١) الديوان: ٦٣٨/١، ٦٤٠ ، انظر الديوان : ٣٧٣/١ ، ٦٢٩/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وسأتناول العلاقات الاسرية بشكليها : -

أ - علاقات أسرية خاصة .
ب - علاقات أسرية عامة .

وسأوضح حدود هذه العلاقات ، وصفة علاقة القربى ، وما داخلها من تغيير وفساد وما النموذج الاسرى الذى أحبه الشريف ودعا اليه ؟ !

١ - العلاقات الاسرية الخاصة : -

كون الشريف نقيبا للطالبيين ، ومسئولا عن الشيعة في كل كبيرة وصغيرة من أمورهم ، في قاصي البلاد ودانيها ، كان من الضرورى جدا أن يهتم بالاسرة فالعلاقات الاسرية كانت من أهم مسئوليات النقيب وأولى تلك العلاقات كانت علاقة الأبوة .

١ - الأبوة :-

تعد الأبوة من أهم العلاقات الاسرية عند الشريف ان لم تكن أهم العلاقات الاجتماعية فمأساة والده التي تعرض لها عام ٣٦٩هـ والتي انتهت بسجنه على أيدى آل بويه جعلته يمتلىء غيظا وحقدا على الزمن الجائر وأهله ، وعبأته ثورة عليهم وهنا تغير وجه العلاقة الابويه ليأخذ سمة غير السمة التي تربط الابن بأبيه فدبج قصائده في مدحه وانتهز الفرص المتعدده ليدخل عليه في كل مناسبة بقصيدة حتى أصبح ممدوحه الاول ، وجاءت قصائده ذات موضوعات مختلفة كالتالي : -

موضوع القصيدة	عدد القصائد
١ - تهنئة بالصوم والاعياد الاسلامية	٠٧
٢ - تهنئة بيوم الغدير .	٠٤
٣ - تهنئة برد اعماله أوفك سجنه	٠٢٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

موضوع القصيـــــــدة	عدد القصائد
أو سفره أو مناصبه ٤ - مدح ورثـــاء	٣٠
أي ما يشكل نسبة ٠/٠٧ من مجموع قصائده ٠	م - ٤٠ قصيدة (١)

ومن الملفت للنظر أنه لم يعن كثيرا بتأريخ قصائده التي قالها في والـــده فمن قصائده الاربعين لم يؤرخ الاسبعاً و عشرين قصيدة ٠

العـــــــام	عدد القصائد
٣٧٠	١
٣٧٢	١
٣٧٤	٣
٣٧٥	٢
٣٧٦	٤
٣٧٧	١
٣٧٨	٢
٣٧٩	٢
٣٨٠	٣
٣٨١	٢
٣٨٦	١
٣٨٧	١
٣٩٢	١
٣٩٥	١

(١) الديوان الجزء الاول : ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٢٢٠ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣٢٧ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، ٥٥٤ ، ٥٨٢ ، ٦٠٦ ،
الجزء الثاني : ١٧ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٤١٩ ، ٤٦٧ ، ٤٩٥ ، ٥١٢ ٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العـــــــام	عدد القصائـــد
٣٩٦	١
٤٠٠	١١
د. ت	١٣
	م = ٤٠ قصيدة

وما ان أطلق سراح والده حتى تلقاه بكل ترحيب ، ووصف لونه من آثـــار السجن قائلا : -

لقيتُكَ في صَدْرِهِ شاحبـــاً ، ومِنْ حِلْيَةِ العَرَبِيِّ الشّحُـــوبُ(١)

وصف شحوب وجهه وصفا جماليا ، وألصق صفة الشحوب بالعرب الرافضين الذيـن زينوا بهذه الصفة والتي هـــي من آثار السجن ، ورآه مرة أخرى سيفا عربيـــا بتارا ، تغنى به الرافضون للظلم والهوان في زمن الجبن والتخاذل فوصفه قائلا:-

وكُنْتَ مِثْلُ السَّيْفِ في مُصْـــرٍ ، عادَتْ بِقمائِمِهِ مِنَ الـــذُّلِّ (٢)
واذا هَتَفْتَ بِهِمْ لِنائبَـــةٍ ، جَذَبوا وراءَكَ بالقَنا الذُّبلِ

وقصر الشريف حبه على والده الزعيم ، الذى اذ منا يرفع سيفه في وجه الأعداء حتى تلبي العرب جميعا دعوته بسيوفهم ، وهو الزعيم الذى رضيت به الأمة العربية بقحطانها وعدنانها ، بسنتها وشيعتها فقال : -

تحقّقتِ الأحْياءُ أنّكَ فَخْرُهَـــا وأغْضَتْ على عِلْمٍ بِزارٍ ويَعْـــرُبُ(٣)

أصبح أبو أحمد رمزا لكل العرب للوحدة العربية ، والروح القومية ، وقـــد ورث هذه الزعامة من أجداده السالفين وورث معها كل القيم والفضائل العربيـــة الأصيلة ، وتعلق الشريف بوالده كثيرا ، وتغنى به حتى وصفه بانه قد أصبح أنشودة سائرة على السن العرب المشتاقين الى التحرر ، أنشودة سائره على ألسن كـــل المضطهدين في ظل الدولة البويهية ، لذا تغنى الناس بكل القيم المتجسدة فيـــه فقال : -

---

(١) الديوان : ٧٥/١ .
(٢) الديوان : ١٦٥/٢ .
(٣) الديوان : ٨١/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لما نَظَرْتُ إلى عُلاكَ غريبةً ... ومُضيّعٌ راعي المَناقبِ مُهْمَلُ
في سيرةٍ غرّاءَ تَسْتَضْوي بها ... الـ ـدُّنيا، ويلبَسُها الزّمانُ الأطْوَلُ

مُلِئَتْ بفَضْلِكَ، فالولِيُّ مُكثِّرٌ ... ما شاءَ مِنْها، والعدُوُّ مُقَلِّلُ
يَفْتَنُّ فيها القائلونَ كأنّما ... طَلَعَتْ كما طَلَعَ الكِتابُ المُنَزَّلُ(١)

بددت سيرته ظلمة التخاذل ، وتجلت نورا يمشي على هداها السائرون ، وافتن فيها المبدعون ، وقالوا فيها ضروبا من المدح والعشق ،ولا ننسى ان الشريف نفسه كان معجبا بالائمة الشيعة وسجاياهم ، فكتب كتابا فيهم سماه (خصائص الائمة) ثم الحقه بكتاب عن والده (سيرة الوالد الطاهر) كما مر بنا ويبدو لي أنه قد فكر في كتابة سيرة والده في أعقاب أيام سجنه اذ عبر عن هذا في قصيدته التي هنأه فيها بفك أسره مشيرا الى تلك السيرة .

ذَخَرْتُ لكَ الغُرَرَ السّائراتِ ... يُعَبِّرُ عَنْهَا الفُؤَادُ الكَئيبُ
تَصونُ مناقِبَكَ الشّارِداتِ ... أنْ تتخَطّى إليْها العُيوبُ(٢)

ثم استقصى صفات النموذج الأبوي ، فهو الشجاع الذى لا يقدر أحد على مواجهته والكريم الذى تعطلت أيدى الكرماء أمامه ، والثورى الحر الذى رفض الذل والاستكانة ، والمفكر العظيم الذى اجتمع حوله رجال بهاليل هددوا ظلمة الزمان ، الرجل الذى دافع عن الاسلام ما استطاع فقال فيه :-

حمى بَيْضَةَ الإسلامِ بالحَقِّ فاحتمتْ ... وقرّتْ بأعشاشِ الرّماحِ الشّواجِرِ
ومِنْ قَبْلُ ما كانَتْ تَقَلْقَلُ خِيفَةً ... وتَرْقُبُ في الأيّامِ وَهْصَةَ كاسِرِ
اذا عَبَّقَتْ أخْلاقُهُ أرَجَ العُلى ... تضوّعَ في الحيينِ ، كعبٍ وعامرِ
ولمّا انجَلَتْ عَنْ حوزَةِ الشّرْكِ فُرْصَةٌ ... تقَنّصَها والدّينُ دامي الأظافِرِ(٣)

أصبح أبوه ابا روحيا لما حوى من قيم سامية وفضائل كريمة ، فقد حمى بيضة الاسلام ، واحتمت به كل الفراخ المستضعفة التي انتظرت إرهاصة الاسد القاتل وما ان آلت الامور اليه حتى انتشر عبق العدل الاجتماعي والحياة الكريمة الحرة ، ولكأني به يشير الى دور والده في اسكان الفتن واخمادها بين السنة والشيعة من جهة ، وبين الدولة البويهية والمتمردين عليها من جهة اخرى . وهنا داعبه شعور العظمة بالانتماء الى الوالد العظيم ،وكادت سيرته تضيق انفاسه

---

(١) الديوان : ١٥٩/٢ .
(٢) الديوان : ٧٨/١ . انظر ٤٣٧/١ .
(٣) الديوان : ٤٥٠/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكاد تألقه يضجره لانه لم يفسح مجالا للتلامذة كالشريف ، ولكنه عاد ليقول بأن والده الامام وهو المقتدى فقال : -

كِلانَا لَهُ السَّبْقُ المُبرِّزُ إلى العُلى ... وإنْ كانَ في نَيْلِ العَلاءِ إمامي
وما بَيْننا يَوْمَ الجَزاءِ تَفاوُتٌ ... سِوى أنهُ خاضَ الطَّرِيقَ أمامي (١)

كان أبوه نموذجه الاعلى لذا كان يتمنى في قرارة نفسه أن يمنحه والده بعض ما عنده من الزعامة والفضائل لم يتمن فقط ولكنه راح يطلبها صراحة ولكأنه يملك العالم بأسره فخاطبه : -

أحِبّكُمُ ما دُمْتُ أعْزَى اليكُمَ ... وما دامَ لي فيكُمْ مُرادٌ ومَطْلَبُ
فلا تتْرُكَنّي عاطلا من مُرُوَّةٍ ... ولا قانِعا بالدُّونِ أرْضَى واغضَبُ (٢)

لقد طلب منه الجاه والمجد الذى حازه ، ورأى احسان عباس :"بأنه كان يريد جاه أبيه طريقا الى العز ، يريد نصيبه الخاص منه ، لان عز الاب ليس ملكا للابن "(٣)

وتعرضت علاقتهما لبعض الجفاء لما كانا فيه على اختلاف في المذهب السياسي اذ كان والده داهية سياسية في المجاملات والمداورات ، بينما كان الشريف جريئا في الاعلان عن مبادئه وافكاره السياسية والاجتماعية ،وتجلى هذا الخلاف الذى كان سببا في الوحشة والجفاء في شأن الفاطميين وراى الشريف فيهم لما شاع عنه أنه قال أبياتا تمنى فيها أن يكون بين ظهرانيهم،وعتب القادر بالله عليه وأعلم والده بذلك فطلب منه والده أن يكتب اعتذارا الى الخليفة ،وان يكتب في المحضر المتضمن الطعن بنسب الفاطميين ، أبى الشريف الرضي ذلك ،فحلف عليه والده وأخوه المرتضى الا يكلماه ، وهجراه تقية . فقال الشريف أبياتا في ذلك فيها : -

وكَمْ مِنْ مَقامٍ دونَ مَجْدِكَ قُمْتُـهُ ... عَلى زَلَقٍ بَيْنَ النَّواشِبِ أو دَحْضِ
وفارَعْتُ مَنْ أعيَاكَ قَبْلَ قِراعِهِ ... فدامجَنني بَعْدَ التَّشاوُرِ والبُغْضِ
لقد أمستِ الأرحامُ منّا على شفا ... فأخْلِقْ بِمُشْفٍ لا يُعلِّلُ أنْ يقضي
رأيتُ مَخيلاتِ العُقُوقِ مَليحَةً ... فلا تجعلَنْ بَرْقَ الأذى صادقَ الوَمْضِ (٤)

---

(١) الديوان : ٤٢٢/٣ .
(٢) الديوان : ٨٣/١ . انظر ٢١/٢ ، ٦١/٢ ، ١٨٦/٢ .
(٣) الشريف الرضي : احسان عباس : ص ٧٧ دار بيروت ودار صادر - لبنان ١٩٥٩ .
(٤) الديوان : ٥٨٣/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ودافع الشريف عن والده في مواقف عصيبة كالموقف الذى تعرض فيه لهدم الوزير المطهر بن عبد الله الذى كان سببا في سجن والده اذ عير والده بفخره بأمجاد السابقين في قوله (كم تدل علينا بالعظام النخرة) . فرد عليه في قصيدة دالية طويلة ، عرض فيها موازنة بينه وبين والده قال فيها : -

نَحْنُ في عُصْبَةٍ ترى الجَوْرَ عَدْلا ... وَتُسَمِّي الضَّلالَ دارَ رَشَادِ
في رِجالٍ تَهْزَأ بوَفْدِ المَعالي ... وديارٍ تَسْطُو على الأوْرَادِ
إنَّما أنتَ نعمةُ اللهِ في الأرْ ... ضِ ، إذا كانَ نقمَةً للعِبادِ(١)

تغيرت الدنيا وانقلبت موازينها ،فساد الاشرار ،وأصبحت الديار ديار جور وضلال ، والأشراف لا يجدون مكانا لهم في ظل هذا الوضع المتردى . ولذا رفض الشريف الانصياعَ الى غير والدِه العادلِ المصلحِ فقال : -

لك الخَيْرُ لا أَرْضى بغَيْرِكَ حاكِماً ... عليَّ ،ولا أُعطي القِيادَ زَماني(٢)

لا يصلح الملك الا بوالده الذى انحدر من أرومة المجد ،والده الذى جسد الأصالة والفروسية ،المنقذ لهذا الوضع المتردى ، المصلح الاجتماعي الذى يرد للعدل بناعته فقال : -

وما زِلْتَ تَعْدِلُ في الغادرينَ ... حتى انتصفتَ من الجائرِ(٣)

فهو رمز العروبة المفقودة وبطلها ، وقد تفوق على المجتمع حتى قال فيه : -

شَهِدتْ لَهُ خَيْلُ الخَواطرِ أنَّهُ ... خيرُ الصَّهيلِ ، وما سِواهُ نَهيقُ(٤)

أمسى أبوه من أكابر الثوار الذين هددوا ملك البويهيين ، مهمته تظهر من مفرقه ، ومن سيفه الذى يصول به ويجول في ساحة التخاذل والجبن ، فما ان تتامله الملوك حتى ترتعد فرصا وهيبة منه فقال : -

واذا تأمَّلَ شَخْصَهُ مَلِكٌ ... أَوْما إلى قَدَمَيْهِ مَفْرِقُهُ
لما رآكَ المُلْكُ منصلتا ... بالسَّيْفِ تؤعِدُه وتُبْرِقُهُ
استنكفَ التَّعْديلَ مَايلُهُ ... واسْتَرْجَعَ التَّحْكيمَ أَخْرَقُهُ(٥)

---

(١) الديوان : ٢٩٨/١ .
(٢) الديوان : ٥٠٠/٢ .
(٣) الديوان : ٣٤٤/١ .
(٤) الديوان : ٥٣/٢ .
(٥) الديوان : ٥٥/٢ - ٥٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حمل الوالد على عاتقه مهمة الإصلاح الاجتماعي ،فاخذ يهدد الخراب بالتحول والتغيير ليسود الحق ويعم الخير ،لذا رأى أن الخير لا يعتدل الا بالرجوع الى الماضي الذهبي المجيد الضائع ،الماضي الذى جسده أبو أحمد وعندها رأى الشريف أن والده كان يمثل الأمل الذى سيطهر الارض الخراب من التخاذل وهذا لا يتم الا بالعمل والفعل الحقيقيين لا التمني المسلوب فقال :

ولولا ابنُ موسى لم يكُنْ في زمانِنا ... معاذٌ لجانٍ ، أوْ مَحَلٌ لطارِقِ
ولا دَبَّرَتْ سُمْرُ القَنا كَفُّ فارسٍ ... ولا مُدَّ في رِزْقِ المُنى باعُ رازقِ
تَفَمَّدَنَا مِنْ كلِّ أرْضٍ بنَفْحَةٍ ... وأمطَرَنَا من كُلِّ جَوٍّ بوادِقِ (١)

قرن الشريف كثيرا حضور والده وأعماله الجليلة بالمطر العميم الذى يحمل الخصب والخير للأرض العطشى ،وتكررت مثل هذه الصور كثيرا ، كما ورأى أنه سيعيد لميزان العدل صحته بعد اعتلاله ، وانسان هذه صفاته لهو أحق بالملك من غيره ،لذا ندد بالمتمردين عليه ،والذين ملكوا الامر دونه فصرخ فيهم : -

خَلّوا الطَّريقَ لِمَنْ تَعَوَّدَ ... سَوْدَ أن تُجَرَّ بِهِ خميسا
ودَعُوا السِّياسةَ في العُلَى ... لأغَرَّ يُحْسِنُ أنْ يَسُوسا (٢)

يبدو أن والده فعلا كان يتمتع بسلطة قوية ،وضغط سياسي هائل ،والا لما تجرأ ودعا السياسيين الى التنطل عن مطالبهم، أبرز الشريف كثيرا سلطته السياسية في مدائحه له وفخره به ، وبدت أيضا في شخصيته شخصية الابن الذى استمد هذه القوة من الاب والزعيم السياسي ، لا سيما وأنه احد غراس والده كما تبجح كثيرا .

تأمل الشريف الفساد الذى عم العراق ،وخاصة منطقه الكرخ الدينية ،فوجد والده يحاول انقاذ الناس من هذا الخراب ،فأبرزه بطلا منقذا مهديا منتظرا تنتظره الامه والارض اليباب ليرد اليها بناءتها ، وأريجها الحر ، فشن حربه على الفساد والخراب فوصفه قائلا : -

ولا كُنْتَ تَرْضى أنْ تَصِحَّ بِبَلْدَةٍ ... اذا قيلَ : عُضْوٌ في زمانِكَ فاسِدُ (٣)

وفي وقت غلب عليه حلم اليقظة بانتظار المهدى الغائب ،والوالد الغائب في سجنه ،تخيل المهدى والده اذ كان معه على موعد ،موعد خروجه من سجنه أو عودته من سفره ، ليعود للوطن مرة آخرى ويبث فيها الحياة من جديد ،فاستقبله عند دخوله بغداد : -

---

(١) الديوان : ٥٩/٢ . انظر ٤٢١/٢ .
(٢) الديوان : ٥٥٦/١ . انظر ٤٣٣/١ .
(٣) الديوان : ٣٠٧/١ . وانظر ٢٩٤/١ - ٢٩٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طلوعَ هداهُ إلينا المغيـــــب ويومٌ تمزّقُ عنهُ الخطـــوبُ
قَدِمْتَ فَدُومَ رقاقِ السّحـــــا ب تَخْطُ والرّبع رَبْعٌ جَديـــبُ(١)

استبشر الشريف بعودته الميمونه المقرونه بالخير والخصب وكما رأينا من الجدول الذى بين شكل قصائده ، وجدناه ينتهز كل الفرص والمناسبات الاجتماعية يقدم له فيها قصائد المدح والتهنئة بالاعياد الاسلامية كعيدى الفطر والاضحى والاعياد الشيعية كيوم الغدير ، كما واستغل ايضا مناسبات السفر ،وفك السجن وحصوله على المناصب والالقاب وغيرها من المناسبات الاجتماعية المتعددة وفي كل قصيدة وجدناه يصر على تألق والده في ساحة السياسة والمجتمع المتخاذل ولا ينس أنه أحد أبنائه .

لذا أستطيع أن أقول : ان الابوة عنده كانت تتجاوز الأبوة المجردة ، فهي أبوة روحية ، اذ كان يرى فيه النموذج والمثال للابوة الحقة ، النموذج والمثال للثورية والزعامة العربية ، كان يرى فيه الزعيم الروحي الذى ما فتىء تلاميذه يتغنون بالانتماء اليه ،فدخل عليه في عيد بقصيدة يقول فيها : -

أُهنّيكَ بالعيدِ الجَديد تعِلّـــةً وغَيْرُكَ بالأعيادِ يَلْهُو ويَلْعَبُ
فلا زالَ مَمْدوداً عَلَيْكَ ظِلالُـــهُ ولا زِلْتَ في نَعْمائِهِ تتقلّـــبُ(٢)

لكأني به يتصوره خليفة أو ملكا لابد من تهنئته في كل مناسبة ،وبالتالي لا تتصف علاقتهما بالمصانعة والمنفعة الذاتية قدر ما كانت علاقة اجتماعية قائمة على المودة والمحبة من جهة ، وعلى الاحساس الروحاني من جهة أخرى ،وكان يريد حمل هذه العلاقة الاسرية محمل العلاقات الاجتماعية المغلفة بالطابع السياسي.

ب - الأمومة

الأمومة عند الشريف ثانية العلاقات الاسرية الخاصة أهمية بعد الأبوة ، ومما يلفت النظر حقا أنه لم يتحدث عن أمه بشيء الا ما كان من مرثيته الهمزية فيها.

أما والدته فهي فاطمه بنت الحسين بن الناصر الاطروش ، والدها كان سيد العترة الزيدية ورئيسها ، كانت على قدر واف من الدين والادب والخلق الرفيع ، اذ رعت أولادها حق الرعاية في غياب زوجها ،وعملت جاهدة لتعليمهم كما رأينا . فقامت مقام الاب والام في الرعاية والحنان والعطاء ،لذا تميزت عن باقي النساء كما رأى الشريف فقال فيها : -

---

(١) الديوان : ٧٥/١ - ٧٦ .
(٢) الديوان : ٨٢/١ . انظر الديوان : ٨٨/١ ، ٩٧/١ ، ٢٩٢/١ ، ١٥٤/٢ ، ١٦٠/٢ ، ٤٢٢/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لَوْ كانَ مِثْلُكِ كُلَّ أُمِّ بَـــرَّةٍ ... غَنِيَ البَنونَ بِها عن الآبـــاءِ
كَيْفَ السُّلُوُّ وكُلَّ مَوْقِعِ لحظـــةٍ ... أثَرٌ لِفَضْلِكِ خالدٌ بِإزائـــي (١)

كانت مثالا للأم الصالحة بما اتسمت به من فضائل وقيم سامية ، من عفـــة وزهادة وتهجد اذ قال : -

أنْضَيْتِ عيشَكِ عِفَّةً وزهـــادةً ... وطُرِحْتِ مُثْقَلَةً مِنَ الأعبـــاءِ
بصيامِ يَوْمِ القَيْظِ تَلْهَبُ شَمْسُهُ ... وقيامِ طولِ اللَّيلَةِ اللَّيْـــلاءِ (٢)

لقد أعجبته الأم بمميزات أمه ،وعلق زكي مبارك تعليقا لطيفا على كثرة رثائه لامهات وبنات الوزراء بانه :(ابن أمه) (٣)

كانت وفاتها صدمة له ، فتكالبت عليه الهموم من كل حدب وصوب ، ففي العامين ٣٨٤ - ٣٨٥هـ كان قد فقد الكثير من أصحابه وأصدقائه ، اذ توفي فيهما الصابـــي وابن عبادٍ ، والسيرافي (٤)ثم ماتتْ والدته في زمن كانت ثورته السياسيـــة والاجتماعية تشهد فتورا ، ويبدو أنه كان يعيش حالة من الغربة والرفض لكـــل العلاقات الاجتماعية ، لذا بدت غربته واضحة في مرثيته لامه اذ قال : -

فبأي كفٍّ أستجِنُّ وأتقـــي ... صَرْفَ النَّوائبِ ، أمْ بأي دِعـــاءِ
ومَنِ المُمَوِّلُ لي إذا ضاقَتْ يدي ... ومَنِ المُعَلِّلُ لي مِـــنَ الأدواءِ
ومَنِ الذي إنْ ساورتْني نَكْبَـــةٌ ... كانَ المُوَقِّي لي من الأسْـــواءِ (٥)

بفقدها فقد النصير والدرع الواقي من الغد المجهول ومغيبات المستقبل ،الام التي حمته في أزمته اذ قامت بدور الام الممول وحملت على عاتقها تربية ابنائها والدفاع عنهم، فقد الصدر الحنون الذى كان يقاوم الشرور بادعيته المستجابـــة الام التي كانت ينبوع الحنان في زمن الخوف والقلق ، الام التي لايجد ملجأ الاهـــا في زمن عسرته .

لقد اصبح مع الناس في حرب ومع الموت ايضا ، اذ خطف والدته من بين يديـــه مما جعل اعداءه يتشفون بقلق فراقه، وقد لمسوا ضعفه وهذا مما يثبّط عزيمته فيما عقدَ عليه اذ قال :

أبْدي التَّجَلُّدَ للعدُوِّ ولو دَرى ... بتَمَلْمُلي لقدِ اشتَفَى اعدائي

---

(١) الديوان : ٢٧/١ .
(٢) الديوان : ٢٧/١ .
(٣) عبقرية الشريف الرضي : ٧٠/٢ .
(٤) الديوان : ٦٢٧/١ ، ٣٨٥/١٠ ، ٣٨١/١٠ .
(٥) الديوان : ٢٧/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لو كان يُدْفَعُ ذا الحِمامُ بقُـــوَّةٍ لتكدَّسَتْ عُصَبٌ وراءَ لِوائـــي(١)

تمنى لو انه يملك القدرة على محاربة الموت لانه سلب منه المحفز للثـــورة الام الصانعة للابن العظيم ، اذ كان لها الفضل الاكبر في حياته وتكوين فكـــرة فقال فيها : -

في كلِّ مُظْلِمِ أزْمَةٍ او ضيقَـــةٍ يَبْدو لَها أثَرُ اليَدِ البَيْضـــاءِ
ذَخَرَتْ لنا الذِّكْرَ الجَميلَ إذا انقضى ما يَذْخَرُ الآباءُ للأبنـــاءِ(٢)

ولا ينس الشريف ان أمه قد ورثت فضائلها الجميله وقيمها السامية التـــي قدرها المجتمع العربي لها ورثتها من آبائها وأجدادها الهاشميين الكرام ،فعـرج على ذكرهم ودورهم في اثراء ابنتهم من خلق كريم ونسب نقي فقال : -

آباؤكِ الغُرُّ الذين تفجَّـــرَتْ بهمُ ينابيعُ من النِّعَمـــاءِ
منْ ناصرٍ للحقِّ أوداعٍ إلـــى سُبُلِ الهُدى أو كاشفِ الغَمَّـــاءِ
نزلوا بعَرْعَرةِ السَّنام منَ العُلـــى وعَلَوا على الاثباجِ والأمطـــاءِ
من كل مُسْتَبِقِ اليَدَيْنِ الى النَّـــدى وَمُسَدِّدِ الأقْـــوالِ والآراءِ(٣)

أورثته أمه نسبا عريقا ، وقدمته له هدية خالدة ، وذكرا جميلا لا ينتهـــي ليفتخر به ،أعطته أصالة النسب الهاشمي العلوي فقال :

شهدَ الخلائقُ أنها لَنجيبَـــةٌ بدليلِ مَنْ وَلَدتْ من النُّجَبـــاءِ(٤)

استدل على نجابتها وعراقتها بنجابته وعراقته ، وهذا هو الذكر الجميل الذى حفظته له ، النسب الاصيل الذى انجب عظيما كنفسه . فعلاقته بأمه اذن كانت تتجـاوز الامومة المجردة لتصبح جزءا من رؤيته الاجتماعية الكبرى التي تقوم على التميـــز العرقي اضافة الى المركب العقدى الشيعي . فعلاقته بها كانت قائمة على أســـاس روحاني مغلف برؤية سياسية .

---

(١) الديوان ١/٢٦ .

(٢) الديوان : ١/٢٨ .

(٣) الديوان : ١/٢٨ ، ٢٩ .

(٤) الديوان : ١/٢٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ج - الأخـــــــــوة

أنجب الشريف ابو احمد ابنين اثنين ، وهما علي المرتضى ،ومحمد الرضـــي اضافة الى شقيقتين اثنتين هما خديجة وزينب[١] وكانا - اى المرتضى والرضـــي ينوبان عن والدهما في مناصبه ، الى ان افرد الرضي بها دون المرتضى وتحـــول المرتضى الى العلم والتاليف [٢]

بينما انصـــرف الرضـــي الى السياســـة والعلـــم ففلبـــت عليه السياسه .

وتحدث الشريف الرضي عن علاقة الاخوة التي تربطهما حتى بلغت قصائده فيهـــا ثمانيَ قصائد تنوّعت ما بين تهنئه بمولودات او تعزية بهن ،أو شكوى أو عتـــاب أو مدح .[٣]

ومن مناسبات قَوْلِ النّصوص ، نرى ان حالةً من الجفاء قد سادت علاقتهما بعض الوقت فتقارضا الشّعرَ بينهما للحديث فيها ، وعن اخطارِ هذه الوحشة ، ولكن دون ان تفصحَ عن سببها ، وربما تعود أسبابُ الوحشة هذه إلى الاسباب نفسها التي احدثت الجفوةَ بينه وبين والده بسبب موقف الشريف من القادر بالله والحكومه العباسية[٤] وبالتالي كانت سببا في صدور قصائد العتاب بينهما فقالَ يخاطب اباه واخاه :

فُقُلْ للعدى عُضّوا الأخامصَ إنّكُمْ ... تَعَرّقتُمُ الأيْدي عَليّ منَ العَضّ
هُمُ نقضوا ما قَدْ بنى أوّلوهُمُ ... وشِدْنا وهيهاتَ البِناءُ مِنَ النّقْضِ
ولا تُولجوا زَوْرَ العُقوق بيوتَكُمْ ... أُناشِدُكُمُ باللّهِ في الحَسَبِ المَحْضِ[٥]

استنشدهما الله في المحافظة على المودة والقربى ،ووصل به الأمر الى التهديد بقطع علاقته بهما، ان لم يتراجعا عن موقفهما ، ودهش الشريف لموقفهما السلبـــي منه ، لانهما أثلجا صدور الحساد والمتربصين له ولثورته كي تفشل ريحها فقال آسفا :

فعُذْراً لأعدائي، إذا كانَ أقربـــي ... يُشَبِّبُ من عودي ويعرُق منْ نَحْضِـــي
اذا مارَمي عِرْضي القريبُ بسَهْمِـــه ... عذَرْتُ بعيدَ القومِ إما رمى عِرْضي
ألَمْ يأته أني تَفَرّدْتُ بعْـــدَهُ ... روابيَ للعَلْياءِ جاشَ لَهُا نَهْضي
وكمْ منْ مَقامٍ دونَ مَجْدِكَ قُمْتُـــهُ ... على زَلَقٍ بَيْنَ النّوائبِ أوْ دحَـــضِ
لقَدْ أمسَتِ الأرحامُ منّا على شفـــا ... فأخلِقْ بمشفٍ لا يُعلّلُ أنْ يقضـــي

---

(١) ديوان الشريف الرضي : تحقيق عبد الفتاح الحلو : ٣١/١ .
(٢) وفيات الاعيان : ٣١٣/٣ - ٣١٧ .
(٣) الديوان: ١٥٤/١ ، ٢٥١/١ ، ٣١٣/١ ، ٣١٧/١ ، ٣٢٤/١ ، ٤٦٥/١ ، ٥٨٢/١ ، ٦١٠/١ وهناك قصيده في رثاء اخته الديوان ١٥٩/١ .
(٤) شرح نهج البلاغة : ٣٧/١ .
(٥) الديوان : ٥٨٤/١ - ٥٨٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أُناديكَ فارْجِعْ مِنْ قَريبٍ ،فانَّني إذا ضاقَ بيْ ذَرْعي مضَيْتُ كما تَمْضي (١)

اسف الشريف على موقفهما منه ، وذكّرهما بأنهُ قد دافع عنهما في المواقف والازمات الصعبه ، كما وانه لاينسى ان يفخر بنفسه حتى وان تخليا عنه ،ويبدو انه كان يوجه خطابه لأبيه اكثر منه لأخيه ،لانه قد ناب عن والده في كثير من الامور .

وحاول الشريف أنْ يحمي هذه العلاقه مما يكدرها بعد أن وصل السيل الزبى فترجاهما أن لا يوغلا في الجفوة والوحشه وان يستمرا في عقوق الأرْحامِ ،وعندها لا ينفع الندم واكد لهما بأنه لم يرتكب ذنبا في حقهما فقال : -

أفوّقُ نَبْلَ القَوْلِ بَيْني وبَيْنَهُ فيرْلُمني مِنْ قَبْلِ نَزْعي بها عِرْضي
وأرْجِعُ لَمْ أُولِغْ لِساني في دَمي ولَمْ أُدْمِ أعْضائي بِنَهْشي ولا عَضّي
إذا اضْطرَمَتْ ما بين جَنْبَيَّ غَضْبَةٌ وكانَ فَمي يُمضي منَ القَوْلِ ما يُمْضي
شفَعْتُ على نفسي بنفسي فكفكَفْتُ
من الغيظِ واستَعْطَفْتُ بَعْضي على بعضي (٢)

حَفِظَ الشَّريفُ المودةَ والقربى وأبت نفسه انْ يهاجمَ اهلَه ، وكان أبوه واخوه اولى بحفظ الموده وصلة الرحم - كما يرى - لفضلها او لكبرهما في السن (٣) ما سبق يؤكد ان الجفوه كانت على اثر الموقف الذى حدث مع القادر بالله .

ولكن الرضي لم يكن بأفضل من المرتضى في دعوته لاصلاح الحال والعوده لصفو الموده ، فقال المرتضى في قصيده بعث بها الى اخيه يطلب فيهما عودة العلاقة :

وكُنْتُ على ماجَرَّهُ الهَجْرُ مُمْسِكاً بِحَبْلِ وَفاءٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ العَقْدِ
أمينٌ نَواحي السِّرِّ لَمْ تَسْرِ غَدْرَةٌ بِبالي ،ولَمْ أحْفِلْ بداعِيَةِ الصَّدِّ
اذا تَرَكتْ يُمنى يَدَيْكَ تَعلُّقي فيا لَيْتَ شِعْري مَنْ تَمَسَّكُ مِنْ بَعْدي
فَلُمَّ نُعِدْ صَفْوَ الوِدادِ كما بَدَا إعادَةَ مَنْ لَمْ يُلْفِ عَنْ ذاكَ مِنْ بُدِّ (٤)

أكد المرتضى له أنه قد حفظ أسراره ولم يغدر به حتى في حالة الجفاء ،وانه كان له الساعد الايمن في كل أمر من أمور الدنيا ولكنائي به يقول له انه في حالة الجفاء هذه قد خدمه ، وكان نصيرا له في كل اتجاهاته . هذا مما يؤكد فعلا أن سبَب الجَفْوة كان تقيةً وخوفا من القادر ، وأجابه الرضي على أبياته مؤكدا سلامة مودته فقال :-

---

(١) الديوان : ١/٥٨٣ - ٥٨٤ .
(٢) الديوان : ١/٥٨٥ .
(٣) الديوان : ١/٥٨٤ .
(٤) ديوان الشريف الرضي : ١/٣١٩- ٣٢٠ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

مَنَحْتُكَ ما عِنْدي مِنَ الصَّدِّ مُعْلِنـــا ... وعَقْدُ ضَميري أَنْ أدومَ على الوُدِّ
ولَمْ أَعْدُ محلولَ اللِّحاظِ طلاقـــة ... وقلبيَ معقودٌ الجَنانِ على الحِقْدِ
وقَدْ كنت أبْغي رتبة بعدَ رتبـــةٍ ... فآنفُ لي مِنْ أنْ أفوزَ بها وَحْدي
حِفاظا على القُرْبى الرؤوم ،وغيـرَه ... على الحسب الداني، وتُبْقيا عَلَى المَجْدِ
وكَمْ سُخْطٍ أمسى دليلا إلى الرِّضـــى ... وكم خطإٍ أضحى طريقا إلى عَمْـدِ (١)

وذهب محمود الجادر الى أن هناك تنافسا خفيا بينهما على المناصب التي كان يتولاها الرضي دون المرتضى ، مما جلبت له الغربة الأخوية ، بدليل أن الرضـــي أكد له أن نفسه كانت تأبى المناصب ان لم يشاركه فيها المرتضى(٢)

قد يكون في هذا شيء من الصحة ، ولكن زكي مبارك رأي أن هناك سببا اخر لـه وزنه كانوراء تلك الجفوة،ويعود الى طبيعة كل منهما ، فكان الرضي سياسيا بحتا تشغله السياسة وأمورها ، بينما كان المرتضى رجل علم ولم تشغله أمور السياسة ولكن شغلهُ عالمَ التاليف .(٣)

هذا الرأي له ما يؤيده اذ كان الشريف يعد لثوره تملأ الدنيا ، وبث الدعاة في البادية ،وبحث عن النصير ، وكان يريد من أخية النصرة بينما كان أخـــوه يأبى عليه لانه بعيد عن عالم السياسة وحيلها ، قريب من عالم المصانعـــة والمجاملة ، فاعتزل الدفاع عن ملة الشيعة وفئة العروبة ،واكتفى بالتأليـف الفكرى العلمي البحت دون اعطاء أى صبغة اجتماعية أو سياسية لعلمه . وفي هذا الرأى دعم للرأى السابق في أن الجفوة بينهما حصلت على اثر موقفهما من القادر باللـه والخلافة .

ويبدو ان الجفوة التي كانت بينهما كانت جفوة آنية مرهونة بأسبابهـا فاستغل الشريف كل المناسبات الاجتماعية ليتقرب من أخيه ويؤكد على حسـن علاقتهما . فكانت قصائدهُ إما تهنئةً ،أو تعزيةً أو عتابا ... الخ .

وفي كل قصيدة كان يركز على علوّ نسبه ، وعراقةِ أصله ،وكرامةِ منبتـه، وضمن الأخوة رثى الشريفُ إحدى أختيه في مرثية طويلة ، بدأها على نهج القصيـدة التقليدية منْ وقوفٍ على الديار ... الخ وعرج فيها على قصة الصّراع بَيْنَ المَـوْت والحياة ثم وصل إلى بكاء شقيقته ، وما لحق به من غم وكمد لموتها ووصفهـا بالعفاف والتقوى فقال فيها :-

---

(١) المصدر نفسه : ١/٨ ٣ .
(٢) الروى الاجتماعية والأخلاقيه في شعر الشريف الرضي : -
" ضمن كتاب الشريف الرضي دراسات في ذكراه الالفيه " . - ص ١٣٨ .
(٣) عبقريه الشريف الرضي : - ٢/٢٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ودونَ كلِّ حجابٍ ... مِنَ العَفافةِ حُجْبُ
وقبرُكِ الصَّوْنُ مِنْ قَبْلِ ... أنْ يَضُمَّكِ تُرْبُ
أجِلُّ قَبْرَكِ عَنْ أنْ ... أقولَ حيَّاهُ رَكْبُ
أو أنْ أقولَ سقاهُ ... صوْبُ الغمامِ المُرِبُّ
إلا لِحاجةِ نَفْسٍ ... تَهْفُو إلى البلْءِ وتَصْبُو (١)

ففي مرثيته لاخته لم يتجاوز حدود رثاء الاخ للاخت ووصف حزنه عليها ولم يعطها أية صبغة اجتماعية او سياسية .

د. البيْـــوة :

لم أعثرْ في ديوانه على اية قصيدةٍ قالها في البيْوة ، وكذلك ايضا لم أعثر في ديوان أخيه المرتضى ، ربما يعود ذلك الى ان الشريف لم ينجبْ إلا في أواخر حياته عام ٤٠٠هـ عام وفاة الوالد العظيم ، إذ أنجبَ ذكرا اسمه عدنان ، وتلقب بالطاهر ذي المناقب ،لقب جده . وتولى نِقابةَ الطالبيين بعد وفاةَ عمه المرتضى ، وهو الذى جمع ديوان والده الشريف الرضي (٢)

ولم يهنأ الرضي بعدنان أو غيره ،ربما لأن الأُسرةَ كانت تمرُّ في مأساةٍ فقدان الوالدِ الأكْبر .

كما واشارت المصادرُ أيضا الى أنه وُلدَ للشريف غلامٌ ، فبعث الوزيرُ فخرُ الملك مبلغا من المال هديةً ، فردَّها الشريفُ ، وأبى قبولها (٣) نستدل من هذه الحادثة أن الشريف قد وُلِدَ له غلامٌ آخرُ ، ولكنه لم يشر اليه ، ربما مات هذا الغلامُ صغيرا لانُ المصادرَ في الوقت نفسه لم تشر الى أن الشريف عقَّب الا عدنان،وعدنان هذا لم يعقب ايضا وبموته انتهى عقب الشريف الرضي . (٤)

---

(١) الديوان : ١٦٣/١ .
(٢) الكامل . ٤٠/٨ المنتظم : ١١٩/٨ . البداية والنهايه ٥٦/١٢.
(٣) شرح نهج البلاغة : ٥٢/١ - ٥٣ .
(٤) ديوان الشريف الرضي : مقدمة المحقق . ص٢٨ . نقلا عن الدرجات الرفيعة - ابن معصوم ص ٤٨٠ . روضات الجنات ،٢٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيـــا : العلاقـــات الاسرية العامـــة :

لا أملُّ من تكرار أنَّ الشريف طالبيٌّ ، ومن فئة اجتماعية كانت تحتل مساحـــة واسعةً في رقعة المجتمع العربي ، هذه الأسرة التي تربَّتْ على قيمٍ توارثتها مـــن السلف الصالح ، من الرسول صلى الله عليه وسلم - وصهره العظيم علي بن أبـــي طالب ، مما جعلها تحس بالتفوق العربي الإجتماعي ، وتعاني من الظلم الاجتماعـي والسياسي الذي مُنيتْ به على مدى التاريخ ، فكان الشعراءُ أكثرَ الناس احساسا بثقل المأساة ، لذ فلا دهشةَ من اهتمام الشريف الرضي بالعلاقات الأُسرية العامة لانَّ الأُسرةَ الأسريةَ كما يراها الجادر : (قاعدةٌ راسخةٌ للوحدة الاجتماعيـــة وأنَّ الأواصرَ الأخرى لا تضاهيها في هذا الميدان)(١)
لذلك كان الشريف يردد قوله :

وما أنا بالمُغْضي على ما يَعِيبُنـــي
ولا أنا عَنْ وُدِّ القريبِ أحـــولُ(٢)

أحس بقدسيه الانتماء إلى الاسرة الهاشمية تجلت في رثائياته للحسين بن علـي في يوم عاشوراء ، أو في تهانيه لوالده يوم الغدير(٣) فقال مخاطبا :

يا غيرةَ اللهِ اغْضَبي لِنَبيِّـــه ... وتَزَحْزَحي بالبيضِ عَنْ أغْمادِهـــا
يا جَدُّ لا زالَتْ كَتائِبُ حَسْـــرَةٍ ... تَغْشَى الضَّميرُ بِكَرِّها وطِرادِهـــا
أبداً عَلَيْكَ،وأدْمُعٌ مَسْفُوحَـــةٌ ... إنْ لَمْ يُراوِحْها البُكاءُ يُغادِهَـا(٤)

وظلَّ الشَّريفُ يعدُ جَدَّه بالثورة ، الثورةِ التي كان يسعى لتحقيقها في مهرجان الحزنِ والأسى والبكاء في يوم كربلاء . لذا اهتم كثيرا بعلاقاته الاسريه وأكـــد على انتمائه لها بين الحين والاخر ، وغدغه الشعور بعظمه الانتماء اليهـــا والإحساس بالتفوق متخذا من القاعدةِ الأسريةِ الكبرى دعما له فقال :-

انا مَوْلاكُمُ،وإنْ كُنْتُ مِنكُـــم ... وَالدي حَيْدَرٌ ،وأُمِّي البَتُـــولُ
وإذا النَّاسُ أدْرَكُوا غايَةَ الفَخْـ ... ـرِ شآهُمْ مَنْ قال : جَدِّي الرَّسُـولُ(٥)

---

(١) الرؤى الاجتماعيه والاخلاقية في الشعر الشريف الرضي : ١٦ .
(٢) الديوان : ١٩٣/٢ .
(٣) الديوان : ٤٤/١ ، ١٠٧/١ ، ١١٥ ، ٣٦٠/١٠ ، ٤٨٧/١ ، ٤٨٩/١ ، ١٨٧/٢ .
(٤) الديوان : ٣٦٣/١ - ٣٦٤ .
(٥) الديوان : ١٩٠/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نبعت عظمه التفوق الأسري عنده من احساسه بنقاء عنصره اذ ينتسب للرسول - صلى الله عليه وسلم - وهذا مما جعله يعطف على قومه ويحدب عليهم وان كانوا محنيي الضلوع عليه من بغضه وعمل الشريف على صفاء العلاقة ونقائها وتخليصها من كل كدر وشائبه فتوجه اليهم مخاطبا :

بني عمي، وعز علي يميني ... منَ الضراءِ، مالقيت شمالي
أعود على عقوقكم بحلمي ... إذا خطر العقوق لكم ببالي
أروني من يقوم لكم مقامي ... أروني من يقول لكم مقالي
ومن يحمي الحريم من الأعادي ... ومن يشفي من الداء العضال(١)

وضع أسسا للعلاقة الأسرية تستند اليه وهي القربى والمودة الخالصة من كل عقوق أو خذلان . وأخذ الشريف على عاتقه هم الدفاع عنه ،لذا بدا من الضرورة الاهتمام بالعلاقات الأسرية ،كما وبدا مغرما بتشذيب النمط الاسرى للوصول به الى النموذج الاعلى ، ولتحقيق ذلك دعا قومه الى التسامح والتكافل والالتفاف حوله للوصول بهم إلى قمةِ المَجْد الأسري والبثار لجدّهم الأعلى ،والإسيتنكب عن مهمته وسيقابل الاساءة بالاساءة اذ قال : -

سأبلغ بالقلى والبعد عنكم ... مبالغ ليس يبلغ بالآلال
فمن لا يستقيم على التصافي ... جديرٌ أنْ يقومَ بالتقالي(٢)

هددهم الشريف الرضي من مغبةِ الخذلان ولكنهُ فوجئ بتخاذل أسرته عن نصرته، ليس ذلك فقط بل أضمرتْ حقدا عليه ، على المصلح الاجتماعي القوى الذى جاهر بأفكاره ، وثورته في حين انسل الاقوياء يمسحون بردة السياسيين ويتزينون بثوب الولاء والمجاملة تحت شعار مبدأ التقية فقال :

لويْتُ إلى وُدّ العشيرةِ جانبي ... على عظْم داءٍ بَيْنَنا متفاقمِ
وَنِمْتُ عن الاضغان حتى تلاحمت ... جوانفُ هاتيكَ النّدوبِ القدائمِ
وقلّمْتُ أظفاري،وكُنْتُ أُعِدّها ... لتمزيقِ قُرْبى بيننا والمَحارِمِ
وَرَوّحْتُ حِلمي بعدَما غرّبَتْ بِهِ ... ذنوبُ بني عمي غُروبَ السّوائمِ(٣)

---

(١) الديوان : ١٧٦/٢ .
(٢) المصدر نفسه : ١٧٦/٢ . الآلال : السلاح .
(٣) الديوان : ٤٣٣/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد اهتم الشريف كثيرا بنسبة العريق ،فعلى الرغم من خذلان قومه له وحقدهم عليه الا انه ظل على ولائه لهم ليحفظ الاسره الكبرى من الانحدار والانزلاق الى الحضيض ،ورث الشريف هذا الاحساس وهذه القيم من اجداده فقال مفتخرا:

إنّ أميرَ المؤمنينَ والِدي ، حَزَّ الرِّقابَ بالقَضاءِ الفاصِلِ
وجَدّي الشّبْثُ في آبائِهِ ، عَلا ذُرَى العَلْياءِ والكواهِلِ
فمَنْ كأجدادي إذا نسبتَني ، أمْ مَنْ كأحيائي أو قبائِلي
منْ هاشمٍ أكْرَمَ منْ حجّ ومَنْ جَلّلَ بَيْتَ اللّهِ بالوَصائِلِ (١)

استغل الشريف كل المناسبات الدينية والاجتماعية التي تعيش لحظاتها الدوحة الهاشمية ،والعصبة العربية كمناسبات الاعياد الاسلامية ،والاعياد الشيعية ليبرز الاسرة الهاشمية النموذج الثوري ،لم ينسها في رثائياته للحسين بن علي وفي فخرياته مدائحه للشخصيات العربية عامة ، ولوالده خاصة ، كما وجعلها في غرة قصائده ، وفي كل مرة كان يسعى الى ابراز أسرته وجعلها نموذجا أسريا نقيا من كل شائبة تشوبها ، قدوة للأسر الأخرى لتتمكن من فرض سيادتها بعد أن ورثت مقومات المجد الاسرى .

وسأتناول هنا بعض العلاقات الأسرية المهمة كالعمومة والخئولة ،اما علاقة العمومة فتعد من أهم العلاقات الأسرية العامة التي ذكرها الشريف ، فعمه هو ابو عبد الله أحمد بن موسى الموسوى سجن مع أخيه ابي أحمد (والد الشريف) في قلعة شيران بفارس عام ٣٦٩هـ وصودرت أملاكه ايضا (٢)

وضنت المصادر علينا بأخباره ، ولم تذكر له نشاطا سياسيا أو اجتماعيا كما كان الامر بالنسبة لأخيه . الا أننا نستطيع ان نبين ملامح هذه الشخصية التي يبدو أنها لم تكن أقل اهمية وخطرا من شخصية اخيه بدليل سجن صاحبها .

وللشريف قصيدتان في عمه ، احداهما قبلت لما سجن مع والده فذكره فيها مقرونا مع والده ، والثانية لما توفي عام ٣٨١هـ وعزى بها والده . وقال يخاطبهما في سجنهما : -

شقا بالإلهِ ،فإنّ الزّمـا نَ يُعْطي أمانَاً ويعطي حِذارا
اذا سألَم المَوْتُ نفسَيْكُما فلا حارَبَ الدّهْرُ إلا اليَسارا
أصابتكما نَكْبَةٌ فانجَلَتْ وعا وَدْتُما العِزّ إلا الدّيارا
تفرّق مالكُما في العِدى وشخْصُكما واحدٌ لا يُمارى (٣)

---

(١) الديوان :١٧٢/٢ - ١٧٣ .
(٢) الكامل : ١٠٣/٧ .
(٣) الديوان : ٤٤١/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سيطرت على النص ألفاظ التثنية مثل (ثقفا ،نفسيكما ،اصابتكما وعاودتما ،..... الخ) .

ولم يفرد عمه فيها ولو في بيت واحد من ابيات القصيده ذات الثمانيه والاربعين بيتا .

وبعد هذه القصيدة نجد الشريف قد تفرغ لمَدْح والده وذكرِ مُصيبته ونسيَ عمَّه ، وهذا الموقف طبيعي جدا. إذ كان يرى والده الزَّعيمَ والبطلَ المنقذَ ،أما عمه فما هو إلا أحدُ أنصاره . فمن غير المعقول أن يمدح الانصارَ ويعرض مشكلتهم وينسى الزعيم البطل الذى ما فتىء يحلم به منقذا ، وبعدها أسدل الستار عن عمه حتى توفى عام ٣٨١هـ فشارت شجونه ،واستعبرت عيونه فقال راثيا عمه ومعزيا أباه :-

حُسَامٌ جَلى عنه الزَّمانُ فصَمَّمَتْ
مَضاربُه حِينًا ،وعادَ إلى الغِمْدِ
سِنانٌ تَحَدَّتْهُ الدّروعُ بزُعفهِ
فبَدَّدَ أعيانَ المُضاعَفِ والسَّرْدِ
جوادٌ جَرى حتى استَبَدَّ بغايَةٍ
تُقَطِّعُ أنفاسَ الجيادِ منَ الجَهْدِ
لئن ثَلَمتْ مِنّي اللّيالي عشائِري
فما ثَلَموا إلا مِنَ الحَسَبِ العِدِّ
شجَوْني ولَمْ يُبْقوا لِعَيْني بلّةً
منَ الدّمعِ إلاّ استفرغوها مِنَ الوَجْدِ
عزاءَكَ ، فالأيّامُ أُسْدٌ مُدِلّةٌ
تَعُطُّ الفتى عَطَّ المقاريضِ للبُرْدِ
أرادَبِكَ الحُسّادُ أمْرًا فرَدَّهُ
عَليهِمْ سفاهُ الرأيِ والرأْيُ قَدْ يُرْدِي
فإنْ لاتصلْ تُصبحْ عداكَ كثيرةً
عليكَ ،وداءُ الطّعْنِ إنْ هبتَه يُعْدِي(١)

موت عمه لم يعن موت قريب وعم حبيب ،لكنه موت الحامي والنصير ،موت الاحساس بالتفوق الاسرى ، فتشفى الاعداء بوالده لموته لذا طلب الشريف منه (أى والده) الرجوع سريعا - لانه كان خارجا الى واسط ليستقبل بهاء الدولة - قبل أن يستفحل الخطر .

---

(١) الديوان : ٣٧٨/١ - ٣٧٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فعلاقتهما لا تقتصر على كونها علاقة أسرية او علاقة عمومة فقط لكنها علاقة فكرية ،إذ كان احدَ أقطاب الاسرة الموسوية ،وموته يعني ثلما في الفكرة الثورية .

أما الخئولة فعلاقة مهمة جدا بالنسبة له وذلك لأنها مرتبطة بالمجد الاسرى للشريف . اذ كان خاله أبو الحسين أحمد بن الحسين الناصر الاطروش زعيم الزيدية لذا جسد له النسب النقي ، والفخر السامق اذ كان بعض افتخاره فصرح : —

إذا مَدَحْتُكَ لَمْ أَمْنُنْ عَلَيْكَ بِهِ فالمَدْحُ باسمِكَ ،والمَعْنى بهِ نَسَبي(١)

تطاول عليه وافتخر بنسبة العريق وأسرته العتيدة ،فعتب عليه خاله لجرأته بالاعلان عن رؤيته هذه ،فجامله بقصيدة أخرى قال فيها معتذرا عما بدر منه :—

مالي تُسَفِّهُ أشعاري التي شَهِدَتْ أنّي ببعضِ فخارٍ مِنْكَ أفْتَخِرُ
يا ابنَ الذي شَبَارَى في نِدائِهِمُ أصْواتُنا ،إنْ عَزَّتْ أوطانُنا الغِبَرُ
إذا كَرَرْنا حديثاً منهُمُ اعترضَتْ تَجْلو قديمَهُمُ الآياتُ والسُّوَرُ(٢)

كما وأبرزه لنا نموذجا أسريا نقيا حوى كل القيم السامية من كرم الاخلاق وعلو الهمة ، وغاية التقوى ،ورفض الضيم . فطلب المجد بكل وسائله وكان وقومه كالسيوف على أعدائهم رافضين للذل والظلم فقال :—

هُمُ استخدموا الأملاكَ عزاً وأرهفوا بصائرَهُمْ بعدَ الرّدى والمَعاطِبِ
وهمْ أنزلوهُمْ بعدما امتَدَّ غيُّهُمْ جَماماً على حُكْمٍ مِنَ الدّينِ واجبِ
تسامَوْا إلى العزّ المُمَنّعِ وارتَقَوْا مِنَ المَجْدِ أنشازَ الذُّرى والغواربِ
على إرثِ مجدِ الأولينَ تعلّقُوا ذوائبَ أعْناقِ العُلى والمَناصبِ(٣)

انحدر خاله من سلالة النسب الهاشمية ،فخاله لا يمثل أنموذجَ الخئولة فقط ولكنه يمثل أنموذج النّسب الأسري ، أنموذج الثورة . فثمة علاقة تربطهما ببعض فهناك النسب الشيعي الهاشمي ، والنسب الثوري الرافض ففخر بالذي حاز شرفَ الانتماء الى الفئة الاجتماعية ، فالنسب وحده لا يعني شيئا ،وفي الوقت نفسه لم يك متعصبا لخاله كونه خاله فقط ولكنه لانه أحد أوجه الشريف الثوري .

---

(١) الديوان : ١٠١/١ .
(٢) الديوان : ٤٦٤/١
(٣) الديوان : ١٤٩/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكباقي العلاقات الاجتماعية استغل الشريف المناسبات الاجتماعية الخاصة بممدوحه ليتزلف بها اليه ويمدحه . فهنأه بقدوم مولودة قال فيها :-

واسْعَدْ بها واشكرِ الأقدارَ أنْ حملتْ
إليكَ قُرَّةَ العُجْمِ والعَرَبِ(١)

لقد بحث عن الاصالة التي تشوهت معالمها ، واطمأنت عند خاله ، فقد وصف المولودة القادمة بانها قرة العجم والعرب ، لانها ستحمل في مستقبلها نجيبا مثل الشريف الرضي تقَرُّبهِ أعينُ العرب والعجم. فالفاظه لم تكن سطحية او الفاظا بلاغية بقصد المجاملة فقط ، ولكنها كانت عميقة عمق الفكر الشيعي وعمق رؤيته الاجتماعية للجنس العربي عامة .

---

(١) الديوان : ١٠١/١ . انظر الديوان : ٤٦٤/١ . ٥٣٤/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا : ثورته على الواقع الاجتماعي

معاناة الشريف السياسية واحساسه بالظلم الاجتماعي ،ومن ثم علاقاته الاجتماعية مع كل فئات المجتمع أوحت له بالثورة على هذا الواقع ،وعلى النظام القائم على الظلم والتسلط ، فتأمل واقع المجتمع العربي ،وتحسس القيمَ السائدةَ فيها ومأطرا عليها من تحوير وتغيير وقد انقلبت موازين العدل ، وموازين القيم الاجتماعية ، فوصف الديارَ العربيةَ بواقعِها القيمي الجديد قائلا : -

نَحْنُ في عُصْبةٍ تَرى الجَوْرَ عدلاً ، وتُسَمّي الضَّلالَ دارَ رشادِ
في رجالٍ تهزّأ بوَفْدِ المَعالي وديارٍ تَسْطو على السُّوَّادِ(١)

شكا حال الأمة ، وما آلت اليه من اختلال قيمة العدل في نظر القائمين على أمور الامة وتابعيها ،فهب الرضي - كما رأينا - يدعو الى الوحدة لمواجهة الظلم ،والتفكك الاجتماعي في المجتمع العربي ،ولكن يبدو انه كان في كل محاولة يصطدم بمخطط البويهيين ، حيث كانت مصلحتهم تكمن في أن يرفض العوام دعوته ، وبالتالي يفقد الناصر والحامي وعندها تفشل ثورته ، فقال شاكرا في الناس (العوام) لمواجهة هذا المخطط: -

أيا للمَجْدِ منْ قَوْمٍ لِئامٍ ، الاحُرٌّ على عِرْضٍ يِفَارُ
فاشجعُهُمْ إذا فَزِعُوا ، جبانٌ وأذكاهُمْ ، اذا نطقوا خِمارُ
لبُوْنَكمُ تدُرّ لأبْعَدِ يكُمْ ، وعِنْدي الذين فها والنفارُ
لغَيْري ضوءُ نارِكُمُ ،وعندي دواخِنُها السّواطِعُ والأوارُ(٢)

ورأى الشريف أن خطة البويهيين قد نجحت في ابعاد العوام عن التفكير بأمر الوحدة العربية التي دعا اليها في ثورته السياسية ،وبخداع العوام بفشل ثورته ،وبأنه وأمثاله من الثوريين لم يحملوا عنهم همومهم ،وأنهم يريدون أن يوصلوهم الى الحضيض من أجل الصعود على أكتافهم ،وأن البويهيين وحدهم هم الذين يحمونهم من الضيم لا الثوريين كالشريف الرضي . وحتى تنطلي الحيلةُ عليهم أغرقوهم في المناصب والهدايا ، واستطاعت الدولة ان تبث في قلوبهم التملق والتزلف اليهم ، والتعالي والرفض لابناء الامة العرب الثوريين .

---

(١) الديوان : ٢٩٨/١ .
(٢) الديوان : ٤٧٣/١ ،الذين : العيب .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فذهش الشريف من موت إحساس قومهِ بالغيرة على المجد الآيل للدمار والتشويه ، ووصفهم بأنهم أناس فقدوا احساسهم بالانتماء الى قومهم ،والالتزام بقضايا مجتمعهم ، فحاربوا أبناء قومهم،ورفضوا أفكارهم.خذلانُ الناسِ للشريف في ثورته السياسية أوجدَ عنده الشعورَ بالغربة السياسية ، وبالتالي كانت غربةً اجتماعية عامةً إذْ أنالغربة السياسية احدى أوجه الغربة الاجتماعية .

ولما أحس بالغربة السياسية أى غربته الاجتماعية مع الناس بحث عن الصديق المخلص الذى سيحمله ثورته ، سيما وأن الصديق برأيه هو مرآة صديقه اذ قال في هذا المعنى .

تَشُفُّ خِلالُ المَرْءِ لي قبلَ نُطْقِهِ ، وقبلَ سؤالي عَنْهُ في القَوْمِ ما اسمُهُ(١)

فهو أعرف الناس باختيار صديقه لأنه أقدرهم على دخول قلوبهم وتفحص دواخلهم فالصديق الصالح خير من الأخ العاق فقال فيه : -

رُبَّ أَخٍ لي لَمْ تَلِدْهُ أُمِّـي ، بَنْفي الأذى عنّي،ويجلو همّي
ويُصْطَلي دونيَ بالمُلِمِّ إذا دُعِيتُ اشتَدَّ ماضي العَزْمِ
كأنَّ ما قالَ مُنادٍ باسمي(٢)

فاقتِ الصداقةُ الحميمةُ عنده الأخوةَ ، وهذا امر ليس غريبا ، لأن الاخوةَ ببساطة هي علاقةٌ مفروضةٌ على الانسان ، لكنما الصداقة علاقةٌ اختياريةٌ يختارها الإنسان بما يناسب روحَه وأفكارَه ، وبحث الشريفُ المصلحُ الاجتماعي والزعيم الثوريُ عن الصديق الناصر ، المجنِ الذى يحتمي به وقت المكاره خاصة بعد ان خذله العوام فشكا قلة الاصدقاء قائلا : -

مَنْ لي بغُرَّةِ صاحِبٍ لا يَسْتَطيلُ عَلَيْهِ عابُ
ما حارَبَ الأيّامَ إلاّ كانَ لي ولهُ الغلابُ
مَنْ لي بهِ ،يا دَهْرُ ،وَالأ يّامُ كالحةٌ غِضابُ
إنِ الصَّديقَ مُشَيَّعٌ ، إنْ جَلَّ خَطْبٌ أو خِطابُ
ويجود عَنْك بنَفْسِهِ والحَرْبُ تَقْرَعُها الحِرابُ(٣)

---

(١) الديوان : ٣٩٦/٢ .
(٢) الديوان : ٣٢٤/٢ .
(٣) الديوان : ١١٩/١ - ١٢٠ . انظر الديوان: ٤٧٦/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقد الصديق الوفيّ بمميزاته التي أرادها، الصديقَ النموذجَ في الوفاء، المدافعَ عن صديقه ببذل روحه رخيصةً من أجله ، لذا توجه الى نفسه يطهرها من النقائص ليجعلَ منها نموذجا يقتدى للصداقة ، فقال في رسالة كتبها لصديقه :

وإنّي ، إذا لَمْ أجدْ ناصراً ... وجدْتُكَ أنصرَ لي مِنْ يدي
على أنّني تُحفةٌ للصّديـ ... ـقِ يروحُ بنجوايَ أو يَغْتدي
وإني ليأنسُ بيَ الزائرونْ ... أتيسَ النّواظرِ بالإثمِدِ (١)

حرمانه من الاصدقاء الأوفياء جعله يتسامح مع اصدقائه المداجين والانتهازيين على كل هفوة من هفواتهم وان عظمت ،وردّ خلقه ذلك الى انه قد ورثه عن اجداده السابقين أصحاب الرسالات السامية ،فقال في قصيدة بعث بها الى صديقه صافحا عنه ذنوبه : —

ولو أنّني جازَيْت قوما بفعْلِهِمْ ... لألبستُهُمْ حَلْياً منَ البيضِ والسُّمْرِ
وأخلاقُنا ماءٌ زُلالٌ على الرّضى ... وان أُسخطتْ عادتْ على السخْطِ منْ صخرِ
غفرْتُ ذُنوبا منك أذكتْ عزايمي ... وكاد شهابُ السّخط يطلعُ منْ صدري
صفحْتُ وقد كانَ التغصّصُ ذا دنسي ... عن الصّفْحِ لكن أنتَ منْ كَرم البَحْرِ (٢)

لم ينس الشريف قضيته الاجتماعية أبدا ، وهي قضية النسب العربي ، النسب النقي ،اذ كان يرد غدر أصدقائه الى لؤم أصولهم فكان يقول : —

وأوّلَ لُؤمِ المَرءِ لُؤمَ أصولِهِ ... وأوّلُ غدْرِ المَرءِ غدْرَ خَليلِ (٣)

ظلت قضية الاصول تمثل أسس رؤيته الاجتماعية ، فكل شيء يعود الى أصله وظل الشريف يدور في ثنائية مؤلمة،بين حاجته الى الصديق المخلص ،النصير الحامي ، وحرمانه من وجوده ووده ووفائه،واذا ما قلّ الوفاء نسبَهُ الى غدر الزمان،فالزمان هو العامل المشترك بين الوفاء والغدر ،بين القبول والرفض بين الظلم والعدل ، ورأى ان الزمانَ مسئول عن العُدْر اذ كانَ قد غدَر به وبأجداده السابقينَ قبْلَ غدرِ الأصدقاء له ، إضافةً إلى قضيةِ الوراثةِ والنسب .

فخذلانَ العَوَامْ ونفاقُ الاصدقاء ، وجفوةُ الاخ ،وعقوقُ الاقرباء ، كل تلك الامور مجتمعةً جعلته يعاني الغربةَ الاجتماعيةَ ،واكثر من شكواها فقال : —

---

(١) الديوان : ٣٩٤/١ .
(٢) الديوان : ٥١٨/١، ٥١٩ . انظر ايضا الديوان : ٣٢٩/٢ .
(٣) الديوان : ١٥٢/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد غربتني حظوة الفضل عنكم وان جمعت أعراقنا شيعاتها
وما النفس في الاهلين الا غريبة اذا فقدت اشكالها ولداتها (١)

فقد الشريف شبيهه في الخلق الفاضل مما جعله يحس بالغربة مع مجتمعه وهو بين ظهرانيهم ،ورأى ان الفاضلين غرباء دائما في أوطانهم على اختلاف ازمانهم وهذا امر يحدث كثيرا مع الفاضلين الذين يعيشون الغربة الاجتماعية مع المجتمع الذى يريدونه ان يرتفع بخلقه ومستواه الاجتماعي ،فبذا عاش الغربة .

وهذا يذكرنا بقول جده الامام علي - رضي الله عنه : " فقد الأحبة غربة "(٢)

ولكن المجتمع المرتقب نصرته أبى الا ان يخذله فوصفهم : -

فما أرى إلا سوامًا همّلا أو صُوَرًا مذمومةً كالصُّوَرِ (٣)

وتأمل الشريف الرضي المجتمع العربي فالفاه ينقسم الى فئتين ،فئة تتمتع بالترف والنعيم ، وتعب في اللهو والمجون ، وفئة تعاني البؤس والحرمان والفاقة هذان الوجهان المتضادان اللذان انقسم اليهما المجتمع العربي سمح لكثير من العادات القبيحة والاخلاق المنافية للتعاليم الاسلامية والوجدان العربي بأن تسود وتشكل تركيبة قيمية جديدة .

وهذه المنظومة القيمية الجديدة شكلت مصدرا من مصادر الاغتراب الروحي عند الشريف ، وعاملا من عوامل الضجر من الحياة والزمن المتخاذل وشكوى الشيب.

وقف الشريف مليا مع قضية المال والغنى ، اذ رآهما من الشهوات المادية التي سيطرت على تفكير المجتمع وابعدته عن روحانية التفكير كما قال الامام - رضي الله - : " المال مادة الشهوات "(٤)

وبالتالي صار المال مصدرا من مصادر الاغراء والتفكيك الاجتماعي ، لابعاد المجتمع عن التفكير بامور السياسة والمجتمع ، وتجسدت سياسة البويهيين في اغراق الامة بوسائل الترف واللهو ،وفتح طريق المنافسة أمامهم للوصول الى الغنى.

رفض الشريف المال لانه كان سببا من أسباب سجن والده للحصول على أملاكه وأرزاقه ،كما وكان سببا في تهالك البويهيين على ملك الخلافة العباسية

---

(١) الديوان : ٢١٣/١ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٧٣/٤ .
(٣) الديوان : ٤٧٦/١ . الصور : الاعوجاج او آكال في الرأس ،دلالة على تشوه خلقهم .
(٤) شرح نهج البلاغة : ٢٦٩/٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبالتالي كانت سببا في تشويه الشخصية العربية والنزول بها الى الحضيض السفلي من القيم ، عنها جمع المال ورأى أن الفقر ليس عارا كما رآه العوام ولكنما العار في وجود المال غير المحمود اذ قال : -

ما الفَقْرُ عارٌ وإنْ كشَّفْتَ عوْرَتَهُ ، وإنّما العارُ مالٌ غيرُ محمودِ
تُلْفى أكُفُّهُمُ في كلّ نائبَةٍ مَلْوِيّةً بحبالِ البَأْسِ والجُودِ
إنْ صاحَ صائحُهم يومَ الوَغى هجَمُوا على السّوابقِ بالبيضِ المذاويدِ(١)

رأى أن المال وسيلة لا غاية ،والمال ان لم يكن في باب السخاء والجود فلا معنى له ، كما ويجب أن يعلم المال الانسان الشجاعة في الجود ،والجود بدوره لا يكون في المال فحسب ، وانما في بذل النفس رخيصة من اجل الحفاظ على الخلق الجميل ، ومن اجل الامة العظيمة فرفض المال وعده وجها من وجوه الذل في كثير من الاحيان ، والفقر يفضله في تلك الحالات فقال في ذلك : -

يُريدونَ الغِنى ،والفَقْرُ خيرٌ لنا إذا ما الذّلُ أعْقبَهُ الطّلابُ
وبَعْضُ العُدْمِ مأثَرَةٌ وفَخْرٌ وبَعْضُ المَالِ منقصَةٌ وعَابُ(٢)

نعى على الامة لهثها وراء المال ، وركضها وراءه دون أدنى اهتمام بالواقع المؤلم الذى كانوا يعيشونه ، ومأطراً على علاقاتهم الاجتماعيه من تغير وفساد ورأى ان المالَ يمكن ان يعكسَ القيمَ فيصبحُ الغنيّ ذليلا ،والفقيرُ أبيا ،اذ كان المال هو المحك الذى يكشف معدنَ الانسان فقال : -

إذا قلّ مالي قلّ صَحْبي ،وإنْ نَمَا فلي منْ جَميعِ النّاسِ أهلٌ ومَرْحَبُ
غِنى المَرءِ عزٌ ،والفقيرُ كأنّهُ لدى النّاسِ مهنوءُ المَلاطينِ أجْرَبُ(٣)

---

(١) الديوان : ٣١٤/١ .
(٢) الديوان : ١٢٥/١ .
(٣) الديوان ٨٠/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فلسف الشريف نظرته الى المال فلسفة فكرية ضمن رؤيته الاجتماعية اذ عده نوعا من الكفر والشر فقال(١) :

أنا للجود مذ خلقت خليق ... وحبست خالقي بما خلقني
خلقي ذاك والتخلق ضد ... الخلق خلق ذاك والتخلق
أخرز المال للعطا بحر العيال ... وأرى جمعي الثراء اتهاما لرازقي

رفض الشريف أن يكون عبدا للمال لأنه وسيلة في الحياة لا غاية ، وعد جمع المال كفرا واتهاما لله على عدم ضمان الرزق في المستقبل الآتي اذ قرن المال بالتوحيد ،لذا لا يجوز أن يوحد ويعبد غير الله ، فالمال ان حصل له لن يدخره ولكن سيبذله ،لذا نصح مدخري المال بالبذل والعطاء .

ورد عزيز جاسم فلسفته الفكرية للمال الى أنه قد ورث هذه الروّية للمال من أجداده الشيعة .(٢)

كما وهاجم البخل لأنه ليس من شيم العرب ،لكنما من القيم المستحدثة التي دخلت اليهم بدخول العجم الى السلطة فقال في بعض الأغراض ، ويبدو أنه كان يعرض بالبويهيين وبقيمهم ، اذ قال رافضا التحول عن قومه اليهم : -

أأذهب عن قوم كرام أعزة ... الى جذم قوم عاجزين بخال
كمن بادل الإجلاء في العين بالقذى ... وآب بداء لا يطب عضال(٣)

رسخ في ذهنه وأذهان العرب بعد انتشار الشعوبية ،وبعد كتاب بخلاء الجاحظ أن الفرس هم قوم بخلاء ، ومن غير الممكن أن يترك الشريف قومه الأعزة الكرماء ويتحول الى قوم عجزه بخلاء وفي هذا تعريض بالمجتمع الفارسي وقيمهم .

أفرز الوضع الاجتماعي المتردى قضية الغنى والفقر ،وتبعا لها انقسم المجتمع الى قسمين : قسم ارستقراطي ،وقسم محروم . هذا التقسيم دعا الكثيرين من العوام الى اختراق اللصوصية ،والانخراط في فئة العياقرين والشطار ،اذ كانوا بثورتهم هذه يتحسسون العدالة الاجتماعية ويدعون الى الوشام الاجتماعي ،وان أخطأوا النهج

---

(١) الديوان : ٦٢/٢ . انظر الديوان : ٥٧/٢ .

(٢) الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي : عزيز جاسم : ١٢٥ .

(٣) الديوان : ٢٥٤/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا مما يدلنا على انشغال الناس بالمال ومحاربة الفقر ،لذا تجاهل الشريف الحديث عن فئة العيارين واللصوصيين لانه لم يراد

الاينسى الناس ما هم فيه من كرب . والمال سبب كبير للنسيان ، لذلك ظل يذكرهم بهذا دائما ، ولم يكن يهمه من الغنى سوى أن يعزف الناسُ عنه وعن جَمْع المال كي لا تفسدُ أرواحُهم وتنطفىءُ روحُ الثورةِ فيهم ، فقال رافضا المال في هذا الحال : -

إنّي لَتَحْقُنُ ماءَ وجهي همتي ... مِنْ أنْ يُراقَ على يَدي بأيادِ
مما يقلّلُ رغبتي أنّي أرَى ... صفدي ببذلِ المالِ مثلَ صفادي
والمالُ أهونُ مطلبا مِنْ أن أُرى ... ضَرِعا أُرامي دونَهُ وأُرادِي (١)

لم تؤثر فيه أفكار البويهيين ،وقيمهم الاجتماعية الرديئة ،ولم تغير من سلوكه الشورى . واستنكر أن يقوم المال بدور المثبط لعزيمته ، وثورته السياسية ،اذ كان المال وقتئذ سلاحا رابحا في أيدى البويهيين . من هذا المنطلق وجه الشريف حربا عنيفة على المال لأنه كان يقف عائقا امام تقدم أمته وتميزهم الخلقي ، وتفوقهم الاجتماعي ، فأبت نفسهُ التمرغَ على عتبات السلطان من أجل المال ، ومرت حوادثٌ كثيرةٌ تؤيد عفتَهُ وإباءَه ، عرضنا بعضا منها ،وهذا لا يعني أنه كان يؤثر الفقرَ دائما ، أو بالأحرى كان يرفضُ الغنى دائما ، فهو رفضَ المال المقترن بالذل على رأى الامام علي - رضي الله عنه " فالغنى في الغربة وطن ،والفقر في الوطن غربة "(٢)

فالمال يوصل الى المجد ، وقد يشترى به الانسان عزّتَهُ فقال : -

قد يَبْلُغُ الرّجُلُ الجبانُ بمالِهِ ... ما لَيْسَ يبلغُهُ الشّجاعُ المُعْدَمُ
لا تَخْدَعَنّ عنهُ فرُبّ ضريبةٍ ... ينبو الحُسام بها ويَمْضي الدّرْهَمُ (٣)

وهذا الشريف موقف الوزير أبي العباس عيسى بن ماسرجس من منصب الوزارة ، اذ بذل الكثير من المال ليصل اليه فقال :-

---

(١) الديوان : ٣٣٨/١ . الاياد : النعم والمال . صفدى : عطائي . صفادى : وثاقي . أرادى : أدارى . ضرعا : ذليلا - انظر الديوان : ٣٣٤/١ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٦٨/٤ .
(٣) الديوان : ٣٢٥/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اشْتَرِ العِزَّ بِمَا بِيـــــــــعَ ،فَما العِزُّ بِغَـــــــالِ
بِالقِصَارِ القِصَرِ ، إنْ شِئـــــتَ أو الشَّهرِ الطِّـــــوالِ
لَيسَ بِالمغبُونِ عقـــــلا مَنْ شَرَى عِزّاً بِمـــــالِ
إنّما يُدّخَرُ المـــــا لُ لِحاجاتِ الرِّجـــــالِ
والفتى مَنْ جَعَلَ الامـــــوالَ أثْمانَ المعالـــــي(١)

دعا فيها الى استرخاص الأموال في سبيل المجد والمعالي ، وعندها يكون جمع المال صحيحا لانه يرفض الذل ويدفعه .

كما وسعى الشريف الى تأطير الشخصية الاجتماعية النموذجية ،فأبرزها في ممدوحيه كالخليفة العباسي ، وزعماء القبائل العربية وتوجها في والده . أبرز تلك الشخصيات نموذجا اجتماعيا وأخلاقيا ، وجوز مدحهم بعد أن كان قد قصر مدحه على آل النبي (آل البيت) فروّج ذِكْرَهم ، وأصبح شعرُه فيهم ،يرويه العدوّ والصديقُ،لانه قد وافقَ الروحَ العربية ، والشروطَ الاخلاقية التي توافقَ عليها الشعراءُ والنقادُ والمجتمعُ العربي حتى قال الصوليّ : " فمن فضل فلان أن أعداءَه مجمعون على فضله ، وقولهم خير المدح ما رواه العدو والصديق "(٢)

أبرز في ممدوحيه القيم الأخلاقية العليا ، من عدل وعفة وعقل وشجاعة ،فكثُرَتْ الحكمةُ والامثالُ في شعره لإبراز القيمِ العليا ، وسرعةِ سيرورتها ، وقبولها من المجتمع إذ " لاشيءَ أسبقُ إلى الاسماعِ وأوقعُ في القلوب ، وأبقى على الليالي والأيامِ منْ مَثَلٍ سائرٍ ، وشعرٍ نادر "(٣)

فقال في بعض مدحياته لوالده ، وقد جسد كل الفضائل العربية الجميلة : —

قَمَرٌ يَهابُ المَوْتُ ضوءَ جبينِهِ والسَّيْفُ لَيسَ يُهابُ قبلَ قراعِهِ
عَشِقَ السَّماحَ ،وكلُّ سِحْرٍ للمُنى فيهِ بأنفاسِ الشَّوالِ يُحيقُ
كمْ كاهلٍ للشِّعْرِ أثْقَلَ نعتُهُ عِطْفَيهِ ،وَهْوَ لِما يَؤُدُّ مُطيقُ
فَرْعٌ أشارَ إلى السَّماءِ فجازَها حتّى كأنَّ لهُ النجومَ عُروقُ(٤)

---

(١) الديوان :٢/٢٤٤،٢٤٥ انظر الديوان ٢/٣٢٦ — ٣٢٧ .
(٢) اخبار أبي تمام : الصولي : ٨٠ — ٨١ . تحقيق محمد عبده عزام — منشورات دار الافاق الجديدة بيروت — ط٣ — ١٩٨٠ م .
(٣) الصناعتين : ابو هلال العسكري : ص ١٥٥ . تحقيق مفيد قميحه — دار الكتب العلمية بيروت — ط١ — ١٩٨١م.
(٤) الديوان : ٢/٥٢ — ٥٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ما أحسنها من فضائل نسبها لزعماء مجتمعه ، وما أحسنها من طريقة نظم نظم فيها عقد الفضائل والمكرمات، وألبسها ممدوحه والشعر العربي معا . فعرض ثقافة رأى ممدوحه وحياته وبيانه وسياسته ،وشجاعته ومهابته وعفته وبره ... الخ من الفضائل الاجتماعية العربية .

ومن جهة أخرى شكا الشريف تبدّل الأخلاق في الناس ، فسلبهم الفضائل التي أبرزها في النموذج الإجتماعي ، فوقف على منصة الوعظ يدعو بحكمة جزلة الى الرجوع الى عهدهم القديم من اهتمام بالاخلاق الجميلة التي انطوت بدخول مجتمع غريب قادم بأفكاره الغريبة عنهم، توّجها في القصيدة الدالية نقتبس منها :-

تَغَرَّبْ لا مستحقباً غيرَ قوته ... ولا قائلاً إلاّ لِمَا يَهَبُ المَجْدُ
إذا عَرَبيٌّ لم يكنْ مثلَ سيفه ... مضاءً على الأعداءِ أنكرَهُ الجَدُّ
وما ضاقَ عنهُ كلُّ شرقٍ ومغربٍ ... منَ الأرضِ إلاضاقَ عَنْ نفسِه الجِلدُ
اذا قلَّ مالُ المَرءِ قلَّ صديقُه ... وفارقه ذاك التحنن والوُدُّ(١)
مدّحتهم فاستقبح القول فيهم ... ألارب عشق لا يليق به عقد

واذا مايئس من نقل الثورة الى مستوى عملي ، نقلها الى مستوى فكري ،بدا فيها مفكرا ثوريا ملتزما بقضايا مجتمعه ، فوقف على منبر الوعظ يرسل حكمه ووصاياه ، كما كان جده الامام علي - رضي الله عنه - يرسلها من قبله ، يطلب فيها صلاح المجتمع من الداخل ، صلاح النفس العربية ليتمكنوا من اصلاح المجتمع قبل فوات الاوان ، لا سيما أنه قد عرف الداء والدواء فقال لهم : -

أهدي إلى قومي نصيحةَ حازمٍ ... طَبٍّ بأدواءِ الضَّغائنِ خابرِ
لا تنظروا الجاني لِمَحْوِ ذنوبهِ ... بِمُلَفَّقاتٍ تنصُّلٍ ومعاذرِ
لن تظفروا وابالعزّ حتى تضبُغوا ... ثوْبَ المعالي بالنجيع المائرِ(٢)

دعاهم الى الثوره على الواقع الاجتماعي والقضاء على الداء الذى كان سببا في ضعفهم وسقوطهم ، دعاهم الى تغيير أنفسهم أولا ليتمكنوا من محاربة الداء والقضاء على الذل الذى حاق بهم . ولكن القوم صم عن دعوته بل حاربوها بكل ما يملكون . فكثر أعداؤه ، واتسموا بالغدر، والحقد، والسفاهه، والطيش، وضيق الصدر، واستهجان النصيحه، توّجها في قصيدته البائيه ،عرض فيها أخلاق أعدائه المتردية وسماحه وعلوّ أخلاقه بالمقابل .(٣)

---

(١) الديوان : ١/٣٣٥ - ٣٣٦ . انظر ١ /١٠٨ .
(٢) الديوان : ١/٤٨٢ .
(٣) الديوان : ١/١٠٧ - ١٠٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولما فشل الشريف في تغيير سلوك الناس وأخلاقهم ، واذكاء روح الثورة فيهم انسحب من المواجهة ، ومواعظ النصح إلى الاستسلام للواقع المؤلم ،فأعلن غربته ، اذ أصبح غريبا في زمان غدت فيه القيم غريبة فقال : -

فمالي طول الدهر أمشي كأنني
لفضلي في هذا الزمان غريب(١)

وزهد في الدنيا وطلقها لانه لم يبلغ الأمل كما عبر في قوله : -

زهدت وزهدي في الحياة لعلمي وحجة من لا يبلغ الأمل الزهد(٢)

مما يدلنا على عمق انفعاله وتجربته المأساويه في خذلان العوام له وفي فشله اذ توج زهده في الدنيا بقوله : -

خطبتني الدنيا فقلت لها : ارجعي إني أراك كثيرة الان واج(٣)

وكأنه كان يترسم خطا جده الامام علي - رضي الله عنه - في كل مواقفه الاخلاقيه والتي كان الزهد من أشهرها اذ قال الامام : - (يا دنيا يادنيا إليك عني أبي تعرضت أم الي تشوقت ، لاحان حينك هيهات ! غري غيري ، لا حاجة لي فيك ،قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعيشك قصير وخطرك يسير ،وأملك حقير ،آه من قلة الزاد وطول الطريق وبُعد السفر وعظيم المورد)(٤)

واستغل الشريف كل المناسبات الاجتماعية استغلالا ثوريا ،وخاصة مناسبات الاعياد ، وكذلك التهنئه بالمواليد الجديده والتعزيه بالأموات ،وخصوصا البنات ,

بدأت قصائد التهنئه بالاعياد فيما بين عامي (٣٧٦هـ - ٣٨١هـ) ،الفترة التي شهدت ثورته الاجتماعية والسياسية أوجها وحماستها ،قدم تهانيه للخليفه الطائع لله ولوالده (٥)بث في كل واحده أفكاره الثورية ،وأبرز ممدوحه بطلا قد حوى كل معاني البطولة والشجاعة والقيم والاخلاق في زمن الجبن والتخاذل ،فقال يهنئ والده : -

---

(١) الديوان : ١٨٩/١ .
(٢) الديوان : ٣٣٦/١ .
(٣) الديوان : ٢٣٩/١ .
(٤) شرح نهج البلاغة : ٢٧٦/٤.
(٥) الديوان : ١٠/١ ، ٥١/١ ، ٨١/١ ، ٨٤/١ ، ٩٣/١ ، ١٦٩/١ ، ٥٧/٢ ، ١٦٤/٢ ، ١٦٠/٢ ، ٤١٦/٢، ٤١٩/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هيئاً لكَ العيدُ المُضاعَفُ سعدُهُ ... كما ضاعَفَ الوسميُّ بهجةَ الحدائقِ
وكَمْ مثلِ هذا العيدِ قضيتَ فرصةً ... بمكةَ ،في ظلِّ البنودِ الخوافقِ
وأكبرُ ظني أنْ أرى منك عارضاً ... يؤممُها في مثلِ تلكَ البَوارقِ
أبا أحمدٍ هذا طِلابي ،وهذهِ ... منايَ التي أمّلتُكَ دونَ الخلائقِ(١)

بعد البيتين الاولسين تكاد ألفاظ العيد تختفي لتبرز لنا شخصية الممدوح بالعيد ، النموذج الاسوى الذى انتظر شاعرنا ثورته ، وكان قد وضع كل أمله به دون باقي الخلق ، فانتهز فرصة العيد ، وبث في تضاعيف القصيدة أفكاره الاجتماعية في الزعيم المرتقب ، وأضفى عليه سمات البطولة ،ونسب اليه القيم العربية ، ثم شكا الزمان الذى ظلم الشريف وآلَ البيت من قبل ، ثم العربَ جميعا ، وكان يطلب المناصبَ وينتجزُ الوعودَ من الخليفه في رمضان ، أو في العيدين (الفطر والأضحى) ليكتسب الهدف شرعيته .

ولم يكتفِ الشريفُ بالمناسبات الدينيةِ التي يفرحُ بها المسلمون جميعا ، كعيدى الفطر والاضحى وحلول شهر الصوم ،ولكنه أستغل الاعياد الدينيه الخاصة بالشيعة مثل يومي عاشوراء والغدير . وقصر تهانيه في الغدير على أبيه ، وهو أمر لا يخلو من روّيه سياسيه وقد أشرنا اليه .

أما الأعيادُ غيرُ العربيةِ كا المهرجان والنيروز ،فهي أعياد فارسيه ،لذا لم يهنىء فيها والده - وهو الخَصْمَ اللدود للمجتمع البويهي وان كان مجاملا - ولكنه هنأ فيها الخليفة الطائع والملك البويهي ، أما الخليفه الطائع فلأنه خليفة على المسلمين سواء كانوا عربا أو فرسا ، لذلك هنأه باعياد الفرس أما الملك البويهي فهنأه بها لانه فارسي فقط ، ولم يهنئه أيضا بالأعياد الاسلامية لان المسلمين العرب لم يرضوا بحكمه ،ومن هنا فالتهنئه بالاعياد كانت شكلا من اشكال الثورة الاجتماعية .(٢)

واحتلت المرأة مقاما ساميا في ثورته الاجتماعية ، فاستغل المناسبات الاجتماعية الخاصة بالمرأة فرثى كثيرا من أمهات أصدقائه أو أخوانهم ، أو بناتهم كما وهنأهم أيضا بقدوم مولودات لهم (٣)فكانت قصيدته في رثاء أمه من أشهر

---

(١) الديوان : ٢/٦٠ .
(٢) الديوان : ١/٩٢ ، ٢/١٢٣ ، ٢/١٥٩ .
(٣) الديوان : ١/١٥٤ ، ١/١٥٦ ، ١/١٥٩ ، ١/٣١٣ ، ١/٣٢٤ ، ٢/١٩١ ، ٢/٢٠٩ ، ٢/٣٨٩ ، ٢/٤٠٥ ، ٢/٥٣٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قصائد الرثاء اضافة الى القصيدة التي رثى بها تقية مصر بنت سيف الدولة الحمداني وقد أشرنا اليها.

والمرأة التي تحدثّ عنها هي امرأةٌ حازت شرف النسب ، فهي من أصل عربي ونسب اليها كلّ الفضائل والقيم العربية العليا ، من تدين وورع وجمال وعفة وهي من النجيبات بدلالة انها لم تلد الا النجباء أمثال الشريف . فقال يعزي الوزير ابا منصور عن موت والدته : -

ما ضرّ راحِلَةً وأنتَ وراءَها ... مِنْ أنْ يكونَ على المَنونِ قدومُها
تركَتْكَ طوْدا لايُرامُ وجَمْرَةً ... لا تُصْطلى ،وبِدا يُذلّ مُضيمُها
هَل خَبّرتْ لمّا أتت بكَ ما الّذى ... في مَهْدِها ، أو مايَضُمّ حَزيمُها
أم هل درت أنّ الحسامَ جنينُها ... طَلْقاً ،وأنّ أبا العلاءِ فطيمُها
وكانتَ فلْتَلِدِ النّساءُ بُيُاهَةً ... أوْلا ،فمنجِبَةُ النساء عقيمُها (١)

بذا يكون الشريف قد خرق بعض العادات الإجتماعية في الحديث عن المرأة الأم ،المرأة الأخت .. الخ . وأبرزها لنا امرأةً عربيةً قادرةً على إنجاب الثوريين الفضلاء،من هنا استحقت منه التهنئة ،والتعزية والبكاء ، كما أنه لم يتحدث من المرأة المتحضرة ، ابنة المدينة ، أو جارية بغداد ، ولم يتغزل بنساء بغداد أوْ غلمانها كعادة أهلها، بل راح يبحث عن معشوقات يعبدهن في طريق حجه ، لتصبح المرأة النجدية في حجازياته رمزا من رموز الثورة الاجتماعية والسياسية - كما رأينا - وعندها لاتكون المرأةعنده فينوسَ الصحراء،معبودةَ الجمال والعشق ،لكنها شكل من أشكال الثورة الاجتماعية ، في رفض العجم وحضارتهم ، وقيمهم السائدة في المدينة ، لذلك اختار محبوبته بدوية تقيم في طريق الطهارة ،طريق الحج وطريق الاصالة ، فنسب اليها كلّ الفضائل العربية في زمن كانت طريقه غزل أهله بالجوارى اللواتي فقدن الحرية ، واصالة النسب ، وقد جَسّدَتْ العبوديةَ والغربةَ والعُجْمَةَ ، فلم تكن المرأةُ الحجازيةُ امرأةً عادية قدْرَ ما كانت ثورةً اجتماعيةً على العَجَم وعاداتهم .

وهكذا كانت ثورةُ الشريف الاجتماعيةُ ثورةً سلبيةً لم تتجاوزْ حدودَ الحُلُم والوَهْم والشكوى الى العمل الجاد .

---

(١) الديوان : ٢/٤٠٦ - ٤٠٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصـــل الرابـــــع

" رؤية الشريف السياسية والاجتماعيـــــــة "
والبنـاء الفنـــي للقصيـــــدة "

١ ـ بنية القصيـــدة

٢ ـ البنـاء الفني واللغـــة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هل كان للرؤية السياسية والاجتماعية للشريف الرضي التي جنحت الى الرمز في معظم احوالها دور كبير في بناء القصيدة ؟

وما شكل القصيدة التي طرقها الشريف ؟

هل كانت قصيدة وحيدة البعد؟
ام متعددة الابعاد ؟

وبالتالي كيف حمل الشريف رؤيته السياسية والاجتماعية للقصيدة بأشكالها المختلفة ؟

هذا ما سنتلمسه من خلال القصائد التطبيقية . ومن ثم سأتناول لغة القصيدة وساوضح علاقتها بالرؤية السياسية والاجتماعية من جهة ، وعلاقتها بهيكل القصيدة من جهة أخرى . ومن ثم ساوضح ما اذا كان للقصيدة ذات الرؤية السياسية والاجتماعية لغة خاصة بها وأسلوب متفرد أم لا ؟ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولا : بنيـــــة القصيـــــدة :

١ - ١

بنية القصيدة العربية قضية نقدية قديمة قدم النقد الادبي ذاته ،وعريقـــه عراقة العرب في الأدب والشعر ، فالقصيدة العربية التي صورت حياة العـــــرب ومجتمعهم ، وأخلاقهم لجديرة بالتقنين والاهتمام كي لا تضيع تلك الصورة ،أو تتهشم لان ضياعها أو تهشمها في رأي العرب هو ضياعٌ للتراث العربي ، والحضارة العربيـة التي جسدتها القصيدة العربية . من هذا المنطلق كان الشاعر على علاقة متينـــة بالمجتمع ، فعبر عن هموم أمته والآمها وآمالها .

وما ان ينضج الشاعر حتى كان يعقد مع أمته ومجتمعه عقدا اجتماعيا وفنيـا واخلاقيا بموجبه يلتزم بهموم المجتمع ، ويلتزم أيضا بشكل القصيدة العربيـــة التي أرادها المجتمع ان تكون .

١ - ٢

وبمرور الحقب والاجيال استقرت القصيدة العربية التقليدية على بنية محدودة حددها ابن قتيبة [1] فيما يلي : -

١ - المقدمة الطلليـــــة .
٢ - النسيـــــــب .
٣ - وصـــف الرحلـــــة .
٤ - موضوع القصيـــــدة .

وهكذا أصبحت القصيدة العربية الجاهلية طقسا تقليديا له حرمته ، ولا يجوز التمرد عليه . ولكن هذه الهيكليةَ المحددةَ للقصيدة فرضت على المبدع الفـــرد ان يذوب في المجموع المتلقي ، وعندها أحس الشعراء برغبتهم في الانعتاق من هذه الأسوار والقيود المفروضة عليهم ، حتى كانت القصيدة الاسلامية الجديدة التـــي تأثرت بفكر حضاري جديد مناف للفكر الجاهلي .

وواكبت القصيدةُ العربيةُ تطوُّرها ، وواكبَ الشُّعراءَ ايضا رغبتَهم في الانعتاق من أسر القصيدة القديمة ، وكان الشريف أحدهم ، فجدد في مقدمة قصيدته كمـــا جدد الكثير من شعراء عصره ، فاهتم كثيرا بمطالع قصائده ، وتنوعت ما بين غـزل وتشبيب ، وشكوى الشيب ، والحماسة ،أو ذم الزمان ، هذه الشريحة التي قد يعبـر فيها الشاعر عن أسراره الدفينة ، ونرجسيته العميقة .

---

(١) الشعر والشعراء - ابن قتيبة : ٧٤/١ - ٧٥ . تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وحدد الشريف لنا مميزات القصيدة الجيدة فوصفها : -

ومُسْتَهِلاَّتٍ كصَوْبِ الحَيَا ... تبقَى ،وأقوالُ الفتى تَفْنَى
منتَصِباتٍ كالقنا لا تُرَى ... عيبًا من القَوْلِ ولا أفْنَا
قد حَرَمَ النَّاظِرَ من حُسْنِهَا ... قائلُهَا ما رَزَقَ الأُذْنَا
لا يَفْضُلُ المعنَى على لفظِهِ ... شيئًا ،ولا اللَّفْظُ على المَعْنَى(١)

القصيدة الجيدة برأية يجب أن تقوم على تمازج اللفظ والمعنى وتناغمهما ليقدما لنا وحدة فنية متكاملة ، وقد علق الشريف ايضا على ابيات في حفظ السر أرسلها الصابي اليه لينقدها فقال انها تمتاز " في جودة المعاني ، وصحة المباني ، وسلاسة الألفاظ ، وسلامة الصدور والاعجاز ، وتناسق الكلام ، وتمازج النظام "(٢)

كما واهتم الشريف أيضا بمطلع القصيدة حتى تؤدي المعنى الجميل والفكرة المطلوبة ، فقال واصفا مطالع قصائده : -

قُدْها، فَغُرَّتُهَا من الكَلِمِ الجَنِي ... وحُجُولَها مِنْ صَنْعَةٍ ومَعَانِ
هي نُطْفَةٌ رَقرقتها مِنْ خاطِرِي ... بَيْضاءُ تَنْقَعُ غُلَّةَ الظَّمْآنِ(٣)

واعتنى أيضا بتثقيف قصيدته تثقيفا فنيا محكما ، فقال في وصف قصائده المثقفة :-

ومَحوكَةٍ كالدِّرْعِ أحْكَمَ سَرْدَهَا ... صَنَعٌ فأفْصَحَ في الزَّمَانِ الأعْجَمِ(٤)

ولم يكن دائما ملتزما بتثقيف القصيدة ، ولكنه يبدو أنه كان يخضع لإيماضة الشعر ولحظة الالهام ، والتدفق الشعوري ، وهذا ما بعث به الى الصابي معتذرا عن القصيدة التي كتبها جوابا على قصيدة الصابي وجاءت على غير وزنها وان كانت على رويها فقال " ... لان خاطري جنح بي الى هذا الضرب من الشعر ، ومن عادتي ان اجرى مع بديهته كيف جرت ، وأعشو الى أول ايماضة ،ولا ارد عنانه اذا انطلق ولا أسد ينبوعه اذا تدفق ،ولا أحمله على اسلوب ولا أعدل به عن طريق الى طريق طلبا لإسماحه بعفوه ، وتجنبا لاستكراهه على غير طبعة "(٥)

---

(١) الديوان : ٥٥٥/٢ .
(٢) رسائل الصابي والشريف الرضي : ٨٦ .
(٣) الديوان : ٥١٥/٢ .
(٤) الديوان : ٢٩٦/٢ . انظر : ٧١/١ . ٢٩٦/٢ ، ٥٠٤/٢ ، ٥٢١/٢ .
(٥) رسائل الصابي والشريف الرضي : ١٠١ - ١٠٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وفي النهاية رأى أن القصيدة الجيدة هي التي تسبق قوافيها بيوتها القصيدة التي تبعث اللذة في النفس ، وتدغدغ الناشمين فقال : -

ستَظْفَرُ مِنْ نظمي بكلّ قَصيدَةٍ ... كَما حَلَّتِ اللَّيْلَ النّجومُ الطّوالِعُ
تُضِيءُ قوافِيهَا وراءَ بُيوتِها ... طِراقاً ،كما يَتْلو الفُصولَ الضَبائِعُ
اذا هَزَّها السَّمّارُ طارَ لهَا الكَرَى ... وَهَزَّتْ جنُوبَ النّاشِمينَ المَضَاجِعُ
وَغَيْرُكَ يَعْمَى عَنْ معانٍ مُضيئَةٍ ... كما تَقْبِضُ اللَّحْظَ البُرُوقَ اللَّوامِعُ
وما كُلُّ مَمْدوحٍ يَلَذُّ بِمَدْحِهِ ... إلا بَعْضَ أطواقِ الرِّقابِ جوامِعُ (١)

وجدد الشريف أيضا في بنية القصيدة ذات الشريحة الواحدة ،ومال اليها كثيرا ، واستعملها في حجازياته ، ورثائياته للشيعة ،وحماسياته ، ونقلها من كونها مقدمة الى جعلها موضوعا متكاملا متخصصا . وهذا لا يعني أبدا انه لم يطرق القصيدة ذات الشرائح المتعددة الأبعاد ، ولكنه طرقها بتركيبة جديدة تنافت مع بنية القصيدة العربية التقليدية ، فكانت قصيدته ذات بناء شريفي خاص ، مثلت رؤياه الاجتماعية والسياسية ، وسنتلمسها من خلال القصائد التطبيقية فيما سيأتي : -

---

(١) الديوان : ١/٦٦٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القصيدة الاولـــــــي :

لو تعلم الافـــــــلاك(١)

قال يمدح والده وقد توجه من فارس صحبة شرف الدولة سنة ٣٧٥ هـ .

١ - وقِفْ على العَبَراتِ هذا النّاظِـــــرُ
وكفاهُ سُقْماً أنّهُ بكَ ساهِـــــرُ

٢ - رُدّي عليهِ ما قضا مِنْ لحظِـــــهِ ،
خذّاكِ والغصنِ الوريقُ النّاضِـــــرُ

٣ - فلأنْتِ آمَنُ أنْ يَلومَكِ عـــــاذِلٌ
في فَرْطِ حُبٍّ ، أو يَعُذْكِ عـــــاذِرُ

٤ - هذا الفِراقُ ،وأنتِ أعْلَمُ بالهَـــوى ،
فارعي ذِمامَ المُحِبِّ فـــــالوادِرُ

٥ - وأنا الفِداءُ لِمَنْ أباحَ جمى الهَوى
فغَدَتْ تَطاهُ مَناسِمٌ ،وحَوافِـــــرُ

٦ - حُوشيتِ أنْ ألقاكِ سارِقَ لحْظَـــــةٍ
تَلِدُ الوفاءُ ،وأمُّ عَهْدِكِ عاقِـــــرُ

٧ - وأبى الهَوى ما كِدْتُ أسلُو في الكَرَى
إلا ارْتقَى طَرْفي الخيالُ الزّائِـــــرُ

٨ - اليَوْمَ جارَ البَيْنُ في أحْكامِـــــهِ
فكأنّ أسبابَ الوَفاءِ جَرائِـــــرُ

٩ - هذي الدّيارُ لها بمُنْعَرَجِ اللّـــــوى،
قَفْراً ،تَجَنّبَها الغَمامُ الباكِـــــرُ

١٠ - أرضٌ أقولُ بها لسانحةِ المهـــــا :
أنا إنْ عشرتَ ،لعاً وقَلْبي العاثِـــــرُ

١١ - قالَتْ وقَدْ غمرتْ دُموعي وَجْنَتـــــي:
لِلّهِ ما فَعَلَ المَحَلّ الدّاثِـــــرُ

١٢ - أعْيَيْتُ عن وجهِ الحبيبِ تَكَرُّمـــــاً،
وأرَيْتُهُ أن الجُفونَ كواسِـــــرُ

١٣ - هَبْ لي وحسبي نَظْرَةٌ أرنُوبهـــــا ،
فمَقَرُّها وَجْهُ الحَسينِ الزّاهِـــــرُ

---

(١) ديوان الشريف الرضي - دار صادر ج١/٣٣٤ - ٤٣٨ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١٤- فلئن أبلج إن أهل جبينه
جمحت إليه خواطر ، ونواظر

١٥- قرب الغمام فكن قريب يثنني
فبلل مربعك العريض الماطر

١٦- إن جئته بيداء فالخلاء محافل ،
أو قاد خيلا فالشروح منابر

١٧- يا ابن الأكابر لا أقمت بمشهد ،
إلا وذكرك في المكارم سائر

١٨- ماسرت حتى سار نعتك أولا ،
فسريت تتبعه ، وهمك آخر

١٩- نفشت لك الأمطار في عقد الربى
فقصدتها ، إن الغمام لساحر

٢٠- ذلك ركابك أين سرت كأنما
وصى المفي بك الجديل وداعر

٢١- ماض من شرب الحمام تكرها
بطباك في روع ، وأنت تعاقر

٢٢- قضب الأعادي لا ترومي ضربه
أبدا ، فأنت لما يخد مساير

٢٣- سايرت أزماني ، فلم أبلغ مدى
حتى استقل بي الثناء الساشر

٢٤- وصحبت أيام الهوى فرأيتها
سرحا حمته عواذل وعواذر

٢٥- ورأيت أكبر ما رأيت متيما
متنازعاه آمر ، أو زاجر

٢٦- فندمت بعد الحب كيف أطيعه
وكبت عزماتي ، وهن أوامر

٢٧- أبكي على الأيام وهي ضواحك
في وجه غيري وهو فيها حاشر

٢٨- لو شاب طرف شاب أسود ناظري
من طول ما أنا في الحوادث ناظر

٢٩- أو أن هذي الشمس تصبغ لمتي
صبغت شواتي طول ما أنا حاسر (١)

٣٠- أو كان يأنس بالانيس أوابد
يوما ، لزم لي النعام النافر (٢)

---

(١) شواتي : جلدة رأسي .
(٢) الأوابد : الوحوش ، زم : تقدم في السير .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣١- ما المَجْدُ إلا في السُّرَى ، والحَمْدِ
لا في القِرَى ،والمستعرُّ الخاسِرُ (١)

٣٢- وغداً أُمَشِّي العيسَ بَيْنَ حَطيطةٍ
وودَيقةٍ لم يَغْنِ فيها مَاطِرُ (٢)

٣٣- تَنْدَى مناسِمُها دماً ،وشِفاهُها
تَنْدى لُغاماً ،والخفافُ مَشَافِرُ

٣٤- يَخْبِطْنَ أجوازَ الصَّفيحِ على الوَجَى
واللَّيْلُ مُنْتَشِرُ القوادِمِ طائِرُ

٣٥- بَيْنا يُوَسِّدُنا الكَرَى أعضادَها
حتى قَذَفْنَ النَّوْمَ ، وهي نَوافِرُ

٣٦- خُوصٌ ، كأن عُيونَها في هامِها
قُلُبٌ بَعَدْنَ عن الوُرودِ غوائِرُ (٣)

٣٧- وإذا عَبَرْنَ بماءِ وادٍ جُزْنَهُ
عُجْلاً ، يَنُخِدْنَ ، كأنَّهُنَّ صَوادِرُ

٣٨- وإليكَ أنْحَلتِ الفَلاةُ أخفافَها
تُطْوَى بهنَّ قبائلٌ وعمائِرُ (٤)

٣٩- يَحْمِلْنَ رَكْباً مُغْرَمينَ ،إذ سَرَوْا
رُفِعَتْ لهُمْ تَحْتَ الظَّلامِ عقائِرُ (٥)

٤٠- نحلوا من البَلْوى تُحولَ مطيِّهِمْ
فضَوَ امِرٌ مِنْ فَوْقِهِنَّ ضَوامِرُ

٤١ - فأتتك لَوْ كَلِفَتْ ما كلَّفْتَها
ثَوْبُ الزَّمانِ أتَتْكَ ، وهي زَوافِرُ

٤٢- لِلَّهِ صَبْرُكَ حَيْثُ تَفْتَرِقُ الظُّبى
بين الهَوادي ، والقَنا مُتَشاجِرُ

٤٣- واليَوْمُ أسود لِمَّةً مِنْ ليلِهِ
سترتْكَ منهُ ذوائبٌ وغدائِرُ

---

(١) المستعر : بكسر العين : المخدوع . وبفتحها : من أتى على غرة
(٢) الحطيطه والوديقة : قد يكونان اسمي موضعين
(٣) القلب : البئر - مفردها قليب .
(٤) العمائر : مفردها عمارة : أى أخص من القبيلة .
(٥) العقائر : مفردها عقيرة : ورفع عقيرته : أى رفع صوته .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤٤- في حيث مُدّ على الطّيور مجالُها
حتّى رَعَى ما في الوكورِ الطّائرُ

٤٥- لثَمتْ خدَّ الشّمسِ منْهُ بأسْوَدٍ،
والنّورُ يَشْهَدُ أنّ وَجْهَكَ سافرُ

٤٦- يَوْمٌ تَوَدّ الشّمْسُ أنّ صُدُورَها
لِتَعُدّ ما كَسَبَتْ يَدَاكَ، خناصرُ

٤٧- والسبيُ تعصف بالجيوب أكفها
في جنب ما عصفت قنًا وبواترُ

٤٨- فَعَلى النّساءِ من الخُرُوق يَلامِقٌ
وعَلى الرّجالِ من النّجيعِ مغافرُ (١)

٤٩- وَلّوا، وأيديهِمْ على هاماتِهِمْ
فكأنّما تِلكَ الأكُفّ معاجرُ (٢)

٥٠- وبَذَلْتَ أجسادَ الكُمَاةِ لوَحْشَةٍ
فعَلِمْنَ أنّكَ أنْتَ فيهِ الطّافرُ

٥١- أنّى تُعَرّسُ فالرّياضُ مطافلٌ
لسَوَامِ إبْلِكَ، والوُحوشُ جآذرُ (٣)

٥٢- وإذا تُسالِمُ فالسّمومُ صَوَارِدٌ
وإذا تُحارِبُ، فالسّمومُ هواجرُ (٤)

٥٣- وكأنّ رُمْحَكَ حالِبٌ لِدَمِ الطُّلَى
وكأنّ سيفك في الجماجم جازرُ

٥٤- لَوْ تَعْلَمُ الأفْلاكُ أنّكَ والنّدى،
لم تَرْضَ أني للسّماءِ مصاهرُ

٥٥- وبِحَسْبِ جُودِكَ أنّني لكَ مادِحٌ
وبِحَسْبِ مَجْدِي أنّني بك فاخرُ

٥٦- إنّ الّذي حَلّتْهُ فَرْشُ مدائحي
نَدْبٌ كَسَاهُ مَفَاخِرٌ ومآثرُ

٥٧- كَثُرَتْ نُعوتُ صِفاتِهِ في مَدْحِهِ
فكأنّ مادِحَهُ المُفَوَّهَ سامرُ

---

(١) اليلامق، الواحد يلمق: القباء (القبان) النجيع: الدم المغافر الواحد مغفر: زرد يلبس على الرأس تحت القلنسوة.

(٢) المعاجر، الواحد معجر: ثوب تشده المرأة على رأسها.

(٣) المطافل، الواحد مطفل: المكان الرخص الناعم.

(٤) السموم: الريح الحاره. صوارد: باردة.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٥٨- كفل البَقاءَ بنَفْسِهِ فلَو انقضَـــــي
ذا الدَّهْرَ عاوَدَهُ الزَّمانُ الغَابِـــــرُ

٥٩- واليَوْمَ كَمْ في صدرِه لكَ آمِـــــلٌ
يُعطَىٰ ،وكَمْ في عَجْزِهِ لكَ شاكِـــــرُ

٦٠- أمْعَشَّرَ الأحداثِ في أذْيالِهـــــا
فتاجاك مَدْحي ، والجُدُودَ عواثِـــــرُ

٦١- إنّي رَضيتُكَ في الزّمانِ مُمَدّحـــــا
وعلّاكَ لا تَرْضَى بأنّيَ شاعِـــــرُ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكلت القصيدة من الشريحتين التاليتين : -

١ - شريحة المـــــــرأة : -
(١ - ١١)

٢ - شريحة النموذج السياسي المثال : -
(١٢ - ٦١)

الشريحـــــــة الاولـــــــى
==========

بدأت الشريحة بأمر المحبوبة بأن توقف سيل الدموع التي أهلها على فراقها وأن تكتفي بما سهر على فراقها حتى اسقمته (١- ٣) وطلب العوض عما خسره مـــن شبابه ، والعوض شيء يستحيل تحقيقه ، طلب خديها النضرين وجسمها الرشيفَ ليعيدا الى وجهه نضارته ، والى جسمه رشاقته بعد ذبوله ونحوله على فراقها ،ويبنيـــو متعاطفا جدا معها ، ويلتمس عذرا لها . بيت (٤)

وبدا الشريف متفائلا بعودة المحبوبة الهاجرة ، طلب العودة لان الزمن الغادر على موعد مع أحبته لِفَرْط عَقْد وَدادِهما ، والا تبقى على فراقها نتيجة عدوى الزمـان الغادر . والشاعر لا يطلب من محبوبته الا الوفاء بعهدها . ولا يتوجه الشريـــف الى وصف حسي لعيون المحبوبة وجمالها ورشاقتها . فهذه الاوصاف لاتهمه ، ولكـــن تهمه المحبوبة في هذا الفراق الذى حصل فجاءة .

ورأى محبوبته منزهةً عن كل نَقْص ، اذ أنها تختلف عن جنس المحبوبـــــات فنزهها عن الغدر والنفاق ، الابيات (٥- ٨) كما وأنه يأبى أن يقيمَ علاقةً متضادة معها ، علاقةً مظهرها الوفاء ، ومخبرها الغَدْرُ ، وكذلك محبوبتُه ، لأنها صدى لمـــا في نفسه ، وما يمر فيه من مواقف شعورية ، وانفعالات عارمة ، لذا نفى عنهـــــا صفة الغدر وعوَّدَ نفسه من تلك العلاقة المرفوضة .

فاهتمامه الشديد بالفراق ، وثقته بالعودة بيت (٨) جعلته يهتم كثيـــــرا بالمكان الذى أقامت فيه ، وقد أصبح مرتعا للظباء السانحة ، يراقب تحركاتهـــــا ويدعو لها من عثراتها - مع أن قلبه هو المتعثر - الابيات (٩ -١١)

ووقف أمامها بكل نشوته ، ولكن انتفضت عفته ، ورعش حياؤه البيت(١٢) فأغض بصره اكراما لها ،وأجابها إجابة حركية بكسر الجفون ، ترى ، هل كانت محبوبتـــه ملاكا ليست من جنس النساء ؟!

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رآها أنموذجا متألقا في عالم المثالية ، ولكن أمرَ فراقها لابد منه وهكذا كانت المرأة في شعره ، لم تكن امرأة عادية ، بل كانت رمزا عميقاً حمّلهُ الكثيرَ من الدلالات التي تناسبت ومواقفه الانفعالية المختلفة .

وتسلى الشريف بطيف خيالها حتى ما تنتهي مدة فراقها فقال متمنيا حضورها في أحلامه : -

ليت الخيالَ فريسةٌ لرُقادي ... يَدْنو بطيفِكِ مَنْ نَوَى وبَعادِ
ولَقَدْ أَطَلْتُ إلى سُلَوّكَ شِقْوَتي ... وجَعَلْتُ هَجْرَكِ والتجَنُّبَ زادي
أهْوِنْ بما حَمّلْتنيهِ منَ الضَّنى ... لَوْ أن طَيْفَكِ كانَ مِنْ عُوّادِي(١)

فولعه بطيف الخيال ربما كان تعبيراً صريحا عن فشل علاقتهما أو تعبيرا عن خوفه من اللقاء ولكن ماذا يعني خوفهُ من اللّقاء ؟ وحنينُه الدائم إليها؟!

كان دائم الحنين اليها ، ولكن في اطار التمني ، في الحُلُم لا في اليقظةِ والحقيقة ، ولا يجرؤ على المواجهة ، ولا يجرؤ أيضا على أن يطلبها حضوريا لذا تمنى زيارتها طيفا لانها لا تملك الحضور الحقيقي .

وإن رحلت لا يطيب لها الرحيل الا الى نجد ، وطيف الخيال أيضا لا ينتظره قادما الا مع رياح نجد ، وهو ان أراد الرحيل لا يطيب له الرحيل الا الى مواقع حُبّهِ ، إلى البادية عامةً ، والى نجد خاصة ، سيما وانه أحبّ النَّزْعَ عن العراق كما قال في قصيدة أخرى : -

أنَزَعْتَ دَلْوي قَبْلَكُمْ ... إلى العِراقِ سُؤْدُدا
ما زال عَرْبي ليّ عَنْ ... دارِ الهَوانِ مُبْعِدا
مُرَحِّلي عَنْ بَلَدٍ ... وَراجِماً بي بَلَدا
إنْ لَمْ يَكُنْ نَيْلٌ منَ ... فابْغِ ، إذاً وِرْدَ رَدَى(٢)

وبذا يكون قد أسس ارتباطا علائقيا بين المحبوبة المنزهة ، وطيف الخيال ونجد الحرة ، فرفض العراق ، وأعطى المرأةَ دلالةً خفيةً أُخرى غيرَ دلالتها الظاهرة ، وجعلها رمزا عميقا ، مما جعله يصر على مثاليتها . ومقابل ذلك أبرزَ المكانَ الذي كانت تقيم فيه المرأةُ المعشوقةُ دارَ الكرامة والحرية والمجدِ والرّفض والمروءة والعُروبةِ والاصالةِ . وبَرَزتْ المَحبوبة ماثلةً في البادية ، واكتسبتْ صفاتِها . وظهر هذا كثيرا في قصائد أخرى .(٣)

---

(١) الديوان : ٣٣٦/١ .
(٢) الديوان : ٣٥٧/١ .
(٣) المصدر نفسه : ٧٩/١ . ٣٤٢/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالخشوع للمحبوبة ولأطلالها لابد من إنهائه ، وانهاء هذه الوقفة على الطلول او استبدالها . واستبدالها لا يعني استبدال عزة المحبوبة وكرامتها ووفاءها ولكن يعني تمثلها في صورة أخرى . والإغضاء عنه وجه المحبوبة رافقه أغضاء وانحناء إلى الشريحة الثانية ، شريحة النموذج السياسي المثال.

٢ - الشريحة الثانية :

==========

تشابهت الشريحتان بتركيبهما اللغوي ، اذ بدأت الشريحة الاولى بمصدر أفاد الامر وهو " وقف على العبرات .." وعطف عليه فعلا أمريا صريحا . في حين بدأت الشريحة الثانية بفعل أمر صريح . ومثل البيت(١٣) بداية الشريحة الثانية والرابط الذي ربط الشريحتين وقد أوحى الفعل (هَبْ لي) بالرجاء والرهبة والخشوع لهذا الذي سيقصده بعد رحيله عن أطلال المحبوبة ،فتمنى أن تحل ركابه عند الممدوح الحسين) وتمنى إحراز نظرة إليه بيت (١٣ - ١٥) .

ما قيمة الممدوح ؟ وما جلالته حتى تمنى احراز نظرة اليه ؟!

لقد تميز الممدوح عنده بقدسية عجيبة ، فهو أبلج الجبهة ، وعند لقائه به يتم التوحد ، توحد المتناقضات بين

الخواطر والنواظر

بين ، القلب والعين

بين المادح والممدوح

لذا تمنى اللقاء ، ورؤية النور الغريب الذي أهل من جبينه ، النور الفاعل الذي يحطم المتنافرات ، ويكسر الحواجز ، وتتلاشى بوجوده القيود ،والنور الجالب للخير والخصب ،الممدوح الذي احتل مكانا متميزا في ساحة الوجود والحضور البيت رقم (١٦) :

تميز الممدوح بالنورانية ، وجَسَّدَ عُنْصَري الحركة والحياة في البادية المقفرة، أو في المعركة المليئة بالرعب،فكان إما اميرَ البادية أو أميرَ الحرب . وان فقد المطر فسيحلّ أوداقَه في ربوع المكان الذي حلّ فيه الممدوح . فالمطر آت بسبب من الممدوح . ولكن هذا المطرَ مثّلَ مفاجأةً شعرية ، إنه ليس مطرا عاديا إنه مطرُ الحياةِ والتجدّد ، مَطَرُ الانتفاضةِ من التحجّرِ والجمودِ ،من الخرابِ الاجتماعي والسياسي ، نسبَ الشريفُ الخيرَ كلّه إلى ممدوحِهِ ليستدلّ على فاعليته الابيات (١٦ - ٢٢) .

واكتسب الممدوحُ رمزَ البادية وأهلِها ، فالمكان ممتلئٌ بالخِصْب والخير وكثرت فيه عيونُ الماء ، والحدائقُ النضرة . فهو مكان مخصب لا يسوده الجفافُ كما قال في قصيدة أخرى : -

واذا بَلَغْنَ بيَ الحُسَيْنَ ،فإنّه حَقٌّ لَهُنّ على المَطَايا واجبُ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في بَلْدةٍ فيها العُيونَ حَوافِـــلُ والرَّوْضَ غضّ ،والرِّياحُ لَواعِـــبُ (١)

وظل الزمان سؤالا محيرا ومدهشا للشاعر . فتعجب من زمن أبقى والـــــده في حين أفنى كل النجوم المتلالئة في زمن التدهور والتقهقر ، واستقصى فضائـــل هذا النجم المتألق الذى تعلق به الشاعر ، فقال في القصيدة نفسها :-

أَنْتَ المُنَوَّهُ في المحافِلِ باسمِـهِ ، وإذا حَضَرْتَ فكلّ لَوْمٍ غائـــبُ
لَكَ من حِياضِ المَجْدِ زُرْقُ جَمامِهـــا فَلِمَ يُنازِعُكَ الوُرودَ غَرائـــبُ(٢)

والده نجم تألق في سماء الفضائل ، وأصر على ظهوره في زمن التخاذل والتحجر وعلى حضوره في زمن الغياب . فاذا حضر غابت الاضداد إذْلَهُ قدمَ في ساحات النضـــال ومجافِلِ الوَغْظِ ومنصّةِ الخطب ،ودسّت الكَرَم والجودُ ومهاجمة الأسودِ في عريستهـــا ومطاعنة الفرسان في ليلة هبت رياحها تحمل عبق الخير من اثر اللقاء بين البطـل والاخرين .

حضوره كان خيرا ، وليلته كانت خيرة ، مليئة بقرنفل الرقص، والعبيرِ الدموي الملامس للترب الطرى ، فانتشرت منه رائحة التجدد والحياة .

في ظل تألق الممدوح (والد الشريف) وحضوره فاجأنا تداخل صوت جديد مـــع صوت الممدوح في الابيات (٢٣ - ٣٨) فهذا الصوت هو صوت الشريف المادح. وشكـــل هذا التداخل فجوة توترية في روّية النص ، فبعد أن نزه الممدوح وأضفى عليه قيمة جماليه اتسمت بالقداسة والنزاهة ، فجاءة نراه يدخل صوتا آخر ، صوت الثناء على النفس الشريفية . فتعانق الثناء على الذات مع الثناء على الممدوح تفاعلا دقيقا مما صعب علينا تمييزه

وصف تجربَته معَ النّاسِ والحياةِ ، وتمعّن حياته الطويله المليئة بالكفاح ،مما جعلته يبكي لاحساسه بالغربةَ في هذا الزمن الغريب الابيات :(٢٧ - ٣٠). بكـــى لان الايام أبكته وضحكت في وجه غيره على معرفته بتقاليب الزمان .

وبقيت للشريف نظرة في تفسير المجد ، فاستعد لأخذ الثأر ، واتخذ عدة لذلـــك أمّا وفيةَ غنيةَ بالسّقْيا ، تندى مناسمها وَمَا ،وشفاهُها لُفاما ،وخفافُها مشافرا من اجل التحول ، واحداث الخصب والخير ،وقلقلة الشعب الغافل من نومه ، واستنفر همه الراكدة للثورة . ولكاني به لاينتظر من والده القيام بهذا الامر ،فتعجله واقحـم نفسه في النص ، ثم عاد فجأةً بَعْد استطرادٍ طويلٍ الى نموذجه الذى وقف أمامـــه مُبَجّلاً في البيتين رقم (٣٨ ، ٣٩) .

---

(١) الديوان : ٨٦/١ .
(٢) المصدر نفسه : ٨٦/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التداخلُ بين الراوي والبطلِ بدا ضرورةً من ضَرورات النَّصّ ، فالشاعرُ تلميذٌ من تلامذة البطلِ الزَّعيم ، وعاشقٌ من عشاقه ، ومنتظرٌ طلوعَه ورجوعَه بعد غيبة قد طالت ، بعد استشراء الشرّ والبباس . من هنا تَنزُّهُ ممدوحَه ونزهَ جماله الفاعل

أما قيادتُه لمجموعة الرّكبان فهي تعبيرٌ عن قناعته بأهمية المحاربين وأهمية الامر ليحتملَ الحربُ ، فجاء بالفكرةِ ، ثمّ أعدّ الثورةَ ، والتي كان الشّريفُ أحدَ أفرادِ الدّوْد الذى أعده الممدوحُ البطلُ للحربِ القادمة .

هناك وَجْهُ اتصالٍ بينهما قبلَ الشروعِ في كتابة القصيدة ، فامتداح الشاعر لنفسه وهو امتداح للبطل . فهذا التداخل كان ضروريا لإزالة الوهم ، فمدح البطل هو مدح لذاته والعكس صحيح . وما ان يستقر على العودة للبطل ليمدحه ،حتى يعود النص للتداخل مرة أخرى بهذه الحوارية التي زادت النص نموا وجمالا الأبيات (٥٣ ، ٥٤ ، ٦١) .

فالتحكم في مصير العالم الذى كان يتوقعه مِنْ أنّ والدَهُ سيحكمُه لابدَ وأنّه سيرضع من مكانته ، لأنه أحد أبناء هذا الرجل العظيم واتخذ الشريفُ من علو شأن والده تعلّةً لبلوغِه قمةَ المَجْد ، وهنا تنتفي العلاقة المفترضةُ بين المادح والممدوح لتكون أسمى من ذلك بيت رقم (٥٥ ، ٦١) .

والده وجه من وجوه التفوق الذى كان يشعر به الشريف من مدحه عليا والحسين والهاشميين ومن ثم أباه الادنى - على حد رأيه - لذا رفض الصاق صفة شاعر بنفسه فعلاقتهما علاقة فكرية ،وتجاوزت علاقة الابوة المجردة ، او علاقة السلطة النفعية فرأى نفسه أحيانا تلميذا متفوقا على أستاذه ، أو على الاقل مساويا له .

أما المرأة الوفية التي وقف أمامها خاشعا في مقدمة النص ، ونزهها عن باقي النساء ، وموقفه من فراقها ، وهو فراق انتهى نهاية سعيدة مرينة بالتفاؤل بعودتها ووفائها فلها علاقة قوية بالممدوح المنزه عن النقائص ، البطل الغائب الذى انتظر الكل عودته بعد غيابه ، والذى تجسد بالنور والمطر . ثم ذاك التداخل بين الشاعر والممدوح ، كان من شأنه زيادة تمحور القضية السياسية التي عالجها.

فما المَرأة الوفية التي انتظر الشريف عودتها الا والده الذى انتظر،والآخرونَ عودتَه ،لاسيّما إذا عرفنا أنه قالَ النصَ بمناسبة سفر والده بصحبة شرف الدولة عام ٣٧٥هـ الى فارس . وهذا الانتظار للبطل المنقذ الغائبِ استدعى استحضارَ المهديَ المنتظرَ الذى أسندَ اليه الشريفُ الرضيَ مَهَمَّةَ إنقاذِ المجتمعِ العربي الخَرِب حسب رؤيته السياسية .

من هنا قد يصح زعمنا بأن المقدمةَ الغزليةَ في شعر الشريف لم تكن دائما نهجا تقليدياً اتبعه الشريف ، وساريه على نهج الاقدمين ، بل كان في معظم أحواله نهجا اتباعيا في الشكل ، وابداعيا ثورياً في المضمون . اذ لم تكن المقدمة جزءا خارجا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عن الغرض الاجتماعي أو السياسي الذى جسّده شعره ، فالمقدمة هي الموضوع نفسه متناول بشرائح متعددة .

فهذا التركيب الذى بدا متضادا في ظاهره ، بدا متعانقا في باطنه ،وان ذاك التداخل الذى حدث بين الشاعر والممدوح لم يكن موضوعا آخر مقحما على النص ولكنه كان صوتا نابعا من داخل الشاعر ، من أعماق رؤيته السياسية والاجتماعية قدم شرخا بين المادح والممدوح ، بين التلميذ والاستاذ ، بين الابن والأب ، بين الوعي واللاوعي ، بين التجلي والخفاء . هذا الشرخ التوتري الراكد في نفس الشاعر انتقل فنيا الى النص ، فاحس بالتفوق عليه .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القصيدة الثانية :

أبى الناس الا النفاق(١)

١ - أثِرْها على ما بِها منْ لغَبْ
يُقَلْقِلُ أغراضها والحقب(٢)

٢ - ولا تَرْقبَ اليَوْمَ ميطَ الأذى
عَن اخفافِها وانْدِمَاءِ الجُلَبْ(٣)

٣ - إلى أنْ تُعَجْعِجَها كالحَنِيّ
تجْتَرّ بالدّم لا بالعشُبْ(٤)

٤ - عَلَيْها أخامِصُ مثلُ الصّقُورِ
طوال الرّجاء جسامُ الأرَبْ(٥)

٥ - وكلّ فتىً حَطّ أجفانَهُ
مِنَ القَيْمِ مَضْمَضَةٌ تُسْتَلَبْ(٦)

٦ - فَبَيْنا يُقالُ كرى جَفْنُهُ
بقِطْعٍ مِنَ اللّيْلِ إذْ قيلَ : هَبّ

٧ - إذا وَقَعوا بَعْدَ طُولِ الكَلالِ
لم يَغْمِزُوا قَدَماً مِنْ تَعَبْ(٧)

٨ - ولمّا يَعَافُوا ،على عِزّهِمْ
تَوَسّدْ أعضادَها والرّكَبْ

٩ - وعَرّجْ على الغُرّ منْ هاشمٍ
فأهْدِ السّلام لَهُمْ مِنْ كَثَبْ

---

(١) الديوان : دار صادر ج١ /١٢٨ - ١٣١ .
(٢) الاغراض ، الواحد عرض ؛ هو للرجل كالحزام للسرج . الحقب ، الحزام يلي حقو البعير .
(٣) الميط : الابعاد ؛ إند ما ؛ أو سيلان الدم . الجلب . الواحده جلبه : القشرة تعْلو الجرح عند البرء .
(٤) تعجعجها : تجعلها تصوته الكتني ، الواحده حنيه ، القوس .
(٥) الاخامص : الضوامر البطون ، الواحد خميص .
(٦) المضمضه : دبيب النعاس في العينين .
(٧) الغمز : الظلع ، العرج .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠ - وقُلْ لبني عَمِّنا الواجدينَ :
بني عَمِّنا ، بعْضَ هذا الغضَبْ(١)

١١ - أما آنَ للرّاشدِ المُستَمِرّ
في ظُلَمِ الغَيِّ أنْ يَستَهِبّ

١٢ - سَرَحْتُمْ سفاهَتَكُمْ في العُقوق
ولَمْ تَحْفِلُوا الحِلْمَ لمّا غَرَبْ

١٣ - ولما أرِنْتم إرانَ الجُموحِ
وماجَ بِكُمْ حبلُكُمْ واضْطَرَبْ

١٤ - أقَمْنا أنا بيَيكُمْ بالثّقافِ ،
وَداوَى الهِنَاءُ مِطالَ الجَرَبْ

١٥ - وبارُ بِما هادَ سُوءُ العِقابِ
على المُذْنِبينَ بِحُسْبانِ الأدَبْ

١٦ - ولَيْسَ يُلامُ امرؤٌ شَفَّهُ
مَضيمٌ من الدّاءِ يَستطِبّ

١٧ - أطالَ وأعْرَضَ ما بَيْنَنا
مبيرُ الحياءِ مُثيرَ الرّيَبْ

١٨ - أفِيُّ كُلَّ يَوْمٍ لِرِقِّ الهَوَانِ
صبيبَةُ أنفُسِكُمْ تنسَكِبْ

١٩ - إذا قادَكُم مثلَ قَوْدِ الذَّلولِ
نفَرْنا نفورَ البَعيرِ الأزَبّ(٢)

٢٠ - وفي كُلِّ يَوْمٍ إلى دارِكُمْ
مَزاحِفُ من فَيْلَقٍ ذي لجَبْ

٢١ - بوهوهةِ الخَيْلِ تَحْتَ الرِّماحِ
مُكَرَّهةً ، ورُكَاءِ النَّجُبْ(٣)

٢٢ - سِياطُ الجِيادِ بِهِ أن ونَيْنَ ،
وزَجْرُ الرِّحالِ بِهالٍ وهَبْ(٤)

---

(١) الواحدين : الغاضبين ، وقوله بعض هذا الغضب أراد : قللوا غضبكم .
(٢) الازب : الكثير الشعر .
(٣) الوهوهه : صوت الفرس في آخر صهيله .
(٤) هال وهب : اسما صوت لزجر الخيل ، الونى ، التعب .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢٣ - وتَلْقَوْنَها كَقِداحِ السَّرا
ءِ قُوداً تَجُرُّ العوالي وَقُبّ(١)

٢٤ - كأنَّ حَوافِرَها والصُّخُو
رَ إذا ما ذَرَ مْن الدُّجَى في صَخَبْ

٢٥ - تَسُدُّ عَلَى البيدِ خرقَ الشَّمَا
لِ بما نَسَجَتْ من سحيلِ السَّرَبْ(٢)

٢٦ - وَطِئْنَ النَّجيعَ بأرساغِهِنَّ
مما انْتَعَلْنَ الرُّبى والذَّأبْ(٣)

٢٧ - وكَمْ قَرَعَ الدَّوَّ مِنْ حافِرٍ
يُخالُ عَلَى الأَرْضِ نَقْباً يُكَبّ

٢٨ - تُهَزُّ السُّيوفُ لأعْنافِكُمْ،
فتأبَى مَضارِبَ تِلْكَ القُضُبْ

٢٩ - وَتُسْفِرُ أحسابُنا بَيْنَنا
فنَلْقَي طوائِلَنا أوْ نَهُبّ(٤)

٣٠ - يُناشِدُنا اللّهَ في حَرْبِكُمْ
طَرِيقٌ لَكُمْ في أبِينَا ضَرَبْ

٣١ - وما أحْدَثَ الدَّهْرُ من نَبْوَةٍ،
وَقَطَّعَ ما بَيْنَنا مِنْ سَبَبْ

٣٢ - فإن التَّنُّوسَ إليكُمْ تَشُاقُّ،
وإنَّ القُلوبَ عَلَيْكُمْ تَجِبْ

٣٣ - وإنَّا نَرَى لجِوارِ الدِّيا
رِ حُقوقاً ، فكَيْفَ جِوارُ النَّسَبْ

٣٤ - تماسَّ أرحامِنا ، والدِّما
مُ مِنْ دونِ ذاكَ علَيْنا يَجِبْ

٣٥ - فإنْ تَرْعَ شِرْكَةَ أحْسابِنا
جميعاً ، فذلِكَ دِينُ العَرَبْ

---

(١) القود : الخيول التي تقاد . القب : الضوامر البطون ، الواحد أقب .
(٢) السحيل : ثوب لا يبرم غزله .
(٣) الذأب : الخوف ، والطرد .
(٤) نلقي : نبذل .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٦ — إذا لَبِستْ بِقَواها قَـــــوًى ،
وإنْ طُنُبٌ مَسَّ مِنْها طُنُـــــبْ

٣٧ — أراحَ بني عامرٍ ذُلَّهُـــــمْ ،
وعَرَّضَنا عِزَّنا للتَّعَـــــبْ

٣٨ — وَفَرْنا عَلَيْهِمْ طريقَ البَقـــاءِ ،
وَخَلَّوا لنا عن طريقِ العَطَـــبْ

٣٩ — فقَدْ أصبحوا في ذِمامِ الخُمولِ ،
لا تُدَرِّيهِمْ مَرامي الثُّـــــوبْ(١)

٤٠ — أبَى النّاسُ إلا ذَميمَ النِّفـــاقِ ،
إذا جرَّبوا ، أو قبيحَ الكَـــذِبْ

٤١ — كِلابٌ تُبَصْبِصُ خَوْفَ الهَـــوانِ ،
وتنبح بين يَدَيْ مَنْ غَلَـــبْ

٤٢ — أذِمُّ لِوَجْهي على مابِـــهِ ،
ولا يَعْدِلُ الذُّلُّ عِنْدي النَّشَـــبْ

٤٣ — ومَنْ وَجَدَ الرِّزْقَ عِنْدَ السيـوفِ ،
فلَمْ يَتَحَمَّلْ لِذُلِّ الطلـــــب

٤٤ — وإنَّ مَنازِلَ هذا الزَّمـــانِ ،
لأبنائِهِ نُوَبٌ أو عُقَـــــبْ

٤٥ — لِذَلكَ يَرْكَبُ مَنْ قَدْ سعـــى ،
طويلاً ويَرْحَلُ مَنْ قد رَكِـــــبْ

٤٦ — أنا ابنُ الأناجِبِ مِنْ هاشِـمٍ ،
إذا لَمْ يَكُنْ نُجُبٌ مِنْ نَجَـــــبْ

٤٧ — ثلاثٌ يُرَوِّدُهُمُ بالرِّمـــاحِ ،
وتُلْوَى عمائِمُهُمْ بالشَّهَـــــبْ

٤٨ — عِتاقُ الوُجوهِ ، وعُتْقُ الجِبا ،
دِ في الضُّمْرِ تَعْرِفُهُ والقَبَـــبْ

٤٩ — يَشُقُّ الوَضاءُ خِلالَ الشُّحُـــو ،
بِ مِنْها ،وخَلْفَ الدُّخانِ اللَّهَـــبْ

٥٠ — وَقارٌ يُهابُ ، ونادٍ يُنـــابُ
وحِلْمٌ يُراجُ ، ورأيٌ يُغَـــــبّ(٢)

٥١ — اذا استبق القومُ طُرْقَ النَّجاءِ ،
وذمَّ الجبانُ قعودَ الهَـــــرَبْ

---

(١) تدريهم : تختلهم .
(٢) ينـاب : يتردد اليه . يصب ، من غب الرأى : تأنى فيه .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٥٢ - رأيتَهُمُ في ظِلالِ القنـــــــــا ،
وقد ضَاقَ للكَرْبِ عِقْدُ اللَّبَـــــــبْ(١)

٥٣ - قَدِ اعتنموا بحُصُـــــونِ الـــدّرُو ،
ع ،واستعصَموا بِقِبابِ اليَلَـــــبْ(٢)

٥٤ - أولئكَ قَوْمي لم يُفْمَـــــــزوا
بهُجْنةِ أُمٍ ولا لُـــــــــؤْمِ أبٍ

٥٥ - ومَنْ قال : إنّ جميعَ الفخَـــــارِ
لغير ذوائبِ قَوْمـــي كـــــــذب

---

(١) اللبب : كنايه عن الضيق والشده .
(٢) اليلب : خالص الحديد والفولاذ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تشكلت القصيدة من الشـــرائح التاليـــــة : -

١ - شريحة الحماســـــــة الابيات (١ - ٨)

٢ - شريحة الرفض الاجتماعي - السياسي الابيات (٩ - ٤٥) .

٣ - شريحة النموذج الاجتماعي - السياسي المثال الابيات (٤٦ - ٥٥)

١ - شريحـــــة الحماســـــــة :

تـــتفيض شريحة الحماسة بطولة وحيوية ، وتمتلىء بروح الشباب الفض المندفع الواثق بنفسه ، ليملأ ساحة التخاذل والخنوع خيولا تهز كيان التحجر ، لتخـــــوض المعركة الفاصلة التي استعدلها الشريف وأتباعه الابيات رقم (١ - ٢) .

ويبدو أنه ماخوذ بحس المطلع وغرابته ، وخاصة المطلع ذا الجملة الانشائية فمن مطالعه الحماسية قوله : -

ألا حيِّيها ،ربَّ العُلى ،من غَوارِبٍ
تَعَرَّقْنَي بَيْنَ العُلَى والمَطالِـــبِ(١)

فاستعدَّ لأمر جلل ، لغاية عظيمةٍ ،وهي رفض الأذى والضيم ، مما استدعاه اعداد الفرسان الاشداء ،لا الاشداء فقط بل الذين تميزوا عن غيرهم برفضهم الإذعانَ للضيـــم والذل ، فرفض الضيم والذل شكلَ بؤرةَ رؤيتهِ السياسيةِ والاجتماعيةِ ،التي كـــــان سيحاربَ من أجلها غلمانُهَ الرَّافضون المنتشون بخمرة الحماسة والكبرياء . ولكـــــن ما علاقتهم بالشريف الشاعر ؟؟

يبدو أن الشريف بيت رقم(٩) كـان قائداً لهذه المجموعةِ من الفتيان المُحاربيـــن وفي النص التمسَ من صاحبهِ المرورَ والتسليمَ على أطلالِ محبيه ، فهو القائدُ الفكريُّ لهذه المجموعةِ . سيما وأنَّ البيتَ رقم (٩) يقع بين شريحتين منفصلتين انفصـــالا ظاهريا ، ويمثل الدخولَ إلى شريحة أخرى ، شريحة الرفض .

٢ - شريحـــــــة الرفـــض :

تتصل هذه الشريحة بشريحة الحماسة ، وترتبط معها ارتباطا وثيقا لا يعـــروه انفصام أو شرخ في تركيب هيكلية النص ، او شرخ في مضمونه ، واعد رسله لدخـــول هذه الشريحة في الابيات (١٠ - ١٢) حمل فكرتَه الكلورية رُسُلَه لتبليغ المجتمع الهاشمي بها وتهددهم بالثورةِ وينذرهمُ بما قَدْ عَقَد عليه من عَزْم هو وقومُه كما أنْبَأنـــــا تاريخُ كفاحِهم الطويل . واتبعَ أسلوبَ الإقناع ، اقناعِهم بحقهم في الخلافة ،واعتمـاد

---

(١) الديوان : ١/٨٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

علاقة القربى التي تربطهم، والتأكيد على عقوق بني عمه لعلاقة القربى ،وعدم التزامهم بها ، لذا رفض الشريف هذا الوضع المؤلم ، رفض الانتماء لهذه الشريحة الرافضة للعلاقات الاجتماعية ، الشريحة التي تميزت بالذل والظلم معاً ، واستقصى كل ما أحدثته هذه الفئة من ظلم اجتماعي عام . فالوضع الذى عانت منه فئة الشريف الرافضة التي انتمى اليها ،وعاشته وقتئذ ،كان لا بد من انهائه ورفضه . فأعلن موقفه منها في الابيات (١٥ - ١٩) . ووعد بالتحول والتغيير تغيير كل شيء ،كل المواقف الاجتماعية التي استحدثها الظالمون ،كل الرذائل التي أصبحت فضائل - برأي العباسيين - لابد من معالجة الوضع الاجتماعي الخرب .

وبرر الشريف قبوله ورضاه هذا الوضع بأنه نابع من دافع الانتماء الى القيم والفضائل العربية التي أحسها الشريف وقومه ،وهي الحياء واحترام علاقات القربى . لقد التزم وقومه تلك الفضائل في حين لم يلتزمْ بنو عمه العباسيون بها ، وباتوا على حربهم ورفضهم احترام علاقات القربى التي تربطهم به الابيات (٣٠ - ٣٢) .

وركّزَ الشريفُ على قضيةِ النَّسب وعلاقة القربى ، العلاقةِ التي آمنَتْه في حين لم يولِها العباسيون أيَّما اهتمام . ونقلَ الشريفُ علاقةَ النسب من كونها علاقة ضيقة تهم آل البيت سواء كانوا شيعةً أم سنةً الى كونها علاقةً تهمُّ العربَ جميعاً فهو ابن العرب وابن فكرهم الابيات رقم (٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥) وعرض أيضا قضية النفاق الاجتماعي التي كان يعاني منها المجتمع العربي . فالناس تميل حيث تميل كفة السياسة ، ويتملقون لمن له النصرة والغلبة دون اهتمام بكرامتهم ومكانتهم الابيات (٤٠ ،٤١) .

قضيةَ النفاقِ الاجتماعي عانَى منها الشريف كونَها ذات ارتباط وثيق برؤيته السياسية ، وبالظلمِ الاجتماعي والسياسي الذى عاناه أهله من ظلم العباسيين .

نقل الشريفُ علاقةَ القربى الى مستوىً أوسع وجعلَها قضيةً قوميةً بدلا من كونها قضيةً قبليةً ، فالشريفُ اهتم بالعَرَب كما اهتمَّ بالعباسيين لانه كان يريدُ معالجةَ الوضعِ الخَرِبْ على المستويين العام والخاص . من هنا رفض الانتماءَ لتينكَ الشريحتين، القربى الظالمة ، والتي تجسدت بالعباسيين ، وشريحةِ الجنس العربي (ابن بغداد) لذا طلب الرحلةَ إلى البادية وابنائها ،ينشدُهم الاصالة العربية ،والآباء العربي والعزة العربية .

٣ - شريحة النموذج :

يرحل الشريف الى عالم الكرامة والمجد ،عالم السيف والمروءة والاباء ، وهذا المرتحل يتميز بأوصاف مهمة : الابيات (٤٦ ،٤٧) حاز على شرف النسب ، وأصالة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحتد ، فهو من بني هاشم ، الذين تميزوا بالاوصاف المفقودة للنموذج المثال الذى افتقده الشريف في شريحة الرفض الاجتماعي ـ السياسي . فابرز لنا البديل ووصفه بانه عتيق الوجه ، أبلج الجبهة وضاء يركب خيلا عتيقة ، تتألف في عالم الدخان المظلم ، ويتسمون بالوقار والهيبة والحلم والرأى السليم الابيات رقم (٤٨ — ٥٥) .

فقومه قوم اتسموا بالنقاء والاصالة ، نقاء النسب من جهة الأم والأب ، ولا يقدرُ أحدٌ على أن يغطي تلك الفضائلَ الكريمةَ العبقةَ ، فالشريف الرضي هو النجيبُ ابنُ النجيبِ ، الذى قال عن نفسه في قصيدة أخرى : —

فتىً لَمْ تُوَرِّكْهُ الإماءُ ولَمْ تَكُنْ
أعاريبُهُ مَدْخولةً بالأعاجِمِ (١)

فالشاعر هو النموذج البديل من شريحة الرفض الاجتماعي التي عانت الغدر والنفاق الاجتماعي والسياسي ، وكانت الظلم ، ظلم الاقرباء ، فهو النموذج المثال الذى جسد الوفاء والالتزام بأمته ومجتمعه ، دون أدنى ظلم منه لعلاقة القربى والنسب .

وما هذا التركيزُ على قومه والافتخارُ بهم إلا اختصاصٌ وعنايةٌ لنفسه ، ولو أراد التأكيد على نقاء الهاشميين لما توجه بحربٍ عنيفة على العباسيين أبناء عمه الذين وصفهم بالغدر والظلم .

وتبدو هذه الشريحةُ أنها على علاقةٍ وطيدةٍ بشريحةِ الذّاتِ التي امتلأت حماسةً وحيويةً ، والتي أعدَّ بها فرسانَه للثورةِ ليصبحَ هو النموذجُ البديلُ بعد عَرْضِ شريحةِ الرّفْضِ ، والتي كان قَدْ عَرَض فيها موقفَ العباسيين من قضية النسب والقربى لتأتي فيما بعد شريحة النموذج البديل ليعرضَ فيها موقفَه من قضية النسب والعرق العربي .

وعندها تكون الشرائح ذات اتصال علائقي فيما بينها مشدودةً بخيطِ الرؤيةِ الاجتماعيةِ والسياسية . وهذا الخيطُ الرابطُ هو الشريفُ العربيُّ الهاشميُّ الشيعيُّ الرافض للوضع الخرب الذي استندَ إلى فكرٍ اجتماعي وسياسي متين نابع من الموقف العقدي المؤمنِ بالقوميةِ العربيةِ .

من هنا كانت هذه التركيبة لتشكل النص الاجتماعي السياسي غير مقحمة على النص ولكنها مرتبطةٌ معا ، ومتمازجةٌ ، وذاتُ معنى ، يربطها خيطُ الرّفضِ ، خيطُ النموذج البديل .

---

(١) الديوان : ٤٣١/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

القصيدة الثالثة :

ما أمرَّكِ وما أحـلاكِ(١)

قال في المحرم سنه ٣٩٥هـ وهي من لواحق الحجازيات

١ ـ يا ظَبْيَةَ البانِ ترعَى في خمائلِهِ ... لِيهنَك اليَوْمَ أنَّ القلبَ مَرْعاكِ
٢ ـ الماءُ عندكِ مبذولٌ لِشاربِهِ ... وليسَ يُرْويكِ إلاّ مدمعي الباكي
٣ ـ هَبَّتْ لَنا من رياحِ الغَوْرِ رائحةٌ ... بعْدَ الرُّقادِ عَرَفْناها بريّاكِ
٤ ـ ثمَّ انثنَينا ، إذا ماهَزَّنا طَرَبٌ ... على الرِّحالِ ،تعلّلْنا بِذِكْراكِ
٥ ـ سَهْمٌ أصابَ وراميهِ بذي سَلَمٍ (٢) ... مَنْ بالعراقِ ،لقد أبْعَدتِ مَرْماكِ
٦ ـ وَعْدٌ لعينيكِ عِندي ما وَفَيْتِ بِهِ ... يا قُرْبَ ما كَذَبَتْ عينيَّ عيناكِ
٧ ـ حَكَتْ لِحاظُك ما في الرِّيم من مُلَحٍ ... يَوْمَ اللِّقاءِ فكانَ الفَضْلُ للحاكي (٣)
٨ ـ كأنَّ طَرْفَكِ يَوْمَ الجِزْعِ يُخبِرُنا (٤) ... بما طَوَى عنك مِنْ أسماءِ قَتّالِكِ
٩ ـ أنتِ النَّعيمُ لقَلْبي ،والعذابُ لهُ ، ... فما أمَرَّكِ في قَلْبي وأحْلاكِ
١٠ـ عندي رسائلُ شَوْقٍ ،لَسْتُ أذكُرُها ... لَوْلا الرَّقيبُ لقَدْ بَلَّغْتُها فاكِ
١١ـ سقى مِنىً ولَيالي الخَيف ماشرِبَتْ ... مِنَ الغَمام ،وَحيّاها وحيّاكِ
١٢ ـ إذ يَلْتقي كلُّ ذي دَيْن وما طَلَبَهْ ... مِنّا ،ويَجْتَمِعُ المشكوُّ والشّاكي
١٣ ـ لما غدا الشَّوْقُ يعطو بَيْنَ أرْحُلِنا (٥) ... ما كان فيه غَريمُ القَلْبِ إلاّكِ
١٤ ـ هامَتْ بكِ العَيْنُ لَمْ تَتْبَعْ سِواكِ هَوىً ... من عَلَّمَ البَيْنَ أنَّ القَلْبَ يَهْواكِ (٦)
١٥ ـ حتّى دنا السَّرْبُ ما اخْيَيْتِ من كَمَدٍ ... فَتْلى هَواكِ ،ولا فادَيْتِ أسْراكِ
١٦ ـ يا حَبَّذا نفحةٌ مَرَّتْ بِفيكِ لَنا ... ونُطْفَةٌ غُمِسَتْ فيها ثَنايَاكِ
١٧ ـ وحبَّذا وقفةٌ ،والرَّكْبُ مُفْتَفِلٌ ... على ثَرىً وَخَدَتْ فيهِ مَطاياكِ
١٨ ـ لَوْ كانَتِ اللِّمَّةُ السَّوْداءُ مِنْ عَدَدي ... يَوْمَ الغَميمِ ،لما أفْلَتَّ أشْراكي

---

(١) ديوان الشريف الرضي : ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ دار صادر .
(٢) ذي سَلَمٍ : اسم موضع في الحجاز .
(٣) حاك الشيء : اذا شابهة .
(٤) يوم الجزع : اسم مكان التقى فيه ومحبوبته .
(٥) السرب : ركب الحجيج .
(٦) البين وردت في الديوان والصحيح أنها العين .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١ - تشكلت القصيدة من شريحة واحدة وهي شريحة المرأة وبذا تكون من القصائد وحيدة البعد ، وبلغت عدتها (١٨) بيتا .

استهل الشريف حجازيته بتشخيص المحبوبة بالظبية ، رمز المعبودة التي تستحق العبادة . وسترعى هذه المحبوبة أو المعبودة الجميلة في قلبه .

ترى ما جنس هذه المعبودة لترعى في القلب ؟؟
ووجد الشريف بمحبوبته أيما وجد ،وبذل من أجلها الكثير ، ولكنه لم يظفر منها بشيء ، إذ عبّر عن ظمئه رَقْمَ قدرتها على العطاء بالبيت رقم (٢).

فقد كان يعاني العطش على الرغم من توفر الماء، ولكنه لم يستطع أن يروي نفسه الظمأى الا بالبكاء ، بدموعه الغزار ولا يقف الامر عند هذا بل ان المحبوبة أيضا لم تكتف بما لديها من الماء ، ولم ترو إلا بدموع الشريف . وهذا يدلنا على مأساة تجربة الشريف مع الحب ، الحب العميق الصادق . فجعل الماء احد أسس بناء حجازياته ورموزها العميقة ، فهو دائم العطش ،ودائم الاعتماد في رواته على بكائه ودموعه .فاصبح العطش بذلك رمزاً لفشله السياسي والاجتماعي في قضيته التي يحملها ، لذا اتجه الى المرأة لتقدم له الحيوية والبرواء فامتلات صورة الفنية بالحركة والحياة . وخاصة في البيتين (٣ - ٤) اذ أوحت له رياح الغور الرطبة بريق المحبوبة . فهي صورة مغمورة بالنشوة العارمة التي كان يشعر بها الشريف حينما تذكر محبوبته ، ومثلت أمامه ، ولكن هذه النشوة لم تدم طويلا ،سرعان ما كانت تنقطع ،فهو يعيش على الحلم والامل ، وطيف الخيال ،وكان يتصارع بين قطبي ؟ -

الري والعطش
العطاء والحرمان
الحلاوة والمرارة
حس النشوه وحس البرودة

فقد مثلت له كل هذه المتناقضات ، وخاصة في البيتين التاسع والعاشر فكانت : -

النعيم والعذاب
والحلاوة والمرارة

وعندها انتفضت نشوته واحاسيسه ليعبّرا عن نشوته العارمة ، ولكن سرعان ماذاباً وتلاشيا أمام الرقيب فكان يملك رسائل شوق لمحبوبته ولكن لا يستطيع ان يرسلها إلى فيه محبوبته لوجود الرقيب ، ولكننا رأيناه في حجازية أخرى يقف موقفا آخر من الرقيب الذى خافه تبليغ أشواقه الى محبوبته ،أيا كان هذا الرقيب الذى يحاسب المحب على أهوائه وشهواته الدنيويين العاذلين أم اهل المحبوبة - رأيناه يضاجع حسناءه في حجازية أخرى فقال : -

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُفَاجِئُني الحَسْنَاءُ والسَّيْفُ دونَهـا
ضجيعانِ لي والسَّيفُ أدناهُما منّي
إذا دَنَتِ البَيْضَاءُ مِنِّي لحاجَةٍ
أبَى الأبيضُ المَاضِي فأبعدَها عنّي
وإنْ نَامَ لي في الجَفْنِ إنْسانُ ناظِرٍ
تَيَقَّظَ عنّي ناظِرٌ ليَ في الجَفْنِ
وقالتْ : هَبُوهُ لَيْلَةَ الخَوْفِ ضَمَّةً
فما عُذْرُهُ في ضَمَّةٍ لَيْلَةَ الأمْنِ (١)

ففي وصاله مع محبوبته كان دائما على وجل ، ودائم الحذر والتيقظ - على غير ما عهدنا من صفات المحبين في مغامرات امرئ القيس وعمر بن ابي ربيعة بل على العكس من ذلك كانت المرأة والمحبوبة هي التي تفرض نفسها عليه بين الحين والاخر ، وترصد حركاته، ففي مضاجعته لحسناته بدا طريدا خائفا مضاجعا للسيف لا للمرأة .

فالمرأة كانت تريده لها ولكنه أبى الا ان يتزوج الفكرة العقدية التي آمن بها ، الثورة التي هدّدَ بها كثيرا . وما شوقُهُ للمرأةِ التي بدت في قصائد أخرى إلاشَوْقٌ لتحقيق الخلافةِ التي حلُم بها ، وما خوفُهُ مِنَ المرأةِ إلا خوفٌ وحذرٌ من العيون الراصدةِ ، حتى وهُو في حالةِ امتهِ،وفي حالة ما كانت الثورة نائما،وطيفا جميلا، ونوما هادئا لاختمارها ، ومما يزيدُ رأيَنا جلاءً حجازيّتُه التي قالها في يوم العيد عام ٣٩٤هـ ،وقال فيها :-

أعاد لي عِيدَ الضَّحَى مَواقِفٌ تُبْدِلُ ذا الشَّيبِ
يقول مَنْ عايَنَ هَا وبالعراقِ وَطَري
ا شتاقُهُمْ ومُرْبَخٌ يا وَيْحَ لي مِنْ شَجَني
رَحَّلَني عَنْ وَطَني جيرانُنا على مِنًى
ب شطاطاً بحنِينَ تيكَ الطُّلَى والأعْيُنا
بِنا بُعْدَ ، مالاحَ لنا إلى زَرُودٍ بَيْنَنا
أما مَلَلْتُ الشَّجَنا إني دَمَمْتُ الوَطَنا (٢)

---

(١) الديوان : ٤٨٤/٢ .
(٢) الديوان : ٤٨٠/٢ - ٤٨٢ .الحنى - العطف واللَّحْيُ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقد ظل دائم الحنين في حجازياته إلى العراق ،ودائمَ الذّكرِ لأهلِه المتخاذلين ، ووصف مقدار شوقه الشديد الى البادية ورفضه لبابل ،حمل الشريف حجازياته رؤيته الاجتماعية والسياسية وظلت رؤيته هذه تتراوح بين الخفاء والتجلي .فتارة اقتصرت على شوقه للمحبوبة ، وحنينه اليها ، وتارة أخرى اقتصرت على ذمّه لوطنه الذى فارقه ،وتأمّله الخيرَ في البادية . ولا يذكر الشريفُ اسمَ المرأة - التي وَجدَ بها هذا الوجْدَ ،واكتفى بالقول : انها نجدية أو عامرية رمت سهامها بعراقي بيت :(٥) ولكن هذه المحبوبة كانت قد استحوذت على كيانه حتى أصبحتْ كلّ الدنيا أمامَه هي محبوبتُه ، وقد شخصت في كل مكوناتها وهذا يدلنا على أنها قد ملأت ذهنَه وعقلَه ، وبذا أصبحت المرأةُ رمزا عميقا مكثفا بما يحمّلهُ من دلالات ، أصبحت معشوقا أثيريا مقدساً تعلق به الشريف وظهر ذلك واضحا في البيتين (١٤ - ١٥) وأصبحت له هما وهوى وشغلا شاغلا له عن كل شيء . ونكرّ لنا المرأةَ ولم يقدّم لنا أي سمة تعريفٍ بها ، فلا هي بزعد ولا سلمى ولا زينبَ ولاميةَ ولا لبنى ، ولكنها امرأة علمته الهوى وكفى فلذا تعلق بها أيما تعلق .

وانتهى النص بتمن مسلوب ، ومَدْح لموقفٍ لم يحصلْ بعد ، فتمنى أن تسقيَه الوصال وبَرْدَه ، وتمنى مودّتها ورفقها به ، ولو على غفلة من القوم ، ولكنّه اصطدم مرة أخرى بالزمن ، الذى تجسد بالشيب هذا ما كانت - ولم تزل - تكرهه المرأة في الرجل ، البيت (١٨) فقد شاب وفترت همتهفمنعته المرأة عطاياها وهذا يعني ضمن دلالات النص ، ورمزيته أن ثورته قد وصلت مرحلة الفتور ، لا سيما أن هذه القصيدة قيلت عام ٣٩٥هـ ، كما قال جامع الديوان في مقدمة القصيدة أي حينما غزا الشيبُ رأسَه ، وفشلتْ ثورتُه وقُتِلَ داعيتُه ، ومات الطائع للهِ وفَتَرتْ حماستُه . من هنا اتخذت ثورتُه شكلَها الفني الخفي بعد أن كانت ثورة فعلية .

من هنا تنوعت سمات المرأة عنده ، فأحيانا كانت الماضي المليء بالشباب والحيوية ، وعلاقته بها كانت علاقة فكرية واجتماعية . وأحيانا كانت الجبنَ والخذلانَ فرفضها ، من هنا كان لا بدّ من الرّبْطِ الدّائم والضروري بين الغزلِ والشيبِ فالمحبوبةُ مَثّلتْ له العنفَ والشبابَ أيامَ بدايةِ ثورته . كانت الخوفَ والقلقَ أيام فتورِ حماستِه وعملِه الخفي للثورة .

ومثل الشيب كِبَرَ الشريفِ وامتدادَ همومِه فرفضتْه المحبوبةُ ، وخذلتْه الأيام والناسُ فوقف من الشيب مَوْقفَ الوَجِلِ الحزين ، واكتفى من محبوبته ما أخذ منها ايام صباه الجميلة ،وعاتبُها على حاضرِها لرفضها شَيْبَه . وعَدمِ قبولِها له في حالة ضعفة ،وقد تمنعتْ من إضافة مسحة الشباب عليه تعزية له .

---

(١) الديوان : ٤٨٠/٢ - ٤٨٢ .

©Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأكثر الشريف من شكوى الشيب والبكاء على شبابه النافد ،فربما كان خوفه خوفا على المناهي المليء بأحلام الشباب ، وإرهاصات الثورة ، من هنا تعلق بالماضي تعلّقَ الأطفالِ حيالَ ضياع مايملكون فقال في احدى حجازياته : -

بَعْضَ المَلامِ فَقَدْ فَضَحْتُ طِمَاحِي،
وكَفَيْتُ مِنْ نَفْسِي العَذولَ اللاّحِي
مِنْ بَعْدِ ماخَطَرَ الصّبا بِمَقَادَتِي،
وجَرَى إلى الأمَلِ البَعيدِ جِماحِي
فَلَطَالَما أقصَدْتَنِي ظَبيَاتُهُ،
وأرِقْتُ فيه لِبارقٍ لَمّاحِ
وإلتَحْتُ إليهِ من كَمَدٍ إليهِ ، ووِرْدُهُ
ناءٍ ،يُعَذِّبُ مُلّةَ المُلْتَاحِ
أيّامَ في صِبْغِ الشّبابِ ذَوَائِبِي
وَإلى التّصابي مُدْوَتِي وَرَوَاحِي(١)

فكان يحن فيها الى أيام الشباب المليئة بحيويتها ،والتي نزعت به الى الجموح ، وسهر الليالي الطوالِ منتظرا بهاءَ المحبوبة ،وبدا دائمَ الحنينِ إليها إذ كانت تخطرُ أيامُ الصّبا على باله ، فأحس بالمأساةِ الدفينةِ إزاءَ ذكرِهِ أيّامَه الجميلةَ معها . وكثيرا ما رفض المرأةَ في شريحةِ الذّاتِ ضِمْنَ قصائده ذات الشرائح المتعددةِ الأبعادِ . واصبحت عالما منبوذا وتأمّلَها فكرةً مناقضةً لأفكاره ، ولم تَعْدُ عندَه حلماً وطَيْفَ خيالٍ جميلاً اذ قال في مقدمة احدى مدحياته : -

شيمي لِحاظُكِ عنّا ظَبْيَةَ الخَمَرِ
لَيْسَ الصّبا اليَوْمَ مِنْ شَأني ولا وَطَري
ماتَ الغَرامُ ،فما أصغي إلى طَرَبٍ
ولا أُرَبّي دموعَ العَيْنِ للسّهَرِ
مَنْ يَعْشَقُ العِزَّ لا يعنُو لِفانِيَةٍ
في رَوْنَقِ الصّفْوِ ما يُغني عَنِ الكَدَرِ(٢)

لقد مثّلتْ له المرأةُ اللهوَ والتصابي في طريقِ المجد ، فهي الخذلانُ،من هنا رفضها لأنها كانت تمثلُ له الإحباطَ في نفسه ، والحياةَ الكدرةَ البعيدةَ من الصّفْوِ ، والمرأة بهذه الصورة هي بابِلُ المدينةُ المرفوضةُ المقترنةُ عندَه بالذلِ والتخاذلِ فقال في الشريحةِ الثانيةِ من النص نفسه : -

---

(١) الديوان : ٢٥٠/١ .
(٢) الديوان : ٤٥٨/١ . - الخمر : ماوراك من شجر أو غيره .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رِدُوا الرَّحيلَ فإنَّ القَلْبَ مُرْتَحِـــلٌ
وسافِروا إنَّ دَمْعَ العَيْنِ في سَفَـــرِ
ويَوْمَ ضَجَّتْ ثَنايا بابلٍ ومَشَـــتْ
بالخَيْلِ في خِلَعِ الأوضاحِ والغُـــرَرِ (١)

فالمرأة في شريحة الذات - في النص ذاته - كانت توازي بابل في النموذج البديل ، ورفضه للمرأة كان رفضا لبابل وأهلها ، رفضا لشريحة المجتمع الذي خبر ، من هنا كان هذا التعانق بين شريحة المرأة (الذات) . وصلب الموضوع تعانقا فاعلا في زيادة نمو النص بنائيا ، وبمعنى آخر كان ذاك التعانق - واقعا تحت سيطرة الوحدة الشعورية التي سيطرت على النص بتداخل وعيه ولا وعيه . لهذا بدّا من الضروري دراسة بنائية النصوص بناء أفقيا من تلك العلاقة القائمة بين شريحة المرأة أو شريحة الغزل ضمن القصيدة متعددة الأبعاد ، وبين الحجازية التي شكلت تركيبة خاصة لقصيدته ذات البعد الواحد كما وضح لنا في النص التطبيقي الاخير .

من هنا قد نَزْعُمُ بأن حجازياته كانت تحملُ بنيةً داخليةً تتوافقُ مع رؤاه الاجتماعية والسياسية والتي حملها وضمنها شرائح متعددة ومتنوعة في قصائده ذات الأبعاد المتعددة والتي ضمنها قصيدته ذات البعد الواحد (الحجازية) (٢) تجمعها لحمة شعورية واحدة وانفعال طاغ .

ولكن هذا التشكل السياسي والاجتماعي لقصيدة الشريف ذات الرؤية السياسية والاجتماعية لم يكن هو السائد دائما ، فكثيرا ما تكون القصيدة مكونة من شريحتين الذات / والنموذج البديل .
دون وجود لشريحة الرفض ، ويستغني النص عنها كشريحة ، ولكنها تدرج في شريحة

---

(١) الديوان : ١/٤٥٩ .

(٢) . الديوان : الجزء الاول : ٣٥ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٦٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٨ ، ٥١١ ، ٥١٧ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ .
الجزء الثاني : ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٠٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٣٨٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٥٣٦ ، ٥٥٢ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٧٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الذات وتحمل قضية الثورة (١).

وهناك تشكل آخر وهو اكتفاء الشاعر بشريحة واحدة وهي شريحة الذات دون حضور شريحتي الرفض والنموذج البديل، وعندها يحمل رؤيته السياسية والاجتماعية شريحة الذات فيتغنى بنفسه بطلا منقذا ومهديا منتظرا، وثوريا عربيا رافضا، وشيعيا ملتزما، وعندها تكون الشريحتان مثويتين تحت شريحة الذات، وهذا يدلنا على بنائية تشكيل النص.(٢)

تشكل النص بشرائح متنوعه لا يعني أنه يطرق موضوعات متعددة بل انه دليل على الوحدة الشعورية التي تلحم شرائح النص الواحد.

وقد نجزم بان القصيدة الشريفية ذات الرؤية السياسية والاجتماعية كانت بشكلين :-

١ - قصيدة وحيدة البعد أي ذات شريحة واحدة
٢ - قصيدة متعددة الابعاد أي ذات شرائح متعددة.

ومما يدلنا على بنائية تركيب النص ذي الرؤية السياسية والاجتماعية.. أن القصيدة وحيدة البعد سواء كانت في الفخر أو شكوى الزمان، أو في الحماسة أو في الرثاء، أو حجازية - والتي حملها فكرته الثورية كانت تتردد في أصداء شريحة الذات أو (مقدمة النص) في القصيدة ذات الأبعاد المتعددة، سواء كانت المقدمة أيضا في الفخر أو شكوى الزمان، أو في المرأة ... الخ وهذا مما جعلنا نبحث عن العلائق الارتباطية بين :

١ - شريحة الذات في القصيدة المتعددة الابعاد
وبين القصيدة ذات البعد الواحد
علائق أفقية الى جانب العلاقة الشاقوليه في النص الواحد.

أما شريحة الرفض الاجتماعي أو السياسي فحضورها وغيابها كان مهما جدا، فاذا حضرت كانت مهمة في النص ولا يستغنى عنها كونها شريحة توسطيه بين الذات والموضوع وهي الشريحة الصريحة في التعبير عن مواقفه الاجتماعية والسياسية. واذا ما غاب حمل رؤيته شريحة الذات أو شريحة النموذج المثال. وعندها يلجا النص الى الرمز

---

(١) الديوان ، ٩/١ ، ٥١/١ ، ١١٨/١ ، ١٢٢ ، ٣٠٦/١ ، ٢٤٤/١ ، ٢٤٨/١ ، ٢٥١/١ ، ٢٥٤ .
(٢) الديوان / ٢٥٢/١ ، ١٥٤/١ ، ٣٣٣/١ ، ٤٨٧/١ ، ٤٩٤/١ ، ٥٠٢/١ ، ٥٢٥/١ ، وكذلك الحجازيات والحماسيات ، ومراثيه . للشيعة والحسين بن علي .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والخفاء ، وهي الشريحة التي كان فيها بطلا منقذا لهذا الوضع المتردى ، أو في النموذج المثال كالخليفة أو والده ، نموذجا بديلا من شريحة الرفض الغائبة .(١)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الديوان : ٩/١ ، ٥١/١ ، ١١٤/١ ، ٢٤٠/١ ، ٢٦٩/١ ، ٤٦١/١ ، ١١٩/٢ ، ١٢٤/٢ ، ٣٤١/٢ ، ٤١٦/٢ ، ٤٤٤/٢ .

ثانيـــــــا : البنـاء الفني واللغـــــــــة :

يعتمد البنـاء الفني اعتمادا كبيرا على اللغة التي يستعملها المبدع ،على الاساليب ، سائدة في شعره ، وعلى مقدار العلاقة بين اللغة والاسلوب ، ومـــــدى قدرتهما على حمل الفكرة التي أنطقها المبدع ألفاظ العمل الادبي ، وعندئـــــذ لا يجوز لنا أن نتناسى أن المبدع هو أحد أفراد الجمهور يستعمل لغتهم التـــــي يتخاطبون بها ، ومن ثم ينتظر الجمهور بفارغ الصبر عمله الادبي يلاقوه بالتصفيق أو الانكار أو التساؤل ... الخ .

اللغة هي المادة الخام التي يتناولها المبدع ويخلق منها عالما آخـــــر من الزخارف الفنية الرائعة ، ويصنع منها بيوتا عظيمة الاتقان ذات جرس ايقاعي جميل ذى معنى هذا ناهيك عن الرموز التي تحملها اللغة . فاللغة هي (معطـــى اجتماعي بالنسبة للكاتب لا تخصه وهو يستعملها بدون أن يكون له حرية كبيـــرة في تغييرها ، وان ما يستطيعه ضد اللغة ، هو آن يخلق لها سياقا آخر يبعدها عـــن الاستعمالات المألوفة في مجال التواصل ".(١)

هنا يتشكل الفرق بين اللغة والاسلوب وهذا ما يميز المبدع عن غيره مـــن الجمهور - ويخلق الاسلوب الذى يشكل ذاتية المبدع ودفقاته الشعورية وعالمـــه الخاص به ، مكونة فجوة توترية بينه وبين الاخرين بأساليبه التي يختارها بوعي منه وتكون لغته حينئذ منطلقة من عالم الانا وعقدها وآخلامها .

فاللغة بناء مفروض على الاديب من الخارج ، ويكمن الاسلوب في مجموعة مـــن الاحتمالات الكامنة في اللغة لتأدية المعنى بأسهل الطرق واحسنها .
واللغة التي يستعملها المبدع لا تتعارض ورأى الجمهور بمضمونها ، ولكن الاسلـــوب يقوم على التوتر الدائم مع الجمهور ، بين لذة التقبل وخيبة الانتظار ،وهنـــا يكمن نجاح الفنان ، في اسلوبه الخاص به ، بالمفاجأة الاسلوبية وهي التي سماهـا جاكبسون : " تولد اللامنتظر من المنتظر "(٢)وهي الشعريه بعينها عند النقاد .

---

(١) مقدمة كتاب الدرجة الصفر للكتابة : ترجمة محمد برادة . ص ١٣ . دار الطليعة بيروت / والشركة المغربية للناشرين المتحدين - الرباط - ١٩٨٢م .

(٢) الاسلوبية والاسلوب : عبد السلام المسدى . ص ٨٢ . الدار العربية للكتـــاب ليبيا - تونس - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما وان اللغة ذات ارتباط وثيق بالحالة النفسية التي يمر بها الشاعر من هنا قد يستدل على الموقف الانفعالي من خلال الالفاظ ذات الصلة في النص والمفردات التي يستعملها الفرد في حالة الحزن غير التي يستعملها في حالة الفرح . وما يستعمله في حالة الوجد والحنين غير ما يستعمله في حالة الحماسة والفخر . وكثيرا ما كانت تضفي الحالة النفسية مسحة جماليه على بعض المفردات ثقيلة الظل ، والتي تخلق بدورها الاسلوب الذاتي للمبدع . من هنا قد يصح وصف الاسلوب بأنه فلسفة الذات في تحقيق الوجود . وها تدهمنا مصادر اللغة عند شاعرنا الشريف الرضي لنتعرف الى بنية اللغة والاسلوب الشريفي .

٢ ـ مصادر اللغة ومكونات الاسلوب

هام الشريف الرضي بالمعجم اللغوى العربي ، وكانت ألفاظه فصيحة حسنة الوقع في مكانها ، لا سيما وأنه من أوائل الذين اهتموا بفصاحة الالفاظ وبلاغتها ،ولا يتنن في هذا المجال أنه جامع كتاب نهج البلاغة للامام على بن ابي طالب ، الذى لم ينتف الشك عنه باعمال يده فيه ومن ثم تاليفه في المجازات لكل من القرآن والسنة فخلف لنا تلخيص البيان في مجازات القرآن والمجازات في الاثار النبوية .

أخذ الشريف اللغة من مظانها ، فكانت ألفاظه جزلة على الرغم من وضوحها وذات الفاظ بدويه . واتجه الشريف نحو قاموس البداوة يلتمس منها عبقها ،ويتحسس مواطن الجمال والاصالة فيها . من هنا قد نقول : بان لغته كانت ذات نكهة أعرابية وعبقه بدويه ، ولا سيما في مجالي الفخر والحماسة ، اللذين شكلا عمودى رؤيته السياسية والاجتماعية .

كما واتجه الى النموذج الاجتماعي والسياسي والثقافي الاعلى ، النموذج الخالد في وجدان الناس ، والضمير العربي ، من كل قطاعات الزمن في الجاهلية والاسلام والعباسيين . فردد أسماء كثيرة منها المهلهل ، وكليب ، وعنترة ،ومصعب وشبيب ، وبسطام قيس وأبي تمام وأبي نواس والبحترى .

وركز على الشخصيات العربية التي كان بعضها شاعرا على الوضع المتهلهل كعنتره وشبيب والمهلهل وغيرهم فقال : -

قد غارَ قَبْلي الرَّمْحُ في عُتَيْبَةٍ ... تَحْتَ العَوالي ، وكَلَيْبٍ واغِلِ
هبني شبيبا يومَ طاحتْ عُنُقُه ... عنْ حدِّ مفتوفِ الغِرارِ فاصِلِ
لما رأى المَوْتَ أوْ الذُّلَّ انبرى ... إلى الرَّدى مشمِّرَ الذلاذِلِ
أو مَصْعَباً لمَّا دنا ميقاتُهُ ... وَضَرَبَ المِقْدارُ بالحبائلِ
إنْ كانَ لابدَّ مِنَ المَوْتِ فمُتْ ... تحتَ ظِلالِ الأسَلِ الذَّوابِلِ(١)

(١) الديوان : ١٧٤/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتعلق أيما تعلق بأولئك الفرسان الخالدين في ذهنه ، وفي ذهن العرب فوقف واستوحى في مرثيته للإمام المنصورى الزمان وقدرته في القضاء وعلى الملوك الذين شادوا المجد العربي الزائل . فتساءل عن آل بدر ، والنعمان وآل جفنه وآل غسان[1] وتكررت هذه المواقف في شعره كثيرا ، فتغنى بالمجد العربي في مرثيته لابن جني[2] والصاحب بن عباد [3]

وذاب في معجم آليات الحرب التي أعدها ليوم الثأر المنتظر، اليوم الذى سيعيد فيه ميزان العدل الاجتماعي الى نصابه اليوم الذى كان سيشعر فيه بالتوافق الاجتماعي ، اليوم الذى يسترجع حقه وحق أهله ،فقال في قصيده يصف نفسه وقد ثار على الوضع المتوتر : -

من قبل أنْ يغلقَ يومٌ رَهْنَي ، متَى ترَاني والجَوَادُ خِدْنِي ؟
والنَّصْلُ عيني ،والسِّنانُ أُذُني ، وأصي الدِّرْعَ ولَمْ تَلِدْنِي
جنَيْتَ منْ قبلُ وسوف أجني ، أَثْني يدي ،والعَزْمُ أن أُثَنِّي[4]

فالسيف عنده ليس سيفا ماديا لا يعني شيئا في النص لكنه يعني الشيء الكثير فقد نقل صورة السيف والدرع والسنان والجواد الى شخصه ، لقد تحولت عنده الحواس الى مجسمات حربية رافقة التقطيع الموسيقى الجميل لحدود الصور فالسيف ليس سيفا مصنوعا من حديد أو فولاذ ، ولكنه عين الشريف المتألقة والحادة في سبر الواقع الراهن ، وحدس المستقبل المؤمل ، العين القادرة على التأمل في ما وراء دكنة الظلم الاجتماعي ، واصبح السنان أذن الشريف القادرة على النفاذ واختراق كل الحواجز ، السنان القادر على الوصول الى الهدف بأقصر الطرق وأسرعها ، والدرع التي يختبئ وراءها ، أصبحت أمه الحنون التي يلتصف بها لتعطف عليه وترفعه من حنانها ، وتحميه من المخاطر والمغيّبات ، والجواد أصبح خدنا طيبا للشريف لا يستطيع أن يستغني عنه . لقد أصبح الشريف معجما حربيا قائما بذاته ، وهذا ما عناه في قوله : -

اذا عَرَبِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ سيفِهِ مضاءً على الأعداءِ أنْكَرَهُ الجَدُّ[5]

وتعلق الشريف بالنماذج العليا التي انحدرت اليه من أجداده العرب فهو لا يهتم بالفرسان فقط ، ولكنه كان يهتم بالشعراء العرب الذين كانت لهم اضاءات في ساحة الفكر الابداعي العربي كمسلم بن الوليد وابي تمام وأبي نواس والمتنبي

---

(١) الديوان : ٢/٤٦١ .
(٢) الديوان : ٢/٦٥ .
(٣) الديوان : ٢/٢٠١ .
(٤) الديوان : ٢/٥٣٣ - ٥٣٤ .
(٥) الديوان : ١/٣٣٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والبحتـــــري [1] فقال واصفا قصيدته الحماسية الفصيحة : -

شِعْراً أُثيرُ به العجاج بسالـــــةً ... كالطَّعن يُدْمي والقَنَا يتحطَّمُ
وفصاحةً لولا الحياءُ لهجَّنَـــــتْ ... أعْلامَ ما قالَ الوليدُ ومسلـــمُ [2]

واهتم الشريف بالملوك العرب السابقين من آل يزن وتبع ، والنعمان بـــن المنذر ،واستحوذ الاخير على اعجابه ، فرثاه رثاء مرا ، ورثى مملكته الخيـــرة فوقف على أطلالها غير مرة فقال في احداهن : -

حلَلُ المُلوكِ رمى جذيمة بينهـــا ... والمنذرَين ،تغايُرُ الأزمـــانِ
طرْداً ،كدأب الدّهر في طَرْد الألَى، ... وَالَى الحفائظَ في بَني الدَّيَّـانِ
نعقَ الزّمانُ بجمعهمْ عن لَعْلَـــعٍ ... وأقض منزلَهم على نجـــرَانِ
وكآل جفنةَ أزعجتَهُمْ نَبْـــوةٌ ... نقلتْ قبابَهُمَ عن الجـــوْلانِ
وعلى المدائن جلجَلَتْ برعادِهـــا ... عَرَكاً لكلكلِها على الإيـــوانِ [3]
وإلى ابنِ ذي يزنٍ غدتْ مرجولـــةً ... نفضت حويتها على غمـــدانِ

وعمدت الى المعارك العربية الخالدة وخاصة معركة ذي قار ،فهي المعركة التي أثارت شجونه ، واهتم بها أيما اهتمام ، أهمته لانها جسدت العلاقة بين العـــرب والفرس ، جسدت البطولة العربية والاباء العربي ، والحرية العربية ، والرفـــض العربي للظلم الاجنبي ، المعركة التي جسدت القومية العربية الصحيحة التي دعـــا اليها الشريف غير مرة ، لذا استحضر معركة الشرف العربي مع الفرس أمام الملـــك البويهي دون أن ترتعد فرائصه بلا وجل أو خوف ، ولكن بعظمة وكبرياء ، عظمـــة المنتصر السابق ، وقال بأنه سيكمل المعركة التي بدأت ،وسيكون البطل الثانـــي بعد النعمان ، وسيطا أرض الظلم ثوريين عظماء من قريش وهم أشبه ما يكونـــوا بأبطال ذي قار فقال مخاطبا الملك : -

وربَّ ركائبٍ من نَحْوِ أرضـــــي ... تنُبُّ إليك بالعَجَب العُجَـــابِ
وتصبح لاتني عجبا وقـــــولاً ... أهذا الحدُّ أطلَقَ من ذُبابـــي
فكيفَ اذا رأيتَ الخيلَ شعثـــا ... طلعْنَ من المخارمِ والعقَـــابِ
تذكّرُكُمْ بذي قارٍ طعانـــــا ... وماجرَّ القنا يومَ الكُـــلابِ

---

(١) الديوان ٣/ ٣٤٥ ، ٤٣١/١ ، ٥٠٤/٢ .
(٢) الديوان : ٣٤٥/٢ .
(٣) الديوان : ٤٧٠/٢ . انظر ٤٦٨/١ . جذيمة : هو جذيمه الابرش المنذرين: هما المنذر الاول والمنذر الثاني ملكا الحيرة ، لعلع : جبل بالبادية ،نجـــران بلد باليمن آل جفنه : الغساسنه . الجولان : من عواصم الغساسنة ، ابن ذي يزن ملك من ملوك اليمن غمدان : قصر لملوك اليمن . المدائن : مدائن كسنـــرى الايوان : ايوان كسرى الكلكل : الصدر .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عليها كلّ أبلجَ من قريـــش ، لبيق بالطّعان وبالضّـراب(١)

هذه صفات الفرسان الذين قادوا معركة ذى قار انهم قرشيون وهـــذه صفات فتيانه فهم أشبه مايكونوا بفرسان ذى قار .

فاهتمامه بالنماذج العليا لفئتة الاجتماعية لم تقتصر على ما سبق ،بل تعدتها الى ذكر الخيول العربية الاصيلة المشهورة في موروث العرب الثقافي والتي يستدل بها على عراقتها وعراقة أهلها في الحرب والفروسية ، فرأى نفسه وقد اعتلى هذه الخيول ،ومنها داعر وجديل وشدقم ولاحق فقال في قصيدة مخاطبا بها والده : -

دلّك ركابَكَ أيْنَ سرْتَ كأنّمـــا
وصّى المطيّ بكَ الجديلُ وداعـــرُ(٢)

واستقصى كل صفات تلك الخيول العريقة واهتم بنسلها كما اهتم بنسلهـــا أجداده من قبله ، وجعلوها عماد نجاحهم في معركة صفين والجمل فقال : -

بالخَيْلِ لا تُعلَقُ الا شَدّهـــا ... أو مَلْقَها بالبيد واندرَاهَـا
مثلِ الرّماحِ هُزهِزَتْ كعُوبهُـا أو كالذّبَابِ اتّبَعتْ أطْمَاعَهـا
كأنّ عِقْبانَ الشُّرَيْفِ فوْقَهـا تعلو قِنانَ الأرضِ أوْ جِزاعَهـا
تلمَحُ ما عارَضَها بأعيُـــن ، مثلِ الجُدَى طارحةً شُعاعَهـا(٣)

شبه الخيل بالرماح والذباب والعقبان في سرعة انقضاضها، وقدرتهـا على الرؤية ،وسرعة عدوها ،وفي قدرتها على الوصول الى الهدف المحدد لها. واذا ما وقف مناجيا أطلالة فلا تليق بعينه الا قباب بني عامر أو أراضي نجـد ومنازل النعمان وذى سلم ، وخاطب القبيلة العربيةفي مطالع قصائد منها .

بني عامر ما العزّ إلا لقـادر على السّيفِ لا تَخْطو إليه المَظالمُ
ضجيعُ الهُوَيْنا يَقْلِبُ الخَصْمَ رأيُهُ وأكْبَرُ سُلطانِ الرّجَالِ الخَصَائِمُ
أرى إبِلَ العوّامِ تُحدَى على الطّوى وتأكُلُ حوذانَ الطّريقِ المناسِمُ(٤)

---

(١) الديوان : ١٩١/١ انظر ٢٧٥/١ .
(٢) الديوان : ٤٣٥/١ .
(٣) المصدر السابق : ٦١٨/١ - ٦١٩ . الملق : السير الشديد ؛ الشريف : اعل جبل في بلاد العرب ؛ الجذى : الجمر الملتهبة .
(٤) المصدر نفسه : ٣٦٤/٢ الطوى : الجوع ؛ حوذان : نبات طيب الطعم زهره أحمر المناسم : أخفاف البعير ؛ العوام : داعية الشريف .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جدد الشريف في نظرته للأطلال ، ولم تعد تعني الوقوف على أطلال المحبوبة فقط ، أو مجرد تقليد درج عليه القدماء وقلده صاحبنا ، ولكننا وجدناه يربط الاطلال في أغلب الاحايين - بالقبيلة العربية ، احدى اسس بنية رؤيته الاجتماعية والسياسية القائمه على العروبة - ونراه وقد وقف على منازل بني عامر في قصيدة يصف فيها الاسد . وما هذا الاسد الا الانسان العربي ،القائد الثوري ،ملك الساحة العربية وملك الثوريين ، وربما الشاعر نفسه [1] ووقف على منازل بني عامر في قصيدة يخاطب فيها بهاء الدولة عام ٤٠٢ قال فيها : -

ذكرت على بُعْدِها من مَنالي ، منازل بين قباً والمَطَال
ومبنى قباب بني عامر على الغُوْر أطنابُهُنّ الغَوالي
عقائلُ علمهن العفا ف وَصْلٌ المطال ومطل الوصال
مرابع يُشكو بهن الجَرَاحَ أسودُ الشَّرَى من ظباء الرِّمال[2]

أما نساء بني عامر اللواتي تغزل بهن ، فهن عقائل عفيفات مصونات ،من هنا كان تعلقه بهن تعلقا نفسيًّا - ان جاز التعبير - وبمعنى آخر ،كان تعلقه بهن لفضلهن ومحافظتهن على الاخلاق العربية في زمن انبتت فيه الاخلاق . وقد يعود تعلقه بهن الى كونهن عربيات ، وجديرات بالاحترام والمحبة . ولا ننسى أن أبا العوام بن ليلى الداعية هو من بني عامر ، ونسوة انجبن مثل هذا النموذج المخلص الوفي لهن جديرات بان يصبحن النموذج في الوفاء "الوفاء للامة العربية كونهن أنجبن ملتزما بالمجتمع العربي ، نموذجا في الوفاء في كل شيء ، من هنا وظف هذا الاحساس في مطالع قصائده لان القصيدة ذات بنية متكاملة وذات علائق واتصال فيما بين أجزائها فالمطلع ليس غريبا عن القضية المحورية التي تحترق حولها النص ، وكذلك الطلل والنسيب والرحلة وغيرها ، تخضع لخيال الشاعر الوامي وانفعاله المنظم لشرائح النص .

ووصف نجديا تألق في جبل رضوى ومناكب ريم ، فأسند للنجدي صفات متعددة من قوه وخير وخصب وقدرة على العطاء فقال فيه :

تألق نجديٌّ كأنّ وميضَهُ قواعدُ رَضْوَى أو مناكِبُ ريمِ
أقولُ لهُ لمّا تفارط صَوْبُهُ وراكك قد أُلقَحْتَ كلّ عقيمِ
تبعقْ حتى خِلْتُ أن بُحَاقَهُ على عَدَم الجَدْوى أكف تميمَ[3]

---

(١) المصدر نفسه : ١٤٥/٢

(٢) المصدر نفسه : ١٤٥/٢ . انظر ٢٧٣/٢ .

(٣) الديوان : ٣٣١/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فربط العطاء والقدرة بالمكان العالي المرتفع (النجدي)(١) ولكن لم تكن مميزة وجدها بذلك ، بل كانت المكان العالي القادر على العطاء كأكف تميم فحضور (أكف تميم) كان فاعلا مؤثرا ، أكثر من النجدى ، فتق الماء في الارض الجرباء وأنقح الارض اليباس بالماء والخير ، عن طريق عقد مشابهة بين النجدي (على التوربه) المتعالق الفاعل بطبيعته بالرجل التميمي النموذج في الكرام والجود .

وانصرف أيضا الى معجم الفضائل العربية ، وركز عليها في حاله ماكان المخاطب عربيا ، يلصق به صفات السيادة والكرم والعفاف والمروءة وحسن الجوار والشجاعة والزعامة والاباء . واذا ما كان المخاطب أعجميا نراه قد جنح الى لغة الترف والترفة والتملك والقدرة الاداريه فها هو يصف بهاء الدولة :-

مقيم بحيّ على فارسٍ رقاقِ البُرودِ ، رقاقِ النِّعَالِ(٢)

فأى فضيلة نسبها للملك البويهي حين وصفه بأنه من قوم لباسهم رفيقه ونعالهم رقيقه ، انها أقرب الى التجريد منها الى الفضائل ، وأقرب الى السخرية منها الى المدح كونها مظهرا جميلا ومخبرا فارغا . فأين هذا من وصفه لال المقلد بن المسيب في رثائه له : -

فأين الجياد الملجمات على الوحى ... سراعا الى نقع الصريخ المنددد
وأين الطوال الزاغبيات لويثها لنال بها ما بين نسر وفرقدد
وأين الظبى ما زال منها بكفة رداء عذيم ، أو عمامة سيدد
وأين المدى ما تذرع البيد والدجى الى أقرب من نيل عز وأبعدد
وأين الجفان الغر من تمع الذرى سجان الاعالي بالسديف المسرهدد
وأين الذرور الراسيات كأنها سماوات ربلان النعام المطردد
وأين الوفود الماتحون بباب بسجلين من بحريْ وعيدٍ وموعدد
أبعدَ الطوّالِ الشمّ من آل عامرٍ الى البيضِ والأدراعِ والخَيْل والنَّدي(٣)

فالفاظها تدل على السيادة والكرم والشجاعة ، أداها بتركيب سباعي استفهامي من (اين ؟) المليئة بجرس مأساوي حزين ، وحروف وهاجة ذات نكهة أعرابية فبموت القائد فقد كل تلك الفضائل ، فقدَ رضا الجمهور ، فقد السيوفَ الطويلة الفاعله ، فقد الدروع الحاميه ، فقد الكرم والجود ، إذن فبموته ماتت الفضائل ولم تمت الملوكيه والتيجان المذهبة والبرود الرقيقة التي تغنى بها .

---

(١) النجدى : الجبيل المرتفع . قواعد رضوى ، ومناكب ريم : اسماء مواضع .
(٢) الديوان : ١٤٧/٢ .
(٣) الديوان : ٣٧٠/١ - ٣٧١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهام بالشيح والغضا والسدر والاثل واراك ، تلك النباتات التي تغنى بها الشعراء القدماء وأصبحت جزءا من الموروث الثقافي في ذاكره الشعراء العرب ولم يجنح الى الورود الفارسيه كالنرجس الغض والاجاص والتفاح ، وغيرها من الالفاظ الحضارية التي شاعت في المدينه وتغنى بها شعراء الترف ، شعراء بغداد فقال : -

لهُمْ سامِرٌ تَحْتَ الظَّلامِ وراكِدٌ على النّارِ يذْكيها بضَالٍ وغَرْقَدِ (١)

أرغم أن المعجم اللغوى البدوى كان أهم مصادر لغة الشريف والتي اختارها بوعي منظم منه ، وبدائية جليه . وهذا يدلنا على بنائية تفكيره موضوعيا وفنيا وهذا ينطبق على أسلوبه في تناول اللغة الاجتماعية ولم تكن لغته مفردة بكل كانت تنم عن اسلوبه في التناول ، سواء كان في المقدمة أم في الموضوع الرئيسي أم في الصور الفنية المنحدره من لنماذج المعليا في الوجدان العربي ، كلها اندمجت مع ذاتيه التي أعطته الفرادة في التناول ، والفرادة في تكوين معجمه الاجتماعي العربي .

أما المصدر الثاني الذى غرف الشاعر لغته من معينه ،فهو الفكر الذى كان ينتمي اليه الشريف ، الفكر الذى مات وغصته في حلقه الفكر الشيعي المعتدل اذ دعا الى توحد المذاهب ومحاربة الطائفية ، وعلى الرغم من ذلك ،وردت مفيردات شيعيه . ولا أريد تناول المفردات الشيعية بصفتها مفردات فقط بل بصفتها مفيردات ضمن أسلوب آثر في شعره ، وبمعنى آخر سندرس أثر الفكر الشيعي في فنية الشريف ولغته وأسلوبه .

من مبادىء الشيعة التي وردت كثيرا في شعره مبدأ التقية وعلم الباطن والظاهر . وبرز هذان المبدءان بشكليهما التعبيريين والمتمايزين بين الجلاء والخفاء والوضوح والايماء ، وخاصة في حجازياته اذ قال في احداها .

أاللّهُ إنّي إنْ مَرَرْتُ بأرضِها فؤادِيَ مأسورٌ ودمعيَ مُطْلَقُ
أكُرُّ إلَيْها الطَّرْفَ ثمّ أرُدّه بإنسانِ عينٍ في مَرى الدمع يغْرَقُ
هوايَ يمانٍ كيفَ ،لا كَيْفَ نلتقي وركْبيَ منقادٌ الغريبَةِ مُعْنِقُ (٢)

تجلت في المقطوعة السابقة المقابلات والاضداد ما بين : -

هوى يمان و ركبي معنق
فؤادى مأسور و دمعي مطلق
أكر الطرف و أرده .

---

(١) الديوان : ٣٧١/١ .
(٢) الديوان : ٧٦/١ . صوي : الماء اذا طال مكثه كناية عن كثرة بكائه .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهذه الثنائيات التي أدتها الصور الحركية والبصرية لتشعر بانقسام الشاعر الى قسمين : -

الظاهر والباطن ، وحقيقة أنه يسكن العراق ، وفي داخله يريد أن يسكن اليمن ، فهذه الثنائيات ايضا تجلت على مستوى أكبر ، وهو كون المقطوعة قيلت في شكل حجازية ، وفي داخله تتجاوز هذا المستوى ، وتحمل على الرمز والمفاجأة الاسلوبية من أنها تعْني غير ما عنت ظاهرا ، وهو الفكر الثوري العربي الذى انتمى اليه الشاعر وكذلك محبوبته تمثل النقيضين في كل شيء : -

أنْتِ النَّعيمُ لقلبي ،والعذابُ لهُ ... فما أمرُّكِ في قلْبي وأحْلاكِ
عِندي رسائلُ شَوْقٍ لَسْتُ أذكرُها ... لَوْلا الرَّقيبُ لقَدْ بَلّغْتُها فاكِ(١)

فهي تمثل له عالم الاضداد والتنافر ، ولا يملك القدرة على حل هذه الاشكالية أو فك التضاد ، وايجاد حالة من التمازج والتواؤم فهي :

النعيم والعذاب ، الحلاوة والمرارة ، يملك رسائل شوق لها ولا يقدر على تبليغها لها .

فهناك فجوة توترية ما زالت قائمة بين الالفاظ في جو مؤلم من احساسه بالخوف والرقابة ، وعدم القدرة على البوح بما يكنه قلبه لها اضافة الى انها تكمن في قلبه ولا يستطيع أن يبوح لها بشيء .

ترى من تكون تلك المحبوبة التي يشخصها لنا ، وأوضح لنا معالمها ،ومعالم مكانتها في قلبه ، قال في مقطوعة اخرى : -

يا طيبَ نَجْدٍ وحسنَ ساكنِهِ ... لَوْ أنَّهُمْ أنجزُوا الذى وَعَدُوا
قالوا،وقَدْ قُرِّبَتْ ركائبُنا ... والقَلْبُ يظما بهمْ ولا يَرِدُ
أتارِكٌ أرْضَنا ،فقلت لَهُمْ: ... أنجدَ قلبي وأغْرَقَ الجسَدُ (٢)

يعيش الشاعر حالة مضطربة اذ تتنازعه فشتان ، وقلبه قد انفصم وانفصل الشريف الى قطبين حادين منفصلين تماما لا يلتقيا أبدا :-

العراق و نجد
الجسد و القلب
يقيم حضويا ويهوى الاقامة .

---

(١) الديوان : ١٠٧/٢ .
(٢) الديوان : ٣٩١/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فهذا الفصل الحاد بين الجسد والقلب للشريف يدل على حالة توتريه يمر فيها الشريف ويعانيها ، فكلاهما أي (العراق ونجد) عزيز على قلبه ،ولا يستطيع أن يفرط بهما أو بأحدهما ،اذ بفراق أحدهما تنتهي ذاتية الشريف ووجوده وفي الوقت نفسه لا يقدر على الجمع بينهما ، وهكذا ظل قلبه دون حل . ولم يقدم لهذه الاشكالية حلا . .

وكثرت الاضداد في قصائده حتى كادت لا تخلو قصيدة من قصائده حتى تقترب لتصبح سمة من سمات الشاعر ، وخصيصة من خصائص أسلوبه في التعبير ، وعملية التواصل مع الجمهور .

وانتقلت الضدية من كونها موجودة في القصيدة الواحدة أو الابيات منفردة لتكون في كل النصوص مجتمعه والا فكيف نفسر نقلة الشريف من تبجحه بالنسب العريق النسب الهاشمي ، وحماسته العارمة وتهديده بالثورة الى تدبيج مدحياته الطوال والمشهورة في الملكين المتنافرين القائمين على الامور في البلاد ،الخليفة العربي الذى وقف أمامه بغض النظر عن ملته . والملك البويهي لأنه أعجمي لا ينتمي للعروبة بأى صلة . هذا شيء ، وشيء آخر كيف تحول الشريف من الفخر بالأنا والذات الشريفيه العربية ، وحماسته الجارفة الى غزل رائع النغم موسيقي مؤلم الايقاع ، وبصورة ضدية جميلة وتقنية داخلية صارعت البيت .

فهذه الثنائية في تحول الشريف فنيا ليست غفلا من الروية الاجتماعية والعقدية ولكنها تنتمي الى صميم الفكر الشيعي الى مبدأ التقية الذى آمن به الشريف فوظفه في تجاربه الشعرية وبدا معادلا موضوعيا للمصطلح الشيعي ، فكونه كان مؤمنا بهذا المبدأ ، وهو أحد رؤاه السياسية الذى كان يبطن ثورته ، ويظهر الولاء للسلطات الرسمية أحيانا أخرى ،وانتقلت عدوى هذه المبادىء الثورية والفكرية الى شعره .

من هنا تميز أسلوبه عن غيره من شعراء عصره في رفض الواقع المؤلم والتهالك نحو المثال المفقود - كما رأينا في حجازياته - وفي تطور فكره الفني اذ كانت حجازياته من المفاجآت الاسلوبية كونها قبلت ظاهرا في شكل حجازية . وباطنا هي ثورة سياسية واجتماعية بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

وكان قد عبر صراحة عن أخذه بهذا المبدأ في علاقته بملوك عصره وقد أشير اليه سابقا اذ قال : -

وما مدحتهمُ أني رَجَوتهُمُ ... لكنّهُ مُوَدٌ من شَرَهِمْ ورُقَى
كفى بِقَوْمٍ هجاءً أنّ مادِحَهُم ... يُهدِي الثّناءَ إلى أعراضِهِمْ فَرَقا (١)

---

(١) الديوان : ٨٤/٢ - ٨٥

فهذا قول صريح يدل على الفكر الذى كان ينتمي اليه الشريف ،والذى أثر في لغته وأسلوبه ، من هنا كانت لعقديته سيطرة على فنه . وهذه قمة الحداثة والفرادة رغم تمسكه بالنموذج الموروث .

٢ - ومن أفكار الشيعة التي اثرت في لغة الشريف الاجتماعية والسياسية نظرية العدل ،والحس الجمعي للشيعه بالحق المفقود أوحيا له بالزمان فأصبح للزمان دلالة في رؤية الشريف السياسية والاجتماعية ، فجسد الزمن ونقله بأسلوب لا توقعي أسلوب المفاجآت الشعرية . اذ جسده بصورة الغول المتآمر مع الغدر في اقتناص الحق من أصحابه ، واسكانه الذل . وجلس القرفصاء ينتظر دورة الزمن الاعرج ليأتي بالخوارق ، بالبطل الخارق المنقذ للوضع المتردى ، فرفض الجمود والثبات والتحجر ،وتمنى تغيير عجلة الزمان فصرح : -

أما تُحَرِّكَ للأقدارِ نابِضَةٌ ؛ أما يُغَيِّرَ سُلْطَانٌ ولا مَلِكُ؟
قد هادَنَ الدَّهْرَ حتى لاقِراعَ لهُ ، وأطْرقَ الخَطْب حتّى ما بِهِ حَرَكُ(١)

لقد شكا الزمان المتحجر المتصلب الذى رفض التحول وتغيير سنته ،وقرن الزمان بالسلطان ، وتسلط الزمان حقيقة هو تسلط السلطان ، لذا تمنى تغيير الزمان ليتغير بدوره السلطان ، فقد سئم تسلطه . فهو في الحقيقة لا يشكو الزمان (الدهر) ولكنه يشكو القائمين على الامور في هذا الزمان ،وقد استمروا في ظلمهم ، وفي تسلطهم كاستمرار الزمان .

كما ونسب اليه صفات الملوك والسلاطين ، لذا تعجب من قدرة الزمان الحقيقي على اماتة الصاحب بن عباد المتسلط على الامور فقال : -

أكذا المَنونُ تُقَنْطِرُ الابطالا أكذا الزّمانَ يُضعضِعُ الأجْبالا
يا آمِرَ الأقدارِ كيف أطَعْتَها
أوَ ما وَقَاك جلالُك الآجالا
الا أقَالْتكَ الليالي عثْرَةً
يا مَنْ إذا عَثَرَ الزّمانُ أقالا
لا تأمَنَ الدُّنيا عَلَيْكَ ،فإنها
ذاتُ البُعول تبدّلُ الأبْدالا(٢)

---

(١) الديوان : ٢/١١٠ .
(٢) الديوان : ٢/٢٠١ - ٢٠٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصاحب كان قد غلب الزمان ولكن الزمان اليوم قد صرعه ، اذن لقد اكتسب السلطان أيضا فاعلية الزمن اذ كان يوما قد غلبه ، حتى وسم المرثي بأنه أمر الاقدار ومقيل العثرات .

ومرة أصبح الزمان حجر عثرة في طريقه الى المجد ، ومثل له الخذلان والرفض : -

وعِنْدي إلى العلياءِ طُرْقٌ كثيرةٌ ... لَو انجابَ من هذي الخُطوبِ ضَبَابُها
عِنادٌ مِنَ الأيّامِ عكسُ مطالبي ... إذا كان يوطيني اللجاجَ اقتزابُها (١)

ولم يستطع الوصول الى هدفه نتيجة لاصطدامه برفض الايام ، لذا رفض الاذعان له . فتجرأ عليه ودعا الى محاربته اذ قال : -

كَيْفَ لا أغلبُ الزّمانَ ،وهذا الـ ... نَدْبَ يغدو على الزّمانِ حليفي (٢)

جعل الشريف الزمان انسانا ، واسند اليه صفة الحرب ،اذ عقد حلفا مع المصائب لتكون عضدا له في محاربة الشريف ووالده . لذا قرر الشريف محاربته ولكن أي زمان هذا الذى سيحاربه ؟ ليس من شك أنه السلطان القائم الذى كان سببا في خيبة الشريف واحساسه بالفشل السياسي . ولن يغلب الزمان (السلطان) الا بالبحث عن العدل الضائع والحق المهضوم واعادته لاصحابه ، وعندها يكون الزمان وجها من وجوه السلطة البويهية المرفوضة .

نقل الشريف الزمان من دلالته الكمية الى دلالته الرمزية الفنية ،وتحولت الى رؤيا شعرية جميلة تجلت بمفاجأة أسلوبية آتية من عمق فكرة الديني والشورى.

وجرد الزمان من فاعليته ، لينسبها لنفسه ، فهو في حرب مريرة معه اذ قال في احدى فخرياته : -

لم يثقّفْ عودي الزّمانُ ، ولكنْ ... ضَجّ عودُ الزّمانِ من تثقيفي
قلت للدّهرِ يومَ رامَ اختداعي ... عن جَناني الماضي ونفسي الطّروفِ
عد ذميماً هُبِلْتَ واطلبْ لشتْمِ الـ ... ـذلّ ،يادهرُ غيرَ هذى الأنُوفِ (٣)

---

(١) الديوان : ٦٩/١ .
(٢) الديوان : ٢٩/٢ .
(٣) الديوان : ٢ /٢٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهنا أصبح الزمان معادلا للناس الى جانب كونه معادلا للسلاطين، فشتمه بعد أن أعلن ثورته وخذله الناس ، من هنا تحول الى شتيمتهم عن طريق شتم الزمان كما قال الصائغ : " فاذا شتم الشاعر الزمان فقد تنصرف شتيمته الى الناس ، واذا حمد الزمان فانما حمده يعني حمدا للناس "(١)

وأكثر الشريف من شكوى الشيب اذ كان أحد أوجه الزمان، فكان الشيب هو الوجه المضاد للشباب والحيوية ، الوجه المضاد للماضي الذهبي الذى كان يعتز به ، الماضي الحلم ، وعتبة الثورة التي أعلنها فداهمه الشيب على حين غرة لكثرة الهموم التي ساورته ، اذ كان تهديدا للزمن الاجمل في ضميره وان أعلن بكبرياء على همومه بأنه وقار وحلم، وأنه يرحب به فقال في احدى قصائده :-

واها على عهد الشباب وطيبه ... والغض من ورق الشباب الناضر
واهاله ما كان غير دجنة ... قلصت صبابتها كظل الطائر
سبع وعشرون اهتصرن شبيبتي ... والن عودى للزمان الكاسر
لو يفتدى ذاك السواد فديته ... بسواد عيني بل سواد ضمائري
أبياض رأس واسوداد مطالب؟ ... صبرا على حكم الزمان الجائر
ان اصفحت عنه الخذود، فطالما ... عطفت له بلواحظ ونواظر (٢)

تأوه في الابيات السابقة على الزمان الغض المترع بالشباب والحيوية اذ كان له سورا ودرعا من ضروس الزمان الاشيب . ولم يعن بالزمان الزمان الكمي ، ولكنه عنى الدلالة الخفية لتلك اللفظة ، اذ كيف تجرأ الشيب وهاجم نضارته وشبابه ، فلان عوده بعد اشتداد ،وشاب وهو ابن سبع وعشرين ،فقترت حماسته بعد جذوة واشتعال ،وتمنى افتداء سواد شعره بسواد عينيه أو قلبه ولكنه لم يجد الى ذلك سبيلا . واظهر دهشته واستغرابه من المفارقة التي يحسها من الشيب الابيض والواقع الذى يعيشه ، ومن مطالبته بالسواد الماضي الذى فقده . وتحسرّ على الزمان الذى كانت فيه المرأه تلاحقه بلواحظها وقلبها ، ويمتلىء حزنا على اعراضها اليوم عنه ،لا لشيء الا لشيب هجم على رأسه . وهذا لا يعني أنه كان يبكي وصل المرأة فقط لا بل كان يبكي زمن الثورة التي انطفأت في بداية شعلتها ،يبكي قوة الشباب المندثر ، ويقظة الاحلام الجميلة ،واصبحت المرأة رمزاً لفكرة الثورى . وتبدد أحلامه وفشل أمانيه ،فعزى نفسه في موقف آخر بأن الشيب طريق الى التعقل والوقار والهمة والعزم فقال : -

---

(١) الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام : عبد الاله الصايغ . ص١٩ — دار الرشيد — ١٩٨٢ .

(٢) الديوان : ١/٤٨٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبلغْ ظباءَ الحيّ أن فـــؤادَه ... قطعَ العلاقةَ ،وارْعوى للزاجـــر
أوردتني فعلمتُ أن مَـــواردي ... لولا النّهى ،لم أدْرِ أينَ مصادري
فالتْتُ لُبّاً مِنْ علائقِ صبْـــوة ... ونَشِطْتُ قَلْباً من جوَى متخامـــر
أنا من عَلِمْتُنَّ الغداةَ نقيّـــةً ... أزرى ، وضامنةَ العَفاف مـــآزري (١)

فالزمان له دلالات عدة عنده ، اذ ربطه بالسلطان والظلم والثورة ،والتجدد و الرفض والخذلان والقيم السامية والمتردية . كل تلك الدلالات قد تجاوزت معنى الزمان الكمي ليصبح أحد أسس رؤية الشريف المذهبية ، فالزمان المعاش خرب وظالم ومتسلط والناس تنتظر المهدى المنتظر اذ يعيد للحياة الخربة جمالها وبهاءها وخيرها لذا كان وصفه لوالده السجين الغائب بأنه مخرس الاقدار . (٢)

وشاعت المبادىء الشيعية على شكل مفردات في شعره ، وقد أشير اليها في الفصل السياسي ،كالامامة والغيبة ،والوصي والولى ،وعاشوراء ،والغدير ،والباقر صاحب الكشف ،ونظرية العدل والتوحيد ، ونظرية الافضل والمفضول ، ولكنها لم تؤثر في أسلوبيته الفنية كما أثرت التقية والزمان الذى هو الوجه الاخر للغيبة .

٣ - المصدر الثالث الذى نهل الشريف لغته من معينه هو التجربة الشريفية والموقف الانفعالي الذى يمر فيها ومدى أثر التجربة الشريفية في ايجاد النغم الموافق لذات الشاعر المبدعة ، وايجاد الالفاظ المناسبة لذلك الايقاع الحزين تارة وايقاع صلصلة السيوف الشريفية تارة اخرى .

لقد أعطت الحالة النفسية للكلمة مدلولا جديدا غير المعنى المعجمي الذى تحمله مفردة قائمة بذاتها ، خاصة ان توافقت مع التقفية والايقاع الموسيقي الذين يناسبان مع حدة الحروف وتوهجها ،أوخفوتها وسلاستها ،أو جزالة تركيب الجمل وعمق المعاني المنضوية وراء قوافيه المضيئة . وخاصة في حجازياته اذ حملها عالما متناقضا من الاحاسيس والانفعالات اذ كان يبدو في احداها قد ملك الجرأة العنيفة في التعبير عن حبه الكامن لبدويات الحجاز ، وقد تميزت بحس موسيقي يطرب الأذن ، ويسرها اذ يستمع الى تلك الغزليات الجميلة ،وبدا مالكا لكل تلك الفتوة التي تجلب الخير ، وبعدها نراه يائسا حزينا وقد بكى واقعه : -

---

(١) الديوان : ١/٤٨١ .
(٢) الديوان : ١/٣٦١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أغَدراً يا زمانُ ويا شبابُ أصابُ بدا لقدْ عظُمَ المُصابُ
وما جَزعي لأنَّ غربَ التَّصابي، وحلَّقَ عن مفارقيَ الغُرابُ(١)

فتسلل شبح المأساة الى النص، وعانى غدر الزمان وعظم المأساة، وحلول الشيب في رأسه، اذ شبه الشباب تشبيها مأساويا بالغربان، ليرتفع فوق آلامه ثم نراه قد جنح في النص نفسه الى الشريحة الاجتماعية، وقد ملأها عنفاً موسيقيا وألما تجلى في حروف النص الهمسية : -

وتغدرُ بي الأقاربُ والأدانـي، فلا عجبٌ إذا غدرَ الصحابُ
وأملُ أن تفي الأيامُ نفسي وفي جنبي لها ظفرٌ ونابُ(٢)

وبدا التهلهل الايقاعي الممثل بالغدر والظفر والناب ولهفة نفسه للخلاص من هذا الواقع ثقيل الظل، واذا ما اشتدت ثورته، وفاضت دفقاته الشعورية وتوهجت حروف القصيدة، يعاضدها النبر الموسيقي : -

رمَوْني بالعيوب مُلفَّقاتٍ، وقَدْ علموا بأنّي لا أُعابُ
وإنّي لا تُدنّسُني المخازي، وإنّي لا يَروّعُني السِّبابُ
ولمّا لَمْ يُلا قوْافيَّ عيْبًا كَسَوْني من عُيوبِهِمُ وعَابوا (٣)

وأحسن الشريف في التعبير عن احساسه في كل لوحة من لوحات القصيدة الواحدة فشريحة الغزل كانت تسودها ألفاظ الخوف والذعر، والالتفات، والغيور (زوج المعشوقة)، والعنف والهوى والبين، والظلم ... الخ . وقد أثرت هذه الالفاظ في تصوير لوحة حركية من صوره الغزلية فقال : -

أما ذُعِرَتْ بنابَقرُ الخُدورِ، وغِزْلانُ المَنازلِ والقُصورِ
عشيّةَ ما التفَتْنَ على رَقيبٍ، ولا استحيَيْنَ من نَظَرِ الغَيورِ
أكنت مُعَنّقي لَمّا التقَيْنا على وَطَرٍ من الذّمَنِ الدّثورِ
نَبَلٌ منَ الدّموعِ على زَفيرٍ مراتِعَ ذلكَ الظبْيِ الغريرِ(٤)

كان يتصل بمحبوبته على وجل وخوف من الرقيب الراصد، وساد وصالهما جومن التوترية والخوف . يريد الانعتاق من هذا الضيق الذى خنق أنفاسه، فلم يقدر على ذلك، واكتفى باطلاق الدموع، لذا أحس بالظمأ اليها، فملئت مقلتاه بالدموع

---

(١) الديوان : ١٢٤/١ . الغراب : الشيب .
(٢) الديوان : ١٢٥/١ .
(٣) الديوان : ١٢٧/١ .
(٤) الديوان : ٤٤١/١ - ٤٤٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وارتد مذعوراً لمداهمته زوج المحبوبة ،ولكننا نفاجأ بموقف المحبوبة ،بأنها لم تخف زوجها والرقيب عليها . فتلاحقه وتفرض نفسها على الشاعر العاشق فهي صورة مليئة بالتوتر والخوف والذعر .

ومن المدهش ايضا انه في أغلب الحجازيات صور لنا المرأة المحبوبة زوجة زوجة جريئة لا تخاف الرقباء ، وتلاحق الشاعر رغم احساسه بالخوف .وفي الوقت نفسه كان عاشقا لها ويصر في طلبها وتكتم لذلك ، بينما هي تصر على البروز والظهور.

فالمحبوبة في عمقه النفسي وفضاءه السياسي رمز للخلافة التي يلاحقها الشاعر ، وهي ترفض أن تكون له ، والزوج هو السلطان القائم على الخلافة والشاعر المحبوب هو صاحب الحق في الخلافة اذ بدت له مزينة .

واذا ما جنح نحو المجتمع يتأمل أخلاقه ، بدأ الحس المأساوي يسيطر عليه اذ قال في القصيدة نفسها :-

عذيري مِنْ بلادٍ ليس تخلُـــو ... سوائي ،من مَليكٍ أو أميَـرِ
تضن وقد ضَنَنْتُ ، فما أراهـا ... بِعَيْنِ المستعير ،ولا المُعيرِ
اذا أدنيت رجلي من ثَرَاهـا ... فَزِعتَ بها إلى قَتَد البَعيرِ
أرى تَرْكَ الصَّلاة بها حـلالا ... فما أمتاحُها ماء الطَّهُـورِ (١)

فسادت ألفاظ البخل والفساد والجفاف والانحلال والنجاسة والكفر والخطيئة فالصلاة لاتجوز في أرض هذه صفتها ،وصفة ساكنيها ، فهي أرض الخطيئة ،تحتاج الى الطهارة . وتميزت بالبخل فبخلت على أبنائها في كل شيء ،لذا خاف من النزول فيها .

أما الوالد في اللوحة الاخرى من النص نفسه بدا وجها مضادا لانفعالاته السابقة ، اذا اتجه كل احساسه للبطل المنقذ ، فتهللت أساريره ،وبدت تفعيلات النص فرحة منسجمة مليئة بالحركة والحيوية اذ قال : -

إذا بابُ الحُسَيْنِ أضافَ رَحْلـي ... أذُمَّ على المَطِيِّ مِنَ المَسيرِ
فَثَمَّ الغَيْثُ معقودُ النَّواصـي ... ولَيْثُ الغَابِ محلولُ الزئيرِ
أطالَ انعشب من سُرَرِ الرَّوابـي ... وحَطَّ الماءَ في قِطَعِ الصَّبيرِ
سَمَاحٌ في جوانبه إبـاءٌ ... كحُسْنِ الماء في السَّيْفِ الشَّهيرِ.. الخ (٢)

---

(١) الديوان : ٤٤٣/١ .
(٢) الديوان : ٤٤٥/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثل والده محور الحياة ،فنسب اليه ألفاظ الفيض والكثرة والغيث ،فرأى في قرارة نفسه أنه مركز التطهر والبطل المنقذ الذى كان سيحدث التحول في الارض اليباب ، في النموذج المتحجر الخالي من الحياة .

لقد أوحت له الحالة النفسية المرتاحة بألفاظ جميلة أثرت على لغته الشعرية فسادت ألفاظ الحياة والتطهر والخصب مثل (العبث المال ، والسحائب ، النشر الامواه ، الفيض ، الغيث، السقايه الافراع ، رماحك مطلقات ... الخ)

أخيرا أقول إ استطاع الشريف أن يخلق لكل موقف نفسي لغة خاصة به ،وهذا أسلوب ميز الشريف عن كثير من شعراء عصره . وبدا جليا في قصائده ذات الشرائح المتعددة ، كما ورد في القصائد التي سبق أن حللت في الجزء الاول من هذا الفصل .

وفي القصيدة ذات البعد الواحد وجدناه وقد انتفض أمامنا يزفر ويئن من خلال أساليب النداء والشرط والامر والرجاء فقال : -

أيُّها الرّائحُ المُغِذُّ تحمّـــلْ ... حاجَةً للمعذَّب المُشْتـــاقِ
اقرِءَنّي السَّلامَ أهْلَ المُصَلّـــى ... وبَلاغُ السَّلام بَعْدَ التلاقـــي
واذا ما سألْنَ عني فقل نضـــ ... ـو هوىً ،ما أظُنُّهُ اليَوْمَ باقِ
ضاع قَلْبي فانشُدْهُ لي بَيْنَ جَمْعٍ ... وَمنىً عندَ بَعْضِ تلكَ الحداقِ
وابكِ عَنّي فطالما كُنْتُ مِنْ قَبْـ ... ـلِ ،أميرُ الدُّموعَ لِلعشّاقِ(١)

أي فلسفة للعشق فلسفها الشريف ، وأ ي قلب مفعم بالاحاسيس يحمله ليحمل عن العشاق دموعهم وسهرهم ، فاذا ما كفت عيونهم عن البكاء أعارهم دموعه الغزار ،زفرات مؤلمة وألحاناً جميلة ذات وقع شعورى مرهف ، ممزوج بالطرب المأساوى .

---

(١) الديوان : ٢/٧٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمـــــــــــة :

ان الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي الذى عاش فيه الشريف الرضي كـــان سببا في بروزه شخصية سياسيه واجتماعية وأدبية فذه . اضافة الى أنه من أســرة آل البيت التي ورثت المجد التليد والفجيعة المأساوية . وأضاف الزمن اليــه فجيعة الامس بالوالد أبي أحمد الموسوي ، وقد اعتقل في غياهب سجن البويهيين فانكب الشريف الرضي على مجالس العلم ينهل من معينها ، وعلى الحياة يعــب من آلامها . فنبغت شاعريته وهو ابن عشر سنين .

وما إن دخل العشرين من عمره حتى أصبح نقيب الشيعة وأمير الحج ، ثم نقيب النقباء في جميع البلاد . لكن تلك المناصب الشريفة التي نالها لم تمتص مــن ثورته على البويهيين شيئا . فرأى نفسه صاحب حق في الحكم . ومما دعم رؤيتــه هذه نبوءة أبي اسحق الصابي له بالخلافة فابتهجت نفسه لذلك ،وأعد دعاة له فــي البادية للثورة على السلطتين العباسية والبويهية . وتجلت ثورته السياسية في مستويين :

١ ـ المستوى العَقَدي : برز في رفض سلطة الخليفة العباسي لأنه كان سنيا .
٢ ـ المستوى القومي : برز في رفض سلطة البويهيين لانهم كانوا عجمــا وأغرابا عن العرب .

من هنا كانت رؤيته السياسية قائمة على محوري العروبة والتشيع ، فــرأى قومه العرب أصحاب الحق الشرعيين في بلادهم أذلة ضعفاء مظلومين ،لتحكم البويهيين الأغراب في السلطتين التشريعية والتنفيذية . واتجه الى أبناء ملته الشيعــة فرآهم مظلومين لتحكم العباسيين في السلطة وإن كانت سلطتهم سلطة اسمية . فرضي بحكم العباسيين ضمن نظرية الأفضل والمفضول ، وجند قواه لمواجهة البويهيين فاستحضر المهديَ المنتظر ، ومل من انتظاره حتى رآه الشريفُ ذاتَه . فطالــب بالخلافة على أنها حق له دون غيره . فبث داعية له في البادية سرعان ما قتــل فبكاه الشريف وانسحب من الثورة الفعلية . وبعدها اتجه الى قومه العرب فدعاهم الى الوحدة والتكاتف ضد خطر البويهيين ، ورفض الفئوية والتناحر . وبذا وصــل إلى قمة الاعتدال في نظرته هذه اذ حاول التوفيق بين آراء السنة والشيعة ،مــرة في نظرية الامامة ، ومرة في وحدة العرب ، لذا تعلق بالنموذج العربي والبطولــة العربية الخالدة في ضمير ووجدان العرب ، وتقرب من الخليفة الطائع ليساعــده في تنفيذ مخططه الوحدوي الثوري .

وفجأة صحا الشريف على خلع الطائع الوجه العربي المشرق في ساحة التقهقر السريع وموت الداعية المخلص ، وموت المتنبيء له بالخلافة ففشلت ثورته الفعلية ،وانتقلت الى المستوى الفني ، فبدأ بالرحلة عبر الصحراء العربية للتطهر من دنس المدينــة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المتخاذلة ،فأنشا فن الحجازيات وحمله رؤيته السياسية القائمة على أساس مبدأ التقية .

وتبعا لرؤيته السياسية أقام علاقات اجتماعيه مع معظم قطاعات المجتمع فمنها ما كانت : -

١ - علاقات اجتماعية عامة مع الخلفاء والسلاطين والوزراء ،وأمراء القبائل .

٢ - علاقات أسرية خاصة وعامة .

فكانت علاقته مع العباسيين قائمة على المودة والقربى ، والنسب العربي والتفوق الاسرى . بينما كانت علاقاته مع الملوك البويهيين والوزراء قائمة على المنفعة الذاتية للحصول على الجاه والمنصب . كما وأن علاقاته مع أمراء القبائل كانت علاقة روحية صرفة . ومما يؤكد ذلك أنه لم يذكرهم في شعره إلا ما كان من مراثية فيهم ،فرآهم الوجه العربيّ المشرقَ في ساحة التعتيم السياسي ،والبطلَ العربي المنقذَ من حاله التقهقر الحضارى التي تمر فيها الأمة .

وأخذت علاقاته الاسرية مكانتها ضمن علاقاته الاجتماعية وأهمها كانت علاقة الأبوة . فكانت علاقة روحيه ثورية تجاوزت الابوة المجردة ، فرأى والده بطلا منقذا تارة ، ومهديا منتظرا تارة أخرى . ونسب اليه كل الفضائل العربية ليجعله أنموذجا أبويا في التفوق الاسرى والقومي ، وكذلك علاقة الامومة والاخوة والعمومة والخئولة .

وعلى أساس علاقاته الاجتماعية تجلت ثورته الاجتماعية ، فوجه حربا عنيفا للغنى والفقر والمال ، والنفاق والخذلان والغدر ،وعد الشريف المال وجها من وجوه الذل والكفر والتردي الاجتماعي . إذ يعكس المالُ القيمَ الاجتماعية للمجتمع الذى بدأ يتزلف للدولة البويهية من أجل الحصول على المال ،وبالتالي كان سببا من أسباب الغربة الاجتماعية والتردي الاجتماعي .

واستغل الشريف كل المناسبات الاجتماعية للإفصاح عن رؤيته الاجتماعية التي كانت جزءا من رؤيته السياسية الكبرى .

أثرت رؤيته السياسية والاجتماعية القائمة على رفض النظام السياسي والاجتماعي في بنية القصيدة ، فكانت قصيدته بأشكال متعددة :

١ - القصيدة ذات الشريحة الواحدة .

٢ - القصيدة ذات الشرائح المتعددة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أدرج الحجازيات والحماسيات والفخريات في الشكل الاول ،وجعلها معـــادلا موضوعيا للرفض والثورة . أما في القصيدة ذات الشرائح المتعددة فكانـــت ذات بنية سياسية واجتماعية ، وغالبا ما كانت تميل الى البنية التالية : -

١ - شريحة الـــذات
(المرأة الحماسة ، الفخر .....)
٢ - شريحة الرفض - السياسي والاجتماعي .
٣ - شريحة النموذج السياسي والاجتماعي البديل .

ومن جهة اخرى أثر فكرهُ السياسي والاجتماعي على لغة القصيدة وأسلوبهـــا. فاستمد لغته مـــن :-

١ - الفكر العربـــي .
٢ - الفكر العقدي الشيعـــي .
٣ - تجاربه المأساوية وحالاته النفسيـــة .

وهكذا نمت رؤية الشريف السياسية والاجتماعية ، وبالتالي أثرت في تشكيـــل القصيدة . وظلت رؤيته في اطار الحلم والتمني والرؤيا ولم تدخل حيـــز التنفيذ الفعلـــي المستمر .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

His (Hijaziat, Hamasiyat and Fakhriyat) are included in the first category.

Subject-wise these were made to be equal to rejection and revolt, as for the multi segmental poems, they had social and political structure, Generally, they tend to have following structure:-

1) Sef-portrail segment.
   (womar, emotion-rising and priding).
2) Rejection segment-political and social.
3) Alternative social and political model segment.

His political social thinking had an impact on the language and the style of his poem. His language was derived from:-

1) Arabic thinking.
2) The shi'ite doftrinal thinking.
3) His tragic experiences and his psueholgical moods.

Al Shareef's political and social vision had been farmed in accordance with the afore mentioned sitnations and consequently had an impact on the structure of the poem, his vision remained within the framwork of dream, hopes and hightdreams and his vision had not the apportunity to be actualised or realized.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

civilization was undargoing.

The family relationship took its place within his social relationships, the most important of which having the parentship relation for him. It was arevolutionary and spiritual relationship which superales the mere parenthood. His father, for him was a saviour and a hero, at one time and the "A waited Mahdy" at another time. All Arabic qualities were attributed to his father and he made him a model of fatherhood in family and national superiority, the same applies to motherhood, brotherhood, and unclehood.

This social revolt showed its manifestation on the basis of his social relationship. He fought afierce war against only pourty, richness, hypocracy, infidelity and letting down. Money for him, was aspect of humilation, disbelief and social degeneration, money reflects the social values of the society which started to take sides with the Boeihee state for the sake of obtaining money. He seized every social opportunity to reveal his social vision which was only apart of his greater political vision.

His political and social vision which is based on the rejective of the political and social system, had an effect on the structure of his verse.

Therefore his poem had different forms:-

1) Uni-segment poems.

2) Multi-segments poems.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

He became very close to the caliph Al-tayee to help him in execnling his unitary and revolutionary plan.

Suddenly he awake to the dethroning of the Arab Caliph-Al-Tayee in the anena of Arab set-backs, to the death of his devoat messages and to the death of the man who prophicied caliphship for him. His active revolt failed and moved to the technical level. HHe started his journey across the Arabian desert to be purged and cleansed of the city's impurities and stigma.

He innovated the art of Hijaziyat in which his political vision bond on the principle of devoutship was inclanded.

In accordance with his political vision, he established social tires with the majority of the society's segments to include:-

1) Social relationship's (private and puplic).

His relationships with the Abbasides were established on the bases of friendship, nelaxion, Arab dynastany and family superionity, while his relationship with Boeheen kings and ministers were based on mutual benefit to achieve itles and positions.

His relationships with the tribal chieftains were purely spiritual. As a proof of this, there chieftains were not mentioned in his poem, with the exception of certain enologies. In there he thought he saw the shiny Arab face in the areha of political blacking out and the Arab Hero who will deliver them from the retnutiny situation in which Arab

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2) Nationalistic level: He refused the authority of the Boeihheen because there were persian and foreign to the Arabs.

Based on these two factor, his political vision was established on two axes;;- Arabism and shi,ites. His people the Arabs the rightful owners of their country were weak humilated and did not get their shars of justice, the country controlled the excutive and legislative powers, His sect, the shiltes were not give a fair share because Abbasides controlled the power, though it was more nominal than neel. He accepted the rule of the Abbaside, as the leesse lesser of two evil within the framework of his theory "the better and the out-bettered. He mobilized his powers to confront the Boeiheen. He called for "the a waited Deliverer". He got so impatient waiting for the deliiverer and announced himself to be him.

He claimed the caliphship to be his and belongs to non but to him, he sat and envoy to the devot but his envoy was killed. Al-shareef Al-Radi enologized him and withdrew from the active revolt. He turned to the Arabs, his people, and the dangers of Boeiheen. He disclaimed in-fighting and sectarianism. He reached the peak of moderation. In this outlook. HHe attempted reconcilation between the sunnas and shi'ites once.

In the Immam-ship and another time in the unity of Arabs, therefore he clinged to the Arab way of life and the eternal Arab Heroism in he of the Arabs.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ABSTRACT

The emergence of Alshareef Al-Radi is as a Prominent literary, social and political figure is due to the political social and cultural environment in which he lived. More over he belongs to the prophet's dynastey which inherited the glories and the tragic disasters.

Another disaster was added when his father Abi Ahmed Al-mousawi was thrown into jail by Boeihieen. As a result of these factors he took to the learning councils to obtain knowledge and from life he picked p sorrows, his poet hood was actualized when hhe was ten years old.

When he turned twenty he become a keeper shi'ites and the commander of piligramegs and later on the keeper of keeper all over the country. All of these titles and noble honours were not capable of obsorbing his revolt against the Boeiheen. HHe thought of himself as a rightful pretender to thhe throne. His vision (of rightful pretension) was reinforced by aprophecy made by Abi Ishag Al-Sabi to be a caliph (king) he was very delighted for that.

He prepared special envoys and sent them to them desert to revolt against the abbaside and Boeiheen authorities.

His political revolt was clearly manifest in two levels.

1) Doctrine level: He refused the authority of the Abbaside caliph because he was sunni.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فهـــــرس المصادر والمراجـــــــع

اولا : قائمـــة المصـــــادر

١ ـ القـــرآن الكريـــــم

٢ ـ البداية والنهاية : ابن كثير
دار المعارف ـ بيروت ـ دار النصر ـ الرياض ـ الطبعـــه الاولى ٠ ١٩٦١ ٠

٣ ـ الاحكام السلطانية : الماوردى
دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنـان ٠ (د٠ت)

٤ ـ الاحكام السلطانية : ابو يعلى الفراء
تعليق محمد حامد الفقي ـ مطبعة مصطفى البـابي الحلبـــي مصر ٠ الطبعة الثانية ١٩٦٦ ٠

٥ ـ أخبار أبي تمام : ابو بكر الصولى :
تحقيق محمد عبده عزام ـ منشورات دار الافاق الجديـــده ـ بيروت الطبعة الثالثه ـ ١٩٨٠ ٠

٦ ـ الامتناع والمؤانسه : ابو حيان التوحيدى
تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ـ منشورات مكتبة الحيـــاة بيروت (د٠ ت) ٠

٧ ـ ابناه الرواة على أبناه النحاه : أبو الحسن القفطي
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ مطبعة دار الكتـــــب المصرية ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠م

٨ ـ تاريخ ابن خلدون :
دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ١٩٨٠ ٠

٩ ـ تاريخ الاسلام السياسي : حسن ابراهيم حسن ٠
النهضه المصرية ـ مصر ٠ الطبعة السابقة ـ ١٩٦٥ ٠

١٠ـ تاريخ بغداد : الخطيب البغـــدادى
دار الكتاب العربي و بيروت ٠(د٠ت)

١١ـ تجارب الامم : مسكويـــــة
مكتبه المثنى ـ بغداد ـ شركة التمدن الصناعية ـ ١٣٣٢هـ ١٩١٤م ٠

١٢ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي
مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م ٠

١٣ـ خريدة القصر وجريدة العصر : العماد الاصفهاني
تحقيق محمد المرزوقي ـ محمد العروسي المطوى ـ الجيلانـــي بن الحاج يحي الدار التونسية للنشر ـ ١٩٦٦ ٠

١٤ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر : الباخرزى
تحقيق سامي مكي العاني ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٣٩٠هـ ١٩٧٠٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٥- ديوان الشريف الرضي : دار صادر - بيروت - (د.ت)
١٦- ديوان الشريف الرضي : صنعة أبي حكيم الخبرى - تحقيق عبد الفتاح الحلو.
منشورات وزارة الاعلام العراقيه - دار الطليعه - باريس
الطبعة الاولى ١٩٧٠ .
١٧ - ديوان مهيار الديلمـــــي
دار الكتب المصرية - الطبعة الاولى . (د.ت)
١٨- ديوان المتنبي : شرح عبد الرحمن البرقوقي
مطبعة الاستقامه - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٣٨ .
١٩- الذريعة الى تصانيف الشيعة : الشيخ آغا برزك المطهرانى
تحقيق أحمد المرادى - النجف - العراق - تهران كتابجاية
١٣٨٧ هـ - ١٩٤٧ .
٢٠- ذيل تجارب الامم : ابو شجاع الروذراوزى اعتناء ونسخ وتصحيح ه.ف أمدروز
شركة التمدن الصناعية - مصر - مكتبة المثنى - بغداد
١٣٣٤هـ - ١٩١٦م .
٢١- رسائل الصابي والشريف الرضي :
تحقيق محمد يوسف نجم - دائره المطبوعات والنشر - الكويت
- ١٩٦١.
٢٢- روضات لجنات :محمد باقر الخوانسارى .
تحقيق أسد الله اسماعيليان - دار المعرفة - بيروت .
٢٣- زهر الاداب وثمر الالباب - الحصرى .
شرح زكي مبارك - حققـــــــــــــــه وزاد فـــــي تفصيله
محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيـــــــــروت
الطبعة الرابعة ١٩٧٢.
٢٤- سير أعلام النبلاء : شمس الدين الذهبي :
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الارنؤوط - ومحمد نعيم
العرقسوس مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٣. الطبعة الاولى.
٢٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي .
تحقيق لجنة أحياء التراث العربي (منشورات دار الافـــاق
الجديدة - بيروت - لبنان .(د.ت)
٢٦- الشعر والشعراء : ابن قتيبه .
تحقيق احمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر - (د.ت)
٢٧- صبح الاعشى في صناعة الانشاء : القلقشندى (د.ت).
٢٨- الغدير : عبد الحسين الاميني - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٦٧ .
٢٩- الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادى .
٣٠- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد . مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر
والتوزيع . (د.ت) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٨- الفصل في الملل والاهواء والنحل : ابن حزم
دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٥
٣١- الكامل : ابن الاثير
دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٩٨٠
٣٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة
منشورات مكتبة الثنى - بغداد : (د.ت)
٣٣- الكشكول : بهاء الدين العاملي .
تحقيق الزاوى - دار احياء الكتب العربية -١٣٨٠هـ - ١٩٦١م
٣٤- لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني
منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات دائرة بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧١م . عن مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند - حيدر آباد الدكن - ١٣٣١هـ .
٣٥- المجازات النبوية : الشريف الرضي .
تحقيق محمود مصطفى - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧ .
٣٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: اليافعي المي - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت ،لبنان الطبعة الثانية - ١٣٩٠هـ . ١٩٧٠م .
٣٧- معاهد التنصيص : العباسي: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الكتب - بيروت - ١٩٤٧.
٣٨- معجم الادباء - ياقوت الحموى .
الطبعة الاخيرة - دار احياء التراث العربي - بيروت -(د.ت)
٣٩- الملل والنحل : الشهر ستاني .
مؤسسة ناصر للثقافه - بيروت - الطبعة الاولى - ١٩٨١.
٤٠- المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ابن الجوزى .
دار المعارف العثمانية - حيدر آباد الركن - الطبعة الاولى - ١٣٥٨هـ .
٤١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال . محمد الذهبي .
تحقيق علي محمد البجاوى . دار احياء الكتب العربية وعيسى الحلبي وشركاه . (د.ت) .
٤٢- النجوم الزاهرةفي ملوك مصر والقاهرة . الاتابكي .
طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب - وزارة الثقافة والارشاد القومي . (د.ت).
٤٣- الوافي بالوفيات : صلاح الدين الصفدى .
باعتناء س.دزيدرينغ - فرانز شتاير - فيستبادن - ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م .
٤٤- وفيات الاعيان : ابن خلكان .
تحقيق احسان عباس - دار صادر - بيروت . (د.ت).
٤٥- يتيمة الدهر : الثعالبي.
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر- بيروت-(د.ت)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا : قائمة المراجـــــع

١ ـ الادب في ظل بني بويه ٠
الدكتور محمود غناوى الـزهيرى ٠ مطبعة الامانه ـ مصـــر ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م ٠

٢ ـ الادب والثورة :
سعيد الشيباني ومحمد الشرفي ٠(أبحاث قدمت الى مؤتمـــر الادباء العرب الخامس ١٥ ـ ٢١/شباط ـ ١٩٦٥م)٠ مطبعـــة العاني ـ بغداد ـ ١٩٦٥ ٠

٣ ـ الاسلوبية والاسلـــوب :
عبد السلام المسدى ـ الدار العربيه للكتاب ـ ليبيـــا تونس ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ٠

٤ ـ الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي :
الدكتور عزيز السيد جاسم ـ دار الاندلس ـ بيروت لبنـــان الطبعة الاولى ـ ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م ٠

٥ ـ الحماسة في شعر الشريف الرضي :
الدكتور محمد جميل شلش ٠ المؤسسة العربية للدراســـات والنشر ـ بغداد ـ الطبعة الثانية ١٩٨٥م ٠

٦ ـ حياة الشريف الرضـــي :
الشيخ عبد الحسن الحلي ـ تقديم علي الخاقاني ـ دار البيان مطبعة الحرية ـ بغداد ـ ١٩٦٨٠

٧ـ الدرجة الصفر للكتابـــة :
رولان بارت ـ ترجمة محمد برادة ٠ دار الطليعة ـ بيـــروت والشركة المغربية للناشرين المتحدين ـ الرباط ـ المغرب ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٨٢م ٠

٨ ـ الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام ـ
الدكتور عبد الاله الصايغ ـ منشورات وزارة الثقافـــة والاعلام العراقية ـ دار الرشيد للنشر ـ ١٩٨٢٠

٩ ـ الشريف الرضـــي :
الدكتور احسان عباس ـ دار بيروت ودار صادر ـ لبنـــان ـ ١٩٥٩ ٠

١٠ـ الشريف الرضـــي :
محمد عبد الغني حسن ـ دار المعارف ـ مصر ـ الطبعة الثانية د٠ت)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١١- الشريف الرضي : (حياته وشعره).
الدكتور محمد ابراهيم المطرودى - النادى الادبي - الرياض
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٢- الشريف الرضي (دراسات في ذكراه الالفيه).
مجموعة من الباحثين المتخصصين - دار افاق عربية للصحافة
والنشر - بغداد - العراق - ١٩٨٥ .
١٣- الشيعة في الميـــزان
محمد جواد مغنية - دار الشروق - (د.ت) .
١٤- صحيح الكافي : محمد باقر البهبودى - الدار الاسلامية - الطبعة الاولـــــى
١٩٨١ - ١٤٠١هـ .
١٥- الصورة الفنية في النقد الشعرى
الدكتور عبد القادر الرباعي - دار العلوم - الرياض .
الطبعة الاولى - ١٩٨٥ - ١٤٠٥هـ.
١٦- عبقرية الشريف الرضي(جزءان) . الدكتور زكي مبارك .
الجزء الاول : المطبعة العصرية - صيدا - بيروت (د.ت)
الجزء الثاني : مطبعة حجازى - الطبعة الثانية - ١٩٥٢.
١٧- عصر الدولة والامارات : الدكتور شوقي ضيف .
دار المعارف - مصر .(د.ت) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفهـــــــرس

الموضـــــــوع	الصفحـــــة
ـ الاهـــــداء	(٠٠٠٠٠٠٠٠)
ـ كلمة الشكر والتقدير	(٠٠٠٠٠٠٠٠)
ـ المقدمـــــــــة	(أ ـ ن)
الفصل الاول :	
الشريف الرضي ،عصره وحياته ٠٠٠	(١ ـ ٣٢)
أ ـ عصر الشريف الرضي	(١ ـ ١٢)
ب ـ حياته	(١٣ ـ ٣٢)
١ـ مولده وطفولته وشبابه ووفاته	(١٣ ـ ١٦)
٢ ـ شخصيتـــــه	(١٦ ـ ١٩)
٣ ـ ثقافتـــــه	(١٩ ـ ٢١)
٤ ـ مؤلفاتـــــه	(٢٢ ـ ٢٦)
٥ ـ القابـــــه	(ـ ـ ٢٦)
٦ ـ مناصبـــــه	(٢٧ ـ ٣٢)
ـ الفصل الثانـــي :	
الروّية السياسية في شعر الشريف الرضي ٠	(٣٣١ ـ ٧٦)
أ ـ الشعور القومي	(٣٥ ـ ٥٠)
ب ـ الامامـــــة	(٥١ ـ ٦٣)
ج ـ الثـــــورة	(٦٤ ـ ٧٦)
الفصل الثالـــــث :	
الروّية الاجتماعية في شعر الشريف الرضي ٠	(٧٧ ـ ١٣٤)
أ ـ العلاقات الاجتماعية	
١ ـ علاقات اجتماعية عامة	(٧٩ ـ ١٠١)
٢ ـ علاقات اسريـــــة	(١٠٢ ـ ١٢٠)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب - ثورته على الواقع الاجتماعي (١٢٢ - ١٣٤)

الفصل الرابـــــــع :

رؤية الشريف السياسية والاجتماعيه والبناء الفني (١٣٥ - ١٨٢)
أ - بنية القصيدة ..... (١٣٦ - ١٦٥)
ب - البناء الفني واللغة ..... (١٦٦ - ١٨٢)

الخاتمـــــــة ..... (١٨٣ - ١٨٥)
ملخص بالانجليزية ..... (١٨٦ - ١٩٠)
قائمة المصادر والمراجع ..... (١٩١ - ١٩٥)
فهرس المحتـــوى ..... (١٩٦ - ١٩٧)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University